إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	اسم الطالب/ة: هدي محمد الأسطل
Signature:	التوقيع: هدى محمد أحمد الأسطل
Date:	التاريخ: 7 ديسمبر 2015

الجامعةالإســـــلامية - غـــــزة

عمــــادة الدراســــات العليـــا

كليـــــة أصــــول الـــــدين

قســـم العقيـــدة والمـــذاهب المعاصــــــــــــــــرة



موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى

إعدادالطالبة

هدى محمد أحمد الأسطل

إشـراف الدكتور الفاضل

نسيم شحدة ياسين

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية-غزة

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2015/05/26م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **هدى محمد أحمد الأسطل** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

(موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 07 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/05/26م الساعة الحادية عشرة صباحًا، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. نسيم شحادة ياسين	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. محمد حسن بخيت	**مناقشاً داخلياً**	....
د. محمد مصطفى الجدي	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلّية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية.**

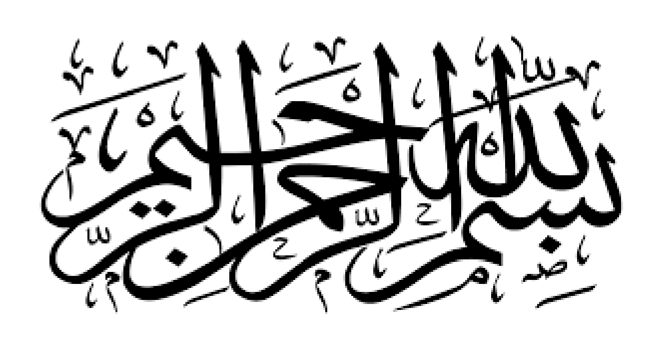
واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps



قَالَ تعَالَى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠ ﴾

(البقرة: ١٢٠)



إلى من ضحوا بأرواحهم، ورووْا بدمائهم أرض فلسطين الطاهرة...

*** *** * * *

إلى روح أمي الحبيبة رحمها الله، وأبي الحبيب أطال الله في عمره، الذين ربياني صغيراً فأحسنا تربيتي وتأديبي، ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً...

*** *** * * *

إلى أحبتي ونور عيوني، إخواني الأعزاء لهم مني كل الحب والتقدير والعرفان...

*** *** * * *

إلى الذين لم يبخلوا علي بشيء من أجل تقدمي ونجاحي، إلى زوجي الغالي رفيق دربي الطويل، الذي كان عوناً لي في المنحة والمحنة، وإلى قرة عيني ونبض فؤادي أبنائي الأعزاء بسملة، مازن، سارة، مريم حفظهم الله...

*** *** * * *

إلى أعمامي وعماتي ، وأخوالي وخالاتي ، وصديقاتي العزيزات ؛ لكم مني كل الحب والوفاء، وإلى عائلتي الكريمة المعطاءة البارة بأبنائها عائلة الأسطل الكرام...

*** *** * * *

إلى مشايخنا وعلمائنا وأساتذتنا الذين نهلنا العلم عنهم...

شكر وتقدير وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا وحبيبنا ورسولنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على هديه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[النمل: ٤٠]، ومن قوله ﷺ"**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**"[(١)]فإنني أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأهل الفضل على فضلهم' وأخص أستاذي ومشرفي فضيلة **الدكتور**/ **نسيم شحدة ياسين**، الذي عاش معي هذا البحث كلمة كلمة، وذلل لي الكثير من الصعاب وما تواصلت معه مرة إلا وغمرني بنصائحه وتوجيهاته.

كما أتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة المكونة من:

فضيلة الدكتور: ______محمد بخيت مشرفاً داخلياً

فضيلة الدكتور: ______محمد الجدي مشرفاً خارجياً

اللذين منحاني شرف الموافقة على مناقشة هذا البحث لإثرائه، والوقوف على ما فيه من محاسن، وتدارك ما فيه من عيوب، بما أنعم الله عليهما من خبرة طويلة، وتجربة خلاقة في ميدان البحث العلمي فجزاهم الله عني كل خير.

والشكر موصول إلى كلية أصول الدين مُمثلة بعميدها، والهيئة التدريسية الموقرة، والموظفين، والإداريين، وأخص بالذكر قسم العقيدة والمذاهب المُعاصرة، وإلى عمادة الدراسات العليا ممثلة بعميدها وإدارييها، وإلى منارة العلم والعلماء في أرض الرباط، الجامعة الإسلامية بغزة، رئاسة وعمداء وأكاديميين وإداريين.

كما وأتقدم بالشكر إلى كل من أعانني بفائدة أو نصيحة أو توجيه أو تصحيح مما ساهم في إثراء البحث وأخص بالذكر الأخوة الأعزاء الأستاذ حافظ تكريم البطة، الأستاذ يونس طراف

(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك رقم (١٨٧٨)، قال الترمذي حسن صحيح.

الاسطل، الأستاذ: جبريل مازن الأسطل والأستاذ بلال عبدالرحيم الأسطل حفظهم الله، على ما بذلوه من جهد لإنجاح هذا البحث.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ﷺ، وعلى من سار على دربه، واستن بسنته إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وبعد:

الحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس؛ نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ووفقنا إلى الطريق المستقيم الذي زاغ، وحاد عنه اليهود والنصارى من قبلنا، فالحمد لله على هذه النعمة، كما وأوصانا الحبيب محمد بأن نتمسك بالكتاب والسنة، وألا نتبع سنن من كان قبلنا من اليهود والنصارى، وأن نبين للناس فساد عقائد الأمم السابقة.

لقد تحدث الإسلام عن النصارى، وفساد اعتقادهم، وظهر هذا بوضوح، وجلاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ولهذا فقد وقع اختياري على أن أكتب بحثي هذا بعنوان:

موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى

وقد خصصت البحث في هذا الموضوع عن النصارى؛ حيث إنني سأقوم بجمع الآيات الواردة في عقائد النصارى، وصفاتهم، ودراستها دراسة عقدية من خلال كتب القرطبي.

أهمية البحث:

١ –بيان أبرز صفات النصاريمن خلال كتب القرطبي.

٢ – الاستفادة من الدراسة في كيفية التعامل مع النصارى في واقعنا المعاصر.

٣ – بيان فساد عقائد النصارى، وبطلانها عن طريق نقدها من القرآن والسنة.

٤ – التعرف على موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى، وهو موقف أهل السنة والجماعة.

سبب اختيار هذا الموضوع:

١ – التعرف على عقائد النصارى، وبيان بطلانها، وزيفها من خلال كتب القرطبي.

٢ – شهرة القرطبي وكثرة تداول طلبة العلم لكتبه، وذلك كان أدعى لدراسة عقائد النصارى من خلال كتب القرطبي.

٣–بيان استحالة التعايش بين المسلمين، والنصارى في أي زمان ومكان .

٤ – تبصير المسلمين بحقيقة النصارى، وموقفهم من المسلمين.

منهج البحث:

ستتبع الباحثة في هذه الدراسة المنهج التاريخي ، والمنهج الوصفي التحليلي، واستنباط ما يمكن استنباطه من أحكام تتعلق بالروايات الواردة في البحث.

طريقة البحث:

١ – عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم السورة، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين هلالين في البحث.

٢ – توثيق المعلومات في الحاشية على النحو التالي: ذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، واسم المحقق إن وجد ورقم الصفحة، رقم الطبعة، دار النشر، بلد النشر، تاريخه.

٣ – تخريج الأحاديث النبوية، وذلك بعزوها إلى مظانها من كتب التخريج، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن باستثناء ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أو أحدهما وذلك بوضعهم بين هلالين.

٤ – الاستفادة من الكتب الأخرى، سواء كانت في التفسير، أو الحديث، أو العقيدة، أوغير ذلك مما له صلة بالبحث.

٥ – الاستفادة من المواقع الالكترونية التي لها صلة بالموضوع إن وجد، وذلك بذكر اسم الموقع، ثم تاريخ الاقتباس، ثم الرابط؛ فإن تكرر الاقتباس من نفس الموقع، أذكر اسم الموقع، وتاريخ الاقتباس.

٦ – عند تكرار الاقتباس من الموقع أكثر من مرة، أقوم باختصار التوثيق بذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة.

٧ – وضع فهارس للآيات القرآنية، وترتيبها حسب ورودها في المصحف؛ والآثار الواردة، والأعلام، وترتيبها حسب الحروف الهجائية؛ ثم إفراد قائمة بفهرس المراجع والموضوعات.

٨ – الترجمة للأعلام المغمورين .

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث وجدت الباحثة أن تفسير القرطبي قد حظي بالعناية، والاهتمام في مجال التحقيق والتخريج، إلا أن الباحثة لم تعثر على بحث خاص بموقف القرطبي من عقائد النصارى فيما وصل إلى علمها ، ولا سيما فيما له علاقة بقضايا العقيدة؛ ولكن هناك بعض الدراسات التي قد تلتقي في بعض النقاط مع الموضوع مثل:

١ – الروح القدس في عقيدة النصارى لعبد الله بن عبد العزيز الشعيبي.

٢ – عقيدة النصارى لروان عصام محمد بياع.

٣ – عقيدة الصلب والفداء لرشيد رضا.

هذه الدراسات لا تتعلق بالموضوع المراد دراسته إلا في فرعيات قليلة؛ حيث تتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بما يلي:

١ – بيان فساد عقيدة النصارى.

٢ – توضيح ردود المسلمين على افتراءات النصارى وبيان كذبهم.

٣ – بيان موقف القرطبي من عقائد النصارى.

خطة البحث:

وضعت الباحثة خطة لهذا البحث وجعلته في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ومراجع وفهارس وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث،

تمهيد

عصر الإمام القرطبي ومولده ونشأته

وفيه مبحثان .

المبحث الأول: عصر الإمام القرطبي .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة الدينية.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية.

المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني: مولد الإمام القرطبي ونشأته وعلمه .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولد الإمام القرطبي ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ونشره .

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.

المطلب الرابع : مؤلفاته.

الفصل الأول:

حقيقة النصارى وصفاتهم وفرقهم وعلاقتهم بغيرهم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: حقيقة النصارى وصفاتهم .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف النصرانية لغة واصطلاحاً:

المطلب الثاني: – عقيدة التثليث.

المطلب الثالث: – عبادة الآلهة والرهبان ورجال الكنيسة من دون الله.

المطلب الرابع: – التمرد على أوامر الله تعالى.

المطلب الخامس: – الزعم بأنهم أبناء الله وأحباؤه.

المبحث الثاني: عقيدة النصارى في الصفات الإلهية

وفيه مطلبان.

المطلب الأول: – عقيدة التجسيم عند النصارى.

المطلب الثاني: – اتهام الله تعالى بالعيوب والنقائص.

الفصل الثالث: موقف القرطبي من عقيدة النصارى في الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر.

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: عقيدة النبوة والأنبياء وموقف الإمام القرطبي منها.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: – موقفهم من الأنبياء جميعاً.

المطلب الثاني: – موقفهم من نبوة محمد – ﷺ –.

المطلب الثالث: عقيدة الصلب والفداء

المطلب الرابع: – عودة المسيح.

المبحث الثاني: عقيدتهم في الملائكة والكتب السماوية واليوم الاخر وموقف القرطبي منها.

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: – عقيدتهم في الملائكة.

المطلب الثاني: – عقيدتهم في الكتب السماوية.

المطلب الثالث: – عقيدتهم في اليوم الأخر.

الخاتمة:- وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي سيتوصل إليها الباحث من خلال بحثه،

وفي نهاية بحثي أسأل الله عز وجل أن يهديني ووفقني لما فيه الخير والصلاح لي وللأمة الإسلامية.

المراجع.

الفهارس.

تمهيد

عصر الإمام القرطبي ومولده ونشأته

وفيه مبحثان .

المبحث الأول: عصر الإمام القرطبي .

المبحث الثاني: مولد الإمام القرطبي ونشأته وعلمه.

المبحث الأول
عصر الإمام القرطبي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة الدينية.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية.

المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية

المطلب الأول: الحياة السياسية

وتنقسم إلى:

أولاً: الحياة السياسية في الأندلس

عاش الإمام القرطبي – رحمه الله – زمن الدولة الموحدية ، وهذه الدولة كانت قد تأسست بعد سقوط دولة المرابطين التي انهارت سنة (٥٢٠هـ)، وكان مؤسس دولة الموحدين هو (محمد بن عبد الله بن تومرت)(1)؛ حيث كان يميل إلى التعصب الفقهي ،وكان داعية ،فقد جعل من الإمامة الدينية أساساً قامت عليه الدولة، فقد كانت هذه الإمامة مصدراً للسلطات الدينية والسياسية ،غير أن الأمر اختلف بعد وفاتهحيث تحولت الخلافة إلى ملك سياسي محض، وإن كان قد حوفظ معه على رسوم الإمامة الدينية التي أسست عليها الدولة.

وامتازت الدولة الموحدية بالقوة العسكرية ، حتى بلغت في ذلك مبلغاً عظيماً لم تبلغه الأندلس من قبل ،لا سيما ما امتازت به الجيوش الموحدية من تفوق في فنون الحصار ٬وقدرة هائلة على اقتحام المدن المنيعة بالآلات الفتاكة، وتولى الخلافة بعد وفاة (ابن تومرت) ، (عبد المؤمن بن علي)(2)، فسيطر على الأندلس في سنة (٥٥٦هـ)، وبعد سنتين أرسل جيشاً، فنزل باشبيلية(3)، التي اتخذها الموحدون حاضرة لهم في الأندلس ؛فبسط نفوذ الموحدين على مدنها؛ فأعلن رؤساؤها مبايعتهم لعبد المؤمن، والدخول في طاعته وتحت أمره، وفي سنة (٥٤٩هـ) تغلبوا على غرناطة(4)، وفي سنة (٥٥٥هـ) عبروا إلى الأندلس، ونزلوا في جبل طارق، وتحصنوا به وسموه بجبل الفتح،

---

(١) انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ،الجزء الخامس، صفحة (٤٥)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، وانظر شذرات الذهب: ٤/٧٠، والأعلام: ٦/٢٢٨. هو وفقًا لما ورد في وفيات الأعيان: "محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب"

(٢)عبد المؤمن بن علي القيسي يلقب بأمير المؤمنين٬ استخلفه يوسف بن تومرت بعد وفاته كانت له وقائع كثيرة مع المرابطينكان متشدداً في تطبيق الشريعة الإسلامية؛فكان يأمر بقتل من ترك الصلاة ثلاثاً ، انظر : (سير أعلام النبلاء)، لمؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، الجزء العشرون، صفحة ٣٦٦، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة٬ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، و (الأعلام) (١٧٠/٤).

(٣)مدينة أندلسية، قريبة من البحر، تطل عليها الجبال. انظر (معجم البلدان) (١٩٥/١).

(٤) أقدم مدن الأندلس، وأشهرها، يشقها نهر معروف بنهر القلزم. انظر معجم البلدان (١٩٥/٤).

وأقاموا به شهرين، وبايعه شيوخ الأندلس، وبعدها أمر (عبد المؤمن) يغزو غرب الأندلس؛ فاستولى على(باحة)[1]، وغيرها من المدن.

وفي سنة (هـ٥٩١) اتجه الخليفة (يعقوب المنصور[2])بجنوده إلى (الجزيرة الخضراء)؛ فالتقى المسلمون بعدوهم فأنزل الله على الموحدين نصره وصبره.

فكان لها أثر عظيم لتقوية نفوس المسلمين، واستطاعوا قتل عدد كبير من أعدائهم الأوغنش، وأنه كان قد استشهد جماعة من أعيان الموحدين.

وقد قال (القصبي زلط)[3]عن هذه المعركة: (اشتبك الموحدون مع ملوك (ليون) و(البرتغال) و(قشتالة)؛ لأنها كانت تجاور الأندلس، وكان ملوكها يحاولون انتقاص أراضي الدولة الموحدية في أطرافها، ومن أشهر المعارك التي دارت بين الموحدين، والنصارى (معركة الأراك). . . وكان النصر فيها للمسلمين).[4]

وفي سنة (٦٠٩هـ) تجهز الخليفة أبو عبد الله الملقب بـ (الناصر لدين الله)[5]، فعبر إلى الأندلس؛ بسبب نقض النصارى للهدنة، والتقى الجيشان عند (حض العقاب،)وهنا كنت الدائرة على المسلمين، فانهزموا بها فكانت أحد أسباب انهيار الدولة الموحدية.

وكان آخر أمراء الدولة الموحدية أبو يعقوب (المستنصر بالله)[6] ؛حيث ظهرت في عهده

---

(١) مدينة أندلسية، بناها الأقاصرة، وينتسب إليها أبو الوليد الباجي –انظر : معجم البلدان (٣١٥/١).

(٢) هو وفقًا لما ورد في وفيات الأعيان: "محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ".

(٣) الدكتور القصبي محمود حامد زلط، عالم أزهري مصري، كان عضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف وأحد مؤسسيها، توفي في يوم ٣١ ديسمبر ٢٠١٤. له كتاب القرطبي ومنهجه في التفسير

(٤) القرطبي ومنهجه في التفسير ص ١٠٦ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالناصر لدين الله، انهارت على يده الدولة الموحدية، قائد معركة العقاب، واختلف بسبب وفاته قيل مات مسموماً وقيل مات هماً وغماً من وقعة المسلمين وانهزامهم في معركة العقاب توفي سنة (٦١٠هـ).

(٥) انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، الجزء السابع، صفحة ١٤٥، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.

(٦) انظر :الأعلام أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر بالله، تولى الخلافة وعمره ١٦ سنة توفي سنة (٦٢٠هـ) (٢٤٨/٨)

الفتن، وخرجوا عليه من جميع أنحاء البلاد، واستولى النصارى على المعاقل التي أخذها المسلمون، وهزمت حامية الأندلس من كل جهة، وبعد أيام قلائل سقطت قرطبة[١]، فقد قدم الملك القشتالي بنفسه في جيشٍ كبير، واستبسل أهلها في الذود عنها، لكن الأمر أشتد بتضييق فرناندو عليهم؛ ففاوضوه وسلموها، وسقطت قرطبة بذلك في سنة (٦٣٣هـ)[٢].

وقد عبّر القرطبي عن هذه المأساة فقال: "لقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا، وأموالنا مع الفتنة المستولية علينا ، بقتل بعضنا بعضاً، واستباحة بعضنا أموال بعض. . . "[٣].

ثم قال: "ولجهلنا وغلبة شهواتنا علينا، وظفر العدو اللعين بنا صرنا أحقر من الفِراش، وأذَّل من الفَراش، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٤].

ثم يقول في موضعٍ آخر: "كما اتفق في بلاد الأندلس ،تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد !! وأسر وقتل وسبي واسترق..."[٥].

ثانياً: الحياة السياسية في مصر

وفي عهد الأيوبيين سافر القرطبي رحمه الله إلى مصر، وكانت الأحوال فيها لا تختلف كثيراً عن الأوضاع التي تركها في الأندلس، وبالأخص الأوضاع السياسية ؛ بسبب كثرة الحروب التي شنها الصليبيون على مصر، والشام، والعراق ؛ فقد كانت مصر عند وصوله لها تحت الحكم الأيوبي الذي أسسه القائد (صلاح الدين الأيوبي)[٦]؛ حيث كان قد حمل راية الجهاد ضد الصليبيين، ففتح الكثير من البلدان الصليبية، وحرر الكثير من الأراضي التي أقتطعها الصليبيون من المسلمين، وهكذا تابع الملوك والرؤساء من الدولة الأيوبية الحملات ضد الصليبيين بعد وفاة صلاح الدين، وخاصة في الشام ومصر.

---

(١) أكبر مدن الأندلس، قاعدتها، ذات أسوار من الحجارة الكبيرة، انظر معجم البلدان (٣٢٤/٤).

(٢)انظر : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، الجزء الاول، صفحة ١٥٣، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١.

(٣)انظر : الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، (٩/٧-١٠).

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٢٢/١٤).

(٥) انظر :المصدر السابق : (١٢٢/١٤).

(٦) أبو المظفر صلاح لدين بن يوسف بن أيوب الأيوبي ،(٥٣٢ – ٥٨٩هـ) ،يلقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام ،كردي الأصل ،من العراق ،تفقه وتعلم الحديث ،فتح الله على يديه كثير مما احتلته الروم،من أشهر مواقعه (معركة حطين) التي انتصر فيها على الفرنج وكذلك فتح القدس سنة ٥٨٣. انظر: (الأعلام) (٢٢٠/٨).

ولكن الخلاف نشب، وظهر بعد وفاة (صلاح الدين)، وسببه التنازع على الحكم ؛ فقد كان الخلاف يهز البلاد هزاً عنيفاً، ووثب أبناؤه بعضهم على بعض، ولما ابتدأت دولة المماليك ازداد الخلاف، والتنافس على الحكم[1]، حيث كانت مصر بعد سنة (٦٤٨ﻫ) تحت حكم المماليك، وكان الوضع الداخلي سيئاً؛ بسبب الفتن الداخلية، والتنازع على الملك والسلطة، لكنهم واجهوا التتار، بعد أن عاثوا فساداً في الأرض، وفعلوا ما فعلوا في العراق، والشام ، اتجهوا لمصر ، لكن الله ردهم خائبين؛ بسبب وقوف المماليك في وجوههم([2]).

ويصف لنا (أبو زهرة) ذلك فيقول: "إن الحكم في هذه الدولة بلا ريب حكماً مطلقاً، والحاكم فيه مستبدٌ لا يصل إلى الحكم إلا بقوته... لكن سرعان ما ينقض عليه قريب، أو قائد من قواده ؛ ليأخذ منه الحكم بالطريقة التي أخذه أبوه أو جده... فإذا كان عدو غالب من التتار، أو غيرها اختفى النزاع في بعض الأحوال، أو سكن، وإن كان أمنٌ من الخارج ظهر النزاع قوياً غلاباً، وقد يستعين بعضهم بعدوٍ للفريقين في سبيل الاستكمال من خصمه؛ لينال منه مأرباً".(٣)

المطلب الثاني: الحياة الدينية

ويمكن أن نلخصها بما يلي :

أولاً – ازدهار النهضة الدينية في الأندلس ، ولعل من أبرز معالم هذه النهضة ظهور المؤلفات والعلوم في ربوع الأندلس، ونبوغ علماء كثر في علوم شتى ؛ فنجد النهضة في علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها .

ثانياً _ وأما المكان الذي كانت تعلم فيه العلوم فهو المسجد أو الجامع؛ حيث كان العلماء يلقون دروسهم فيها، فلم يكنلأهل الأندلس مدراس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في

(١) الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، المشهور حسن محمود سلمان، ص ١١٧، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، الجزء الخامس، ص ٢١٤-٢٤٥، مكتبة النهضة المصرية العامة، مصر و القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، وانظر تاريخ المسلمين ص ١١٧.

(٣) ابن تيمية ، للشيخ أبي زهرة ، ص ١٤١

المسجد[1].

ثالثاً – وقد نشأ القرطبي كعادة أقرانه ، حيث تعلم الكتابة، مع حفظ القرآن الكريمفي المكاتب الملحقة بالمساجد، وهذا في مرحلة ما قبل البلوغ .

رابعاً– أما مرحلة ما بعد البلوغ ؛ فيتم فيها التخصيص فهذا يختص بالتفسير وهذا في الحديث وهكذا.

خامساً – وفي مصر كان لانتشار المدارس والمساجد وبنائها الأثر البالغ في صقل شخصية القرطبي الدينية، فقد كان للمدارس أوقاف تنفق على طلابها الدارسين فيها، وهذا الفضل يرجع بعد فضل الله، للقائد (صلاح الدين الأيوبي) – رحمه الله – فقد جاء من ترجمته أنه: (رتب هذه الأوقاف العظيمة وليس فيها شيء منسوب إليه في الظاهر)[2].

وهذه النهضة العلمية أنجبت هذا العالم، وهو الإمام القرطبي، ولا عجب لمن عاصر هذه النهضة العلمية أن يكون عالماً ومؤلفاً ؛ سواء في مصر، أو في الأندلس ؛ لأن الشيء لا يستغرب إذا جاء من معدنه.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية

وتنقسم إلى:

أولاً: الحركة العلمية في الأندلس

عاش الإمام القرطبي في الأندلس في فترة، كانت الحركة العلمية نشطة مزدهرة، ومن أهم الأسباب لذلك:

أ – أن ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان من علماء عصره الكبار، ففسح المجال للعلم والعلماء، والحض على التعلم، ويشهد له في ذلك قوله لأتباعه في كتاب ألفه لهم: "أعزُ ما يطلب

---

(١) انظر: نفح الطيب (٢١١/١)، وتاريخ التعليم في الأندلس ، محمد عبد الحميد عيسى، ص ٢١٢، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م.

(٢) انظر: وفيات الأعيان (٢٠٧/٧).

وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، العلم، الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب، وأفضل المكاسب، وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال"[١].

ب – اقتداء الخلفاء والأمراء به من بعده ، حيث كانت لهم المساهمة، والقدم الراسخة في العلم والأدب[٢].

ج – كثرة الكتب ،والمؤلفات، وقد كان البعض من ملوك الأندلس كما جاء في (نفح الطيب): "يستجلبون المصنفات من الأقاليم والنواحي، باذلين فيها ما أمكن من الأموال، حتى ضاقت عنها خزائنهم، وكانوا ذو غرام بها"[٣].

د – حب الأمراء والملوك العلم لدرجة؛ أن أحدهم يبحث عن العلماء ؛ ليجمع العلوم مما لم يجمعه غيره، ويفوق من كان قبله من الحكام في ذلك[٤].

ه – محبة أهل قرطبة للعلم والمعرفة؛ إذ كان ذلك متأصلاً في هوايتهم ؛ لذلك تعددت الهيئات العلمية لديهم، وظهرت المؤلفات والعلوم في ربوع الأندلس، ونبغ علماء كثر في علوم شتى ؛ فنجد النهضة في علوم اللغة من نحو وبلاغة وأدب وشعر وحتى التاريخ [٥]، والمسجد أو الجامع هو المكان الذي كانت تعلم فيه العلوم حيث كان العلماء يلقون دروسهم فيها فلم يكن لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤون جميع العلوم في المسجد.(٤)

---

(١) انظر ؛ عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، ص ٦٤٥ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

(٢) انظر: المعجب، في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص ٣٥٦، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م.

(٣)انظر : نفح الطيب، (١/١٨٠-١٨٤).

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي،ص ٢١١، شرحه واعتنى به د. صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م .

(٥) نفح الطيب ج١/ص٢١٥، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الدكتور جودة هلال، ص ٩٦، المكتبة الثقافية.

(٤) المصدر السابق ج١/ ص٢١١ ، وتاريخ التعليم في الأندلس ، محمد عبد الحميد عيسى ، ص٢١٢، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م .

ثانياً: الحركة العلمية في مصر

فكما أسلفنا أنَّ الإمام القرطبي -رحمه الله - سافر إلى مصر، فكانت الحركة العلمية فيها مزدهرة، ولا سيما في عهد الأيوبيين والمماليك، وأبواب العلم مفتحة، وأن من أهم أسباب هذه النهضة العلمية هي:

أ- اجتماع علماء المشرق والمغرب في مصر، وذلك بسبب الفتك المغولي بالمشرق، والذي أدى إلى هجرة العلماء، وغيرهم إلى مصر ؛ لانتشار الأمن فيها، وأما المغرب فقد هجرها العلماء فراراً من بطش النصارى، أثر سقوط كثير من بلاد الأندلس في أيديهم، فكانت مصر مجمعاً للعلم والعلماء.

ب-انتشار المدارس والمساجد وبنائها فقد كان للمدارس أوقاف تنفق على طلابها الدارسين فيها ،

ت-وهذا الفضل يرجع بعد فضل الله للقائد صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -. (١)

ث-الحرية التامة في التعلم فلم يكن هناك من يخضع لضغوطات حكومية سواء المدرسين والطلاب، ولم يكن هناك أسلوباً مفروضاً عليهم، أو منهج معين [١].

ج- تشجيع الملوك والسلاطين للعلم والعلماء، عن طريق علاقاتهم الوطيدة بالعلماء، فأقبل الناس بهمة على طلب العلم، لطموحهم في الوصول إلى ما وصل إليه العلماء من الرتب والمزايا[٢].

وهذه النهضة العلمية أنجبت هذا العالم وهو الإمام القرطبي ولا عجب لمن عاصر هذه النهضة العلمية أن يكون عالماً ومؤلفاً سواء في مصر أو في الأندلس لأن الشيء لا يستغرب إذا جاء من معدنه.

---

(١) انظر : البحث نفسه ، ص ١٣ .

(٢) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي (١/ ٥٣).

(٣) انظر : الحركة الفكرية في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، عبد اللطيف حمزة، صفحة ١٤١ وما بعدها، تقديم جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، مصر - القاهرة.

المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية

وتنقسم إلى:

أولاً: الحياة الاجتماعية في الأندلس

لم تكن الأندلس تضم عرقاً واحداً يدينون بدين واحد، فقد كان سكانها ينتمون إلى ثلاثة أديان أساسية: المسلمون ، والنصارى ، واليهود، وينتمون عرقياً إلى عرب وبربر' والبربر كانوا خليطاً من جنسيات: فمنهم الآسيويون، ومنهم الأوربيون، ومنهم الأفارقة ،وأما المغرب فإن البربر هم السكان الأصليون فيها.

وكانت لغتهم البربرية هي السائدة ، وكان الموالي الداخلون في ولاية بني أُمية أكثرهم من المغرب ؛ بل لهم الدور الكبير في تأسيس دولة بني أُمية في الأندلس ،وكذلك كان هناك بعض من أسلم من الأسبان ويسمونهم (المسالمة)، وأيضاً هناك من المسلمينمن تزوج بالإسبانيات، فكان الجيل الذي نشأ منهم يسمى ب (المولدِّون)[١]، وقد اعتنى أهل الأندلس بالكسب والمال' سواء في الزراعة، أو في الرعي، أو مما كان متوفراً لديهم آنذاك، وكانوا يعدّون البطالة من جملة العار الذي يعاب عليه فاعله، حيث يقول صاحب(النفح) عن ذلك: "... والذي لم يوفقه الله للعلم ، يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالةً على الناس ؛ لأن هذا عندهم في غاية القبح"[٢]، وكانوا يحبون النظافة، ولا يرتدون العمائم و(الطليسان)(١)، بسبب تأثرهم بالنصارى، حتى أن البعض من علمائهم كانوا حاسروا الرأس عند الخروج من بيوتهم وقصورهم[٣].

ثانياً: الحياة الاجتماعية في مصر

كانت الحياة الاجتماعية في مصر على عهد الأيوبيين، والمماليك مكونة من أربع طبقات وهي:

---

(١) انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة لقرطبة، عبد العزيز سالم، صفحة ١١٩، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

(٢) انظر : نفح الطيب ج ١/ ص٢١١.

(٣) انظر : المصدر السابق ١/٢١٢: ٢١٣.

أ- طبقة السلاطين والأُمراء: وهذه الطبقة هي أعلى طبقات المجتمع، كانت تعيش في ترفٍ وغنى، بعيدة عن المآسي والأحزان' وكان ذلك كله على حساب الشعب الذي عاش حياة فقر وتعب' وتميزت هذه الطبقة بلباس، وأزياء خاصة بها، وكانت تسكن القاهرة[1].

ب-طبقة العلماء، والفقهاء ، والقضاة ، والكتّاب: وهؤلاء قد حظوا بسماع السلاطين لهم، وكانت كلمتهم مسموعة لدى المجتمع، وكان العلماء لا يسكتون عن المنكر؛ حتى لو صدر من الملوك، فكان السلاطين يخشون العلماء على عكس المعتاد، فكان أهل العلم ينصحون الأمراء ، يأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر ، وكانوا شجعاناً لا يخافون في الله لومة لائم[2].

ت-طبقة التجار والصنّاع: وهؤلاء كانوا متوسطي الحال، فلم يكونوا كالعلماء، ولا هم دون الفلاحين، بل كان السلاطين يقدرونهم، لأنهم كانوا يمدونهم بالمال، وخاصة وقت الشدائد والمحن.

ث-طبقة الفلاحين والعمّال: وهذه الطبقة هي أفقر أفراد المجتمع، فلم يكن لديهم اهتمام من قبل السلاطين، أو الأمراء، وكانوا ينالون القليل مما يخرج من الأرض، وكانوا لا يملكون حق ترك العمل، ومن ترك العمل يعرض نفسه للعقاب، ويعاد إلى عمله

---

(١) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، ٥/ ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق ، ٢٦٨/٥.

المبحث الثاني :

مولد الإمام القرطبي ونشأته وعلمه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولد الإمام القرطبي ونشأته.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ونشره .

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه .

المطلب الرابع : مؤلفاته.

المطلب الأول: مولد الإمام القرطبي ونشأته

أولاً: اسمه، ولقبه، وكنيته، ونسبته.

اسمه: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (بسكون الراء والحاء) الأنصاري الخزرجي المالكي[١] الأندلسي[٢]، شمس الدين أبوعبد الله القرطبي[٣]، أحد الأعلام المفسرين ، صاحب التفسير المشهور المعروف (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان)[٤].

لقبه: لم يعرف الإمام القرطبي بلقب اشتهر به، ولكن بعض العلماء يلقبونه بشمس الدين[٥].

كنيته: يكنى الإمام القرطبي بأبي عبد الله[٦].

نسبته: الخزرجي (بفتح الخاء، وسكون الزاي، وفتح الراء) نسبة إلى قبيلة الخزرج، وهيإحدي قبيلتي الأنصار الذين سكنوا المدينة، ومع توالي الفتوحات الإسلامية، وانتشار المسلمين في الآفاق، فكان تبعاً لذلك انتشار الخزرج في الآفاق بعد أن نصروا الرسول ﷺ ، وأصبحوا لا يسمون بالأوس والخزرج إلا قلة؛ منهم الإمام القرطبي وإنما بالأنصار.[٧]

---

(١) طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، صفحة ٩٢، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية بعابدين – الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م، مطبعة الحضارة العربية.

(٢) نسبة إلى الأندلس.

(٣) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤلفه: اسماعيل عيد باشا البغدادي، المجلد الثاني، صفحة ٦٥، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، سنة ١٩٥٥.

(٤) المنجد في اللغة والأعلام، المؤلف لويس معلوف ، القسم الثاني من الكتاب، صفحة ٤٣٥، طبعة جديدة ومنقحة، دار المشرق، بيروت، سنة ٢٠٠٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وأي القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (متوفى ٦٧١)، الجزء الأول، صفحة ٣٣، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

(٦) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، الجزء الثاني، صفحة (٤١٩)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة ١، ١٣٦٧هـ.

(٧) الأنساب، أبو سعيد الكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢هـ)، الجزء الخامس، صفحة (١٠٩) ، تقديم عبد الله البارودي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

ثانياً: مولده ونشأته:

مولده : ولد الإمام القرطبي في الأندلس، وتحديداً في قرطبة، أوائل القرن السابع الهجري ما بين ٦٠٠ – ٦١٠ هـ، ولم يتم تحديد سنة ولادته ؛ لأن القدماء لا يولون لتاريخ الولادة أهمية بخلاف تاريخ الوفاة.

نشأته : ونشأ القرطبي في قرطبة، وصار علماً من أعلامها، ونشأ من عائلة متوسطة الحال، حيث كان أبوه يشتغل بالزراعة، وبعد وفاة أبيه، وكان عمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره اشتغل بصناعة الخزف، ونقل الآجر، وكانت من الصناعات المنتشرة في قرطبة. (١)

ج – **وفاته:** وتوفي الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى – عام ٦٧١هـ .

المطلب الثاني : طلبه للعلم ونشره :

ومما يدل على طلبه للعلم،ماأوردته عنه كتب التراجم، أن أوقات القرطبي كانت ما بين توجه إلى الله، وعبادة وتصنيف، وأن له مؤلفات تدل على إمامته وفضله وكثرة إطلاعه، وكانت للإمام القرطبي – رحمه الله – مكانة علمية رفيعة، وهذا ما نراه واضحاً في التكلم عن علمه، وطلبه للعلم، ومن خلال شيوخه الذين أخذ منهم، وتلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، ورحلاته، وكذلك اشتهر القرطبي بكثرة الكتب، والتصانيف التي ألَّفها، ولم يشتهر – رحمه الله – بمناصب تقلدها، وإن من أهم أسباب ذلك زهده وورعه ؛ حيث أثنى عليه كل الذين ترجموا له، ووصفوها بالصلاح والعرفان ؛وذلك سنبينه حينما نذكر أقوال العلماء فيه.[٢]

أولاً: رحلاته:

- كانت له رحلات مع أبيه وهو صغير السن على مكة والمدينة والقدس وغيرها من البلاد وسمع من علمائها .
- كانت له رحلات طاف فيها بلدان المغرب ، ولقي العلماء فيها ؛ وذلك لسهولة الوصول إليها .

---

(١) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، المشهور حسن محمود سلمان، صفحة ١٨ – ١٩، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى' ١٩٩٣م، و قرطبة الإسلامية' في القرن الخامس الهجري، الشيخ محمد عبد الوهاب خلاف، صفحة ١٦٨، الدار التونسية، ١٤٠٤هـ.

(٢) الديباج لابن فرحون ، ج٢ / ص ٣٠٩

لم يغادر الإمام القرطبي – رحمه الله – مدينته، ومسقط رأسه إلا بعد أن أُحتلت، فسافر إلى مصر، وحصلت له في مصر رحلات، وسافر لمدن كثيرة منها:

١- الإسكندرية[١]: أول مدينة عربية التقت بالقادمين من المغرب العربي والأندلس، مكث القرطبي فيها برهة من الزمن، التقى فيها بعلماء أجلاّء، وأخذ عنهم، ومن هؤلاء العلماء: أبو العباس القرطبي، وأبي محمد بن رَواج، وأبي محمد عبد المعطي اللخمي، وكان القرطبي يصرح بالأخذ عنهم، وأحياناً يحدد مكان ذلك، فيقول عن (ابن رواج) : " أنبأناه. . . بمسجد بثغر الإسكندرية"[٢].

٢- الفيوم[٣]: وهي من المدن التي سافر إليها الإمام القرطبي برفقة الإمام القرافي[٤]، فقد جاء في الوافي بالوفيات: " ترافق القرطبي المفسر، والشيخ شهاب الدين القرافي في السفر إلى الفيوم وكل منها شيخ فَنه في عصره. . . "[٥].

٣- المنصورة[٦]: استقر القرطبي في هذه المدينة بعد أن قدم إليها سنة (٦٤٧هـ)، وكان قد تتلمذ على يد الشيخ (أبي علي الحسن بن محمد البكري)؛ حيث قرأ عليه بعض الكتب، وصرح القرطبي بذلك فقال: " قرأت على الإمام المحدث الحافظ (ابن علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري) بالجزيرة قبالة المنصورة من الديار المصرية".

---

(١) مدينة كبيرة من أقدم مدن مصر، وهي ذات حضارة عريقة، فيها منارة بولغ في وصفها إلى حد كبير اختلف في الذي بناها على أقوال. انظر: (معجم البلدان)، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الجزء الأول، صفحة ١٨٢، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

(٢) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين أبي عبد الله القرطبي (٦٧١هـ)، صفحة ١٣٨ و صفحة ٥٨٩، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

(٣) ولاية غربي مصر، تقع في منخفض من الأرض، والنيل أعلى منها، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر: (معجم البلدان) (٢٨٦/٤).

(٤) أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، (ت ٦٨٤هـ)، لقب بشهاب الدين، واشتهر بالقرافي نسبة إلى مصر، فقيه مالكي، له تصانيف منها: (أنوار البروق) و (الذخيرة) انظر: الأعلام (٩٤/١).

(٥) الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن آبيك الصفدي، الجزء الثاني، صفحة ١٢٢-١٢٣، اعتناء دوروتيا كرافولسكي، دار النشرات الإسلامية، أسسها هلموت ريتر ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، تنفيذ دار الأندلس – بيروت.

(٦) مدينة بقرب القيروان بالشمال الأفريقي، بناها المنصور بن القائم بن المهدي سنة (٣٣٧) انظر: معجم البلدان (٢١١/٥).

٤- القاهرة[١]: كانت هذه المدينة حاضرة مصر، وهي اليوم عاصمتها، تقع في طريق كل من يريد الصعيد، فعندما سافر القرطبي مر بها، وبقي فيها مدة زمنية [٢].

٥- منية بني الخصيب[٣]: هذه المدينة آخر محطات القرطبي في مصر، فيها استقر إلى أن توفي – رحمه الله – قال في الوافي: (توفي بمنية بني خصيب في الصعيد الأدنى بمصر)، وقد قضى وقته فيها بالعبادة، وكثرة التأليف، ولعل من أهم أسباب استقراره فيها ؛ أن أهل الصعيد آنذاك يغلب على حالهم الزهد، والتعبد فانقطع فيها للتأليف ، وعبادة الله عز وجل[٤].

ثانياً: شيوخه وتلاميذه.

أ – شيوخه في الأندلس:

١ – ابن أبي حجة: وهو أبو جعفر أحمد بن محمد القيسي، المعروف بابن أبي حجة (توفي ٦٤٣هـ)، وهو من أهل قرطبة، تصدى للإفتاء، وعلم العربية، من تصانيفه (تسديد اللسان بذكر أنواع البيان) وغيره([٥]).

٢ – أبو سليمان: ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري، (توفي ٦٣٢هـ)، من أهل قرطبة وأحد قضاتها، كان عادلاً في أحكامه ([٦]).

٣ – أبو عامر: يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري، توفي (٦٣٩هـ)، عالم جليل، حافظ ومحدث، تولى قضاء قرطبة، دقيق النظر [٧].

ب: شيوخه في مصر:

---

(١) مدينة بمصر، ضخمة تقع بجانب الفسطاط، يجمعها سور واحد، بناها جوهر الصقيلي. انظر: معجم البلدان، (٣٠١/٤).

(٢) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، مشهور بن حسن آل سلمان، ص ٣٩.

(٣) مدينة كبيرة، حسنة، يكثر فيها السكان، تقع على شاطئ النيل في الصعيد الأعلى، انظر: معجم البلدان(٥/ ٢١٨).

(٤) انظر: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، عبد اللطيف حمزة، صفحة ١٦٧-١٦٨، تقديم :جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، مصر – القاهرة.

(٥)هداية العارفين ، ٢ / ٦٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، ١٧٣/١.

(٧) المصدر السابق ، ٢٦٨/١٠.

١ – ابن رواج: وهو الإمام المحدث أبو محمد عبد الوهاب بن رواج، واسمه ظافر بن علي بن فتوح الأزدي الإسكندراني المالكي توفي سنة (٦٤٨هـ)[١].

٢ – ابن الجميزي: وهو العلامة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المصري الشافعي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ، وكان من أعلام الحديث والفقه والقراءات [٢].

٣ – أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن ابراهيم المالكي القرطبي، المتوفى سنة (٦٥٦هـ)، صاحب (المفهم في شرح صحيح مسلم)[٣].

٤ – الحسن البكري: هو الحسن بن محمد بن عمرو التيمي النيسابوري، ثم الدمشقي أبو علي صدر الدين البكري، المتوفى سنة (٦٥٦هـ).

ثالثاً: تلاميذه.

١ – ابنه شهاب الدين أحمد: تلقى من أبيه العلوم، وروى عن أبيه بالإجازة .[٤].

٢ – أبو بكر: محمد ابن الإمام كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين بن محمد بن الحسن ابن الميمون القسطلاني المصري، توفي سنة (٦٨٦هـ)، كان فقيهاً على مذهب الإمام مالك – رحمه الله – أخذ عن علماء كثر، وعلماء بمكة المكرمة، وغيرها من البلدان [٥].

٣ – أبو جعفر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، توفي سنة (٧٠٨هـ) كان حافظاً حجةً' شيخ القراء والمحدثين في الأندلس، له مصنفات كثيرة منها (الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام) .[٦]

---

(١) الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير ،صفحة ٦٥ –٦٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء :شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (٧٤٨هـ)، ٢٣/ ٨٠، تحقيق شعيب الأرناؤوط، تقديم د. بشار عواد معروف رئيس قسم التاريخ في جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦.

(٣) طبقات المفسرين: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (٩٤٥هـ)، الجزء الثاني. صفحة ٦٦، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤) طبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩ وما بعدها.

(٥) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، لابن تعزي بردى، الجزء السابع، صفحة رقم ٣٧٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٣٣.

(٦) الأعلام، الزركلي (١/٨٤–٨٥).

٤- أبو بكر: محمد ابن الإمام كمال الدين أبي العباس أحمد بن أمين الدين بن محمد ابن الحسن بن الميمون القسطلاني المصري، توفي سنة (٦٨٦هـ) كان فقيهاً على مذهب الإمام مالك (رحمه الله) أخذ عن علماء كثر وعلماء بمكة المكرمة وغيرها من البلدان[١].

٥- ضياء الدين: أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف بـ (السطربجي) من بغداد أجازه القرطبي بمناولة كتاب التذكرة[٢].

فهؤلاء الخمسة فقط هم تلاميذ الإمام القرطبي ولم يذكر في الكتب التي ترجمت له غيرهم (رحمهم الله) ولعلَّ من أهم الأسباب لذلك أنه بعد أن خرج من الأندلس مكسور القلب على احتلالها وتمكن الأعداء عليها انعزل عن مخالطة الناس فبقي إلى آخر حياته في الصعيد إلى أن مات رحمه الله[٣].

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه.

لقد أثنى عليه جميع علماء المسلمين الذين ترجموا له، لما قدمه من علوم أفادت المسلمين ؛ومن الأقوال التي قيلت في الثناء عليه:

١- فقد قيل عنه في (الديباج) :"كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة "[٤].

٢- كذلك أثنى عليه صاحب (فوات الوفيات) بقوله: " له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير الكتاب العزيز"[٥].

---

(١) انظر النجوم الزاهرة، (٣٧٣/٧).

(٢) انظر: الإمام القرطبي، (ص٩٤).

(٣) انظر: الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، (ص ٨٧ وما بعدها).

(٤) انظر: طبقات المفسرين: الداوودي (٩٤٥هـ)، ٢/ ٦٥.

(٥) فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، الجزء الأول، صفحة ٢٩٨، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان.

٣- الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) يقول عنه: " وعلى الجملة فإن القرطبي رحمه الله في تفسيره هذا حر في بحثه، نزيه في نقده، عف في مناقشته وجدله، ملم بالتفسير من جميع نواحيه، بارع في كل فن، استطرد إليه وتكلم فيه "(١).

٤- وقال عنه المقري(٢)صاحب كتاب (نفح الطيب): "أنه من الراحلين من الأندلس".

٥- وقال عنه ابن العماد(٣)في كتابه (شذرات الذهب): " كان من الغواصين على معاني الحديث ، حسن التصنيف جيد النقل ". (٤)

٦ - وقال عنه ابن فرحون(٥): "كان من عبادالله الصالحين والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، وكان قد اطرح التكلف' يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية". (٦)

---

(١) التفسير والمفسرون، بحث تفصيلي عن نشأة التفسير تطوره وألوانه ومذاهبه، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي، الجزء الثاني، صفحة ٤٦٤، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، القرشي المقري التلمساني، أبو عبد الله: باحث أديب، قاض، من أكابر المذهب المالكي في وقته، وشيخ لسان الدين ابن الخطيب، وعبد الرحمن بن خلدون (ت ٧٥٩) انظر. معجم أعلام الجزائر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر: لعادل نويهض صفحة: (٣١٢-٣١٣)، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة: الثانية' ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(٣) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجاً.

(٤) شذرات الذهب في اخبار من ذهب : عبد الحق بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح ، الجزء السابع ، صفحة ٥٨٥ ، المحقق عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط ، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة النشر : ١٤٠٦ – ١٩٨٦م .

(٥) ابن فرحون: هو إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة. وهو مغربي الأصل، نسبته إلى يعمر بن مالك، من عدنان. انظر الأعلام.

(٦) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، الجزء الاول، صفحة ١٦٤، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

المطلب الرابع : مؤلفاته

بينت كتب التراجم أن أوقات القرطبي كانت ما بين توجه إلى الله، وعبادة وتصنيف، وأن له مؤلفات تدل على إمامته، وفضله، وكثرة اطلاعه، فوجدت له كتباً في مختلف الفنون الإسلامية، والعربية؛ كالتفسير والحديث، والفقه، والزهد، والموعظة، واللغة، وكثير منها يعد موسوعة في فنه، ومن هذه التصانيف ما هو مطبوع، وما هو مخطوط، وما قد فقد، فلم يعثر عنه . وهنا سأتكلم عنها بإيجاز:

أولاً: مؤلفاته المطبوعة

أ- (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنَّ من السنة وآي الفرقان)، وهذا هو المشهور بتفسير القرطبي، وإن اسمه الكامل هو الذي ذكرناه اعتماداً على ما ذكره القرطبي في التذكرة[١].

ب-(التذكار في فضل الأذكار)[٢].

ت-(التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)[٣].

ث-(الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام)[٤].

ج- (قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة)[٥].

ثانياً: مؤلفاته المخطوطة

أ- (رسالة في ألقاب الحديث).

ب-- (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا)[٦].

ت-(الأعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام)[٧].

---

(١) انظر: التذكرة، (ص ١١٢، ١٨٦، ٣٨٨ وغيرها من الصفحات).

(٢) انظر: طبقات المفسرين، (٦٦/٢).

(٣) انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الجزء الثامن، صفحة ٢٤٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٤) انظر: إظهار الحق، رحمة الله ابن خليل الهندي (١٣٠٦هـ)، الجزء الثاني' صفحة ٣٩٥، تحقيق وتعليق محمد أحمد عبد القادر المكاوي، طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء. و تاريخ الأدب العربي، (٣٨٧/١ وما بعدها) كارل بروكلمان، الجزء الأول، صفحة ٣٨٧، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

(٥) انظر: هدية العارفين،(١٢٩/٢).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٥٦/١) ،(١٩١/٢) ، (٨٦/١٤).

(٧) انظر: المرجع السابق، (١٢٩/٢).

ث-(المقتبس في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس)[1].

ج- (المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح). [2]

ثالثاً: مؤلفاته المفقودة

أ- أُرجوزةٌ، (جمع فيها أسماء النبي ﷺ وشرحها). [3]

ب- (شرح التقصي)[4].

ت-(منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد). [5]

ث-(الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام والحجاز)[6].

ج- (اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية)[7].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧٣/١) ، (٩/٣) ،(٣٠/١٤) وغيرها. ولكن لم يذكره أحد من الذين ترجموا له.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي، (٧٣٧/١).

(٣) انظر: الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي، صفحة ٣١٧، ' تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة السعادة بمصر.

(٤) انظر: نفح الطيب، (٤٩/٢).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢١٦/١٥) ولم ينسبه أحد من المترجمين له.

(٦) انظر التذكار للقرطبي، (ص ٢٩).

(٧) انظر: تاريخ الأدب العربي، (٧٣٧/١).

الفصل الأول :

حقيقة النصارى وصفاتهم وفرقهم وعلاقتهم بغيرهم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: حقيقة النصارى وصفاتهم .

المبحثالثاني :فرق النصارى.

المبحث الثالث: علاقة النصارى بغيرهم .

المبحث الأول

حقيقة النصارى وصفاتهم وفرقهم

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف النصرانية لغة واصطلاحاً:

المطلب الثاني : نشأة النصرانية .

المطلب الثالث : مصادر العقيدة النصرانية .

المطلب الرابع : صفات النصارى وأخلاقهم .

المطلب الأول : تعريف النصرانية لغة واصطلاحاً:

أولاً :النصرانية لغة:قيل إنها نسبة إلى الناصرة، وهي قرية المسيح عليه السلام، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة النصرانية، وجمعه نصارى [(١)].

ثانياً : النصرانية اصطلاحا:هي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عيسى عليه السلام، وكتابهم الإنجيل.

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم المسيحية؛ وأول ما دُعيَ النصارى "بالمسيحيين" في أنطاكية حوالي سنة ٤٢م' ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم.

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم، ولافي السنة النبوية، كماأن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، وهي تسمية لاتوافق واقع النصارى ؛ لتحريفهم دين المسيح عليه السلام.

فالحق والصواب أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب ؛ لأن في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ ظاهر، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو منه بريء[(٢)].

---

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، ص١٦٣، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، لعرفان فاتح صفحة ١٧.

(٢) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، صفحة ٦٧، تحقيق محمد أحمد الحاج، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ –١٩٩٦م.

المطلب الثاني: نشأة النصرانية

إن الحديث عن تاريخ النصارى من المصادر النصرانية يكاد يكون مستحيلاًوذلك:

١ - أن التاريخ يعتمد اعتماداً كلياً على المصادر التاريخية المحفوظة، والنصوص، والروايات التي تبين كل حقبة من الحقب التاريخية ؛ وهذه المصادر مفقودة في النصرانية في أهم الفترات التاريخية المتعلقة بالنصرانية، وهي فترة الانقطاع التي أعقبت رفع عيسى – عليه السلام – إلى منتصف القرن الثاني الميلادي ؛ حيث تعد هذه الفترة أحرج الفترات ؛بسبب ندرة المصادر التي يعتمد عليها في بيان هذه الفترة، ولا يكاد يوجد إلا كتاب واحد هو كتاب أعمال الرسل يعتمد عليه في هذه الفترة، وقد عرج صاحب الكتاب في بدايته عن أصحاب عيسى – عليه السلام –، وذكرهم بشكل سريع، وفي باقي الكتاب أخذ يعدد مناقب بولس وأعماله، وعلى الرغم من ذلك، فإن المعلومات أيضاً اختفت مع بولس عند وصوله إلى روما، ويستندون بعد ذلك في تاريخهم على رسائل بولس الأربع عشرة ؛ التي تشير بشيء بسيط إلى الحقبة التاريخية التي مر بها بولس، ولا يذكر فيها شيئاً عن الحواريين البتة أصحاب عيسى – عليه السلام – الأصليين. (١)

٢ – تعرض النصاربللاضطهاد من قبل اليهود ،والتخبط الذي حصل في عقائدها، والتحريف الذي دخل في مصادرهم بسبب ذلك. (٢)

وقد مرت النصرانية في نشأتها بأطوار عديدة مختلفة، ويمكننا تقسيم نشأتها إلى أربعة أطوار:
الطور الأول– : في عهد عيسى عليه السلام، فقد كانت على دين الله الحق، ولما رفع الله تعالى عيسى عليه السلام، بقي عدد من أتباعه وأنصاره على الحق مدة يسيرة؛ حيث كان اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام يطاردونهم ويقتلونهم، ويُشون بهم عند السلطات(الحكام).

الطور الثاني–: استمر فيه اضطهاد اليهود لهم قرابة نصف قرن، فأدى ذلك إلى كتمان العلم، واندراس معالم النصرانية.

الطور الثالث–: ويبدأ في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وهو عهد كتابة الأناجيل المبتدعة، وهي عبارة عن اجتهادات لم تسمع من عيسى عليه السلام مشافهة، وبعضها من دس اليهود، واستمر هذا الطور ما يزيد على ثلاثة قرون.

---

(١)انظر : دراسات في الأديان : (١/١٧١) .

(٢)المرجع السابق : (١/١٧١)

عاشت فيه النصرانية في تخبط وافتراق، وتأثرت بالفلسفات، والآراء، والطقوس الوثنية السائدة، إضافة إلى ما لعبه اليهود خلال هذه الفترة، من الدس والتحريف وإشاعة الفرقة، والاختلاف العقدي، والمذهبي بين صفوف أتباع النصرانية.

كما أنه خلال هذه الفترة فُقِد النص الصحيح للإنجيل، وكُثرت الأناجيل إلى حد لا يمكن الاهتداء إلى نص الإنجيل الثابت.

الطور الرابع:-يبدأ بالتجمع النصراني الكبير الذي عقده (قسطنطين) ملك الرومان في (نيقية) سنة ٣٢٥م، وهو تجمع حاسم قرر فيه مبتدعة النصارى الاتجاه نحو النصرانية الضالة، والتي هي مزيج من الوثنية الرومانية السائدة آنذاك، ومن اليهودية المنحرفة ، وبقايا النصرانية المشوشة، والديانات الوثنية الهندية ، وفيه رسخت عند النصارى عقيدة التثليث الوثنية، وهو اعتقاد أن الله ثالث ثلاثة[1].ومما يجدر ذكره في نشأة الديانة النصرانية المحرفة، أنها تأثرت ببولس(شاول) اليهودي الذي اعتنق المسيحية عام ٣٨م أي بعد رفع المسيح، لإفسادها فاستطاع أن يغير اتجاهها، ويسير بها إلى التثليث، وكان عدواً لدوداً للمسيحيين، ويضطهدهم على استمرار، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل[2].

قال تعالى في ذم عقيدتهم: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾** ﴾ **[المائدة الآية ٧٣].**

المطلب الثالث: مصادر العقيدة النصرانية

أولاً: الكتاب المقدس.

النصارى يقدسون كلاً من العهد القديم(التوراة)، والعهد الجديد(الإنجيل) ويضمونها معاً في كتاب واحد ويطلقون عليهما اسم (الكتاب المقدس).

١- **العهد القديم عند النصارى:** "يتكون من ٤٦ سفراً يرجع تاريخها إلى ٣٥٠٠ سنة مضت. .

(١) انظر : الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، عرض عقدي وتاريخي ميسر، دكتور ناصر بن عبد الله القفاري، ودكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، ص(٦٩ – ٧٠)، نشر دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢

(٢) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، محمد ضياء الدين الأعظمي، الأستاذ بكلية الحديث الشريف، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص (٢٧)، مكتبة الرائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

وهي موضحة كالتالي حسب نوعية السفر.

أ- **أسفار التوراة:** عددها(٥) وتشمل التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية.

ب- أسفار تاريخية: عددها(١٦) وتشمل يشوع – القضاة – راعوث – صموئيل الأول والثاني– ملوك الأول والثاني–أخبار الأيام الأول والثاني – عزرا –نحمياأستير–طوبيايهوديت – مكابين الأول والثاني.

ح- **أسفار شعرية:** عددها(٧)وتشمل – أيوب–المزامير–الأمثال–الجامعة – نشيدالانشاد – حكمةسليمان – حكمةيشوع بن سيراخ.

د- أسفار نبوية: عددها(١٨)مقسمة إلى قسمين: - ١ - **الأنبياء الكبار:** وعددها(٥)وتشمل: إشعيا – ارميا – مراثي ارميا – حزقيال – دانيال.

٢- **الأنبياء الصغار:** عددها(١٣)وتشمل: هوشع – يوئيل – عاموس – عوبديا – يونان – ميخا – ناحوم – حبقوق–صفنيا – حجى – زكريا – ملاخى – باروخ[١].

٢- **العهد الجديد:** المقصود به الإنجيل، وهو كلمة يونانية تعني الخبر الطيب(البشارة)[٢]. ويتكون من٢٧ سفراً بيانها كالتالي:

أولاً: الأناجيل الأربعة.

١–**إنجيل القديس(متى)** : كتب حوالي سنة٤٥م ،ويعتقدآخرون أنه كتب نحو٦٠م، وعددإصحاحاته ٢٨، وعدد آياته١٠٧١مكونةمن ١٣٥٠٨كلمة ،وقد كتب لليهود ليبين لهم أن اليسوع المسيح هو"المسيحالمنتظر".

٢- **إنجيل القديس (مرقص)** : كتب حوالي سنة٦١م، وعددإصحاحاته١٦، مكونة من ٦٧١آية ، تحوي٨٦١٤كلمة ، وكتب للرومان ليبين لهم قوة المسيح.

٣- **إنجيل القديس (لوقا)** : كتب نحوسنة٦٣م، وعددإصحاحاته ٢٤ ، مكونة من ١١٥٣آية ، تحوي ١٤٤٦١ كلمة،وكتب لليونان ليبين خدمة المسيح.

٤- **إنجيل القديس (يوحنا):** كتب نحوسنة ٩٨م، وعدد إصحاحاته ٢١ ، مكونة من ٨٧٦ آية ،وتحوي ١٢٢١١ كلمة ، وكتب للجميع ليبين لاهوت السيد المسيح.

ثانياً: السفرالتاريخي. وهو سفر أعمال الرسل كتبه القديس لوقا نحو ٦٣ م ، وهو سجل لتاريخجهاد الكنيسة ، وتحقيق بركات الفدا، وانتشار الكرازة، وعدد إصحاحاته ٢٨

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس للقمص مرقس عزيز خليل صفحة ١٩ – ٢٠

(٢) انظر: دراسات في الأديان ص١٩٧.

مكونة من ١٠٠٧آية، وتشمل ١٥٠٠٥ كلمة.

ثانياً: الرسائل: وتتكون من :

١- **رسائل القديس بولس الرسول:** وعددها ١ رسالة كتبت في الفترة مابين سنة٥٠ -٦٠م ، وتتكون من ١٠٦ اصحاح، وتشمل ٢٣٢٣ آية وتحوي ٣١٣٤٧ كلمة.

٢- **الرسائل الجامعة (الكاثوليكيون):** وعددها ٧ رسائل ، هي (يعقوب-رسالتان لبطرس-ثلاث رسائل ليوحنا - رسالة ليهوذا)، وجميعها كتبت فيما بين٦٠ -٦٥ م ، وهي مكونة من ٢١اصحاح ، وتشمل ٤٣٢ آية تحتوي على ٩٣٧١ كلمة.

رابعاً: سفر النبوى(سفر الرؤيا).

وقد كتبه القديس يوحنا الحبيب ما بين ٨٠ - ٩٦ م قبل نياحته ، وتركه للعالم سنة ١٠٠ م.[(١)]

وأما عن الإنجيل عند المسلمين: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام هدى ونور وقد ثبت هذا من المصحف الشريف قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ **[المائدة آية: ٤٦].**

وهذا الإنجيل فقده النصارى، وصار عندهم بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولاينسبون أياً منها إلى المسيح عليه السلام، وإنما هي منسوبة إلى (متى) و(مرقص) و(لوقا) و(يوحنا)، وتحويشيئاًمن تاريخ عيسى - عليه السلام - حيث ذكر فيها ولادته، ثم تنقلاته في الدعوة، ثم نهايته بصلبه ، وقيامته في زعمهم، ثم صعوده إلى السماء. كما تحوي مواعظ منسوبة إليه وخطب، ومجادلات مع اليهود ومعجزات، وهذه الأناجيل أشبه ماتكون بكتب السيرة، كمابينها من الاختلاف، والتناقض الذي لايمكن التوفيق والجمع بينها. [(٢)]ويراد بكلمة (العهد) في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق، أي أنه ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه فأولهما يمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى عليه السلام؛والآخر يمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى - عليه السلام -[(٣)].

---

(١) انظر :استحالة تحريف الكتاب المقدس، للقمص مرقس عزيز خليل ص ٢٩-٣٠.

(٢) انظر: دراسات في الأديان ص ١٩٧ .

(٣) انظر :اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، لعلي عبد الواحد الوافي، ص (١٠)، نشر دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

ثالثاً: المجامع.

المجامع النصرانية : يعرفها النصارى بأنها: هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية، وأحوال الكنيسة.

والمجاميع النصرانية على نوعين:

١- **مجاميع محلية:** وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها.

٢- **مجاميع مسكونية(عالمية):** وهي التي تبحث في العقيدة النصرانية، ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها، ومخالفتها للديانة. (١)

وهي في حقيقتها هيئات إلزامية، فالناظر في تلك المجامع يجد أنها تنتهي، ولم يتفق المجتمعون على الأمور التي بحثت، فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال، أو إذلم يمكن الجبر والقسر يحدث الانقسام بأن تذهب كل مجموعة بقولها التي جاءت به. (٢)

ولتلك المجاميع أثر على عقيدة النصارى، إذ فيها تقرر عقيدتهم، وتفرض بقرار السلطان، ويلزمون بإتباع قراراته.

ومن أهم تلك المجاميع وقراراتها:

١- **مجمع نيقيه:**

إذ كان من قرارات هذا المجمع، تقرير ألوهية المسيح عليه السلام ، وأنه ابن الله–تعالى الله عن كفرهم– ، وأنه مساوٍ لله ﷻ، وأنه مولود منه غير مخلوق، كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامه من الموت. (٣)

٢ – **مجمع القسطنطينية:** قرروا فيه ألوهية روح القدس، ولعن وطرد من خالف ذلك، فاكتمل بذلك ثالوث النصارى.(٤)

٣ – **مجمع أفسس:**

قرروا فيه أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة، وأقنوم واحد، وأن مريم أم إلههم.

---

(١)انظر: دراسات في الأديان ص ٢٤٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٣) انظر : المرجع نفسه ص ٢٥٠.

(٤) انظر :المرجع نفسه ص ٢٥٦.

[1]فهذه أهم مجاميعهم، نجدهم اتفقوا جميعاً على كلمة الكفر في تأليه المسيح – عليه السلام –، وأنه إبن الله تعالى الله عن كفرهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ **[مريم الآيات: ٨٩ –٩٣]**، وهم قد جعلوا أنفسهم بذلك أرباباً من دون الله، ونصبوا أنفسهم في تقرير عبادته سبحانه وتعالى، وتضليل خلقه بكفرهم، قال تعالى: مبينًا كذبهم وافتراءهم ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **[التوبة: ٣٠]** تعالى الله عما يقولون علواً كبيرًا.

رابعاً– الرهبان والقسيسين: وليس فقط ما سبق ذكره يعد من مصادرهم، بل إن لكنائسهم، وزعمائها أثر في عقيدتهم، فهم كما حرفوا الإنجيل بأقاويل باطلة، وقرروا بمجامِعهم قرارات باطلة، وألزموا أتباعهم بها بقوة السلطان، نجدهم أيضاً في كنائسهم ، وزعمائها من قساوسة ، ورهبان، لهم أثراً أيضا في إصدار العقائد ، والشرائع ، وإلزامهم بها، قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[التوبة الآية: ٣١]**، وهذا التنوع في مصادرهم ، والتناقض فيما بينها هو ما جعلهم أشد الأمم افتراقاً وضلالاً ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ **[النور: ٤٠]**، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١)انظر: دراسات في الأديان ، ص ٢٥٦.

المطلب الرابع: صفات النصارى وأخلاقهم.

وهي عديدة بعضها وردت في القرآن، والأخرى وردت في السنة:

أولاً: صفاتهم وأخلاقهم في القرآن:

١- تأليف الكتب، ونسبتها إلى الله وتحريفها:

وقد ذكر هذا الوصف في غير آية من القرآن الكريم، وسوف أقوم بذكرها مع إضافة تفسير هذه الآيات من تفسير القرطبي، وهي كالتالي:

أ- ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " الثالثة قَوْلُهُ تَعَالَى: "بِأَيْدِيهِمْ" تَأْكِيدٌ، فَإِنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْكَتْبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ، وَقِيلَ: فَائِدَةُ" بِأَيْدِيهِمْ" بَيَانٌ لِجُرْمِهِمْ وَإِثْبَاتٌ لِمُجَاهَرَتِهِمْ' فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّى الْفِعْلَ أَشَدُّ مُوَاقَعَةً حَقِيقَةً فِي كَتْبِ أَيْدِيهِمْ. الرَّابِعَةُ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا التَّحْذِيرُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالزِّيَادَةِ فِي الشَّرْعِ' فَكُلُّ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ أَوِ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ فَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ' وَالْعَذَابِ مِمَّنْ لَمْ يَتَوَلَّهُ، وَإِنْ كَانَ رَأْيًا لَهُ. ،وَقَدْ حَذَّرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُمَّتَهُ لَمَّا قَدْ عَلِمَ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَقَالَ: (أَلَا مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً) الْحَدِيثَ، فَحَذَّرَهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ فِي الدِّينِ خِلَافَ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّتِهِ أَوْ سُنَّةِ أَصْحَابِهِ، فَيُضِلُّوا به الناس، وقد وقع ما حذره وشاع. كثر وَذَاعَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. الْخَامِسَةُ- قوله تعالى: " لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً " وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَأْخُذُونَهُ بِالْقِلَّةِ' إِمَّا لِفَنَائِهِ وَعَدَمِ ثَبَاتِهِ' وَإِمَّا لِكَوْنِهِ حَرَامًا ؛ لِأَنَّ الْحَرَامَ لَا بَرَكَةَ فِيهِ، وَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْكَلْبِيُّ: كَانَتْ صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي كِتَابِهِمْ رَبْعَةً أَسْمَرَ، فَجَعَلُوهُ آدَمَ سَبْطاً طَوِيلًا، وَقَالُوا لِأَصْحَابِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ: انْظُرُوا إِلَى صِفَةِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَيْسَ يشبهه نعت هذا، وكانت للأحبار والعلماء رئاسة وَمَكَاسِبُ' فَخَافُوا إِنْ بَيَّنُوا أَنْ تَذْهَبَ مَآكِلُهُمْ ورئاستهم' فَمِنْ

ثَمَّ غَيَّرُوا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: " فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ" قِيلَ مِنَ الْمَآكِلِ. وَقِيلَ مِنَ الْمَعَاصِي. وكرر الويل تغليظاً لفعلهم" .(١)

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨]

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١٣].

قال القرطبي في تفسيره ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أَيْ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيُلْقُونَ ذَلِكَ إِلَى الْعَوَامِّ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يُبَدِّلُونَ حُرُوفَهُ. وَ" يُحَرِّفُونَ" فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، أَيْ جَعَلْنَا قلوبهم قاسية محرفين".(٢)

٢_ إتباع هوى الشهوات أمام النص الإلهي

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١]. وهنا يوضح القرآن الكريم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر ؛ بحيث إنهم يؤمنون ببعض أحكام التوراة ويكفرون ببعضها الآخر، أما ما يخالف أهواءهم وشهواتهم ؛ فلا يؤمنون به، بل يقومون بتكذيبه وإنكاره.

٣_ تقديم الحياة الدنيا على الآخرة

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٨٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[البقرة: ١٧٤].

٤ _ التكذيب والإعراض:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

---

(١) تفسير القرطبي: ٢ / ٨.

(٢) تفسير القرطبي: ٦ /١١٥.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْيَهُودَ لَيْسَتْ مُتَّبِعَةً قِبْلَةَ النَّصَارَى وَلَا النَّصَارَى مُتَّبِعَةً قِبْلَةَ الْيَهُودِ، عَنِ السُّدِّيِّ وَابْنِ زَيْدٍ. فَهَذَا إِعْلَامٌ بِاخْتِلَافِهِمْ وَتَدَابُرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ. وَقَالَ قَوْمٌ: الْمَعْنَى وَمَا مَنِ اتَّبَعَكَ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بِمُتَّبِعٍ قِبْلَةَ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ، وَلَا مَنْ لَمْ يُسْلِمْ قِبْلَةَ مَنْ أَسْلَمَ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ" الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ مِمَّنْ يَجُوزُ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَيَصِيرَ بِاتِّبَاعِهِ ظَالِمًا، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَكُونُ بِهِ ظَالِمًا، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى إِرَادَةِ أُمَّتِهِ لِعِصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَطَعْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنْهُ، وَخُوطِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمًا لِلْأَمْرِ وَلِأَنَّهُ الْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ. (١)

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٣].

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٠].

٥_ كفرهم بما جآءهم من الحق بعد معرفته:

قال تعالى :[وَلَمَّا جَاءَهُمْ كتاب مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِين].

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

(١)تفسير القرطبي ، (٢/ ١٦٣)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[البقرة: ١٧٤].

في الآيات السابقة يبين الله سبحانه وتعالى، أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعلمون أن محمداً مرسل من ربه، ويعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولكن رهبانهم وقسيسيهم ؛ يأبوا أن يؤمنوا به خوفاً على مصالحهم. (١)

٦_ كراهية الخير للموحدين وحب انتشار الكفر بين المؤمنين:

قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ الْمَعْنَى: لَيْسَ غَرَضُهُمْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ أَنْ يُؤْمِنُوا، بَلْ لَوْ أَتَيْتَهُمْ بِكُلِ مَا يَسْأَلُونَ لَمْ يَرْضَوْا عَنْكَ، وَإِنَّمَا يُرْضِيهِمْ تَرْكُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وإتباعهم (٢).

قال تعالى : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

---

(١) المصدر السابق ، (٩٢/٢)

(٢) تفسير القرطبي ، (١٤٤/٤).

٧_ الاختلاف في الدين بعد العلم:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[آل عمران: ١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ**﴾ الْآيَةَ. أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ اخْتِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُم كَانَوا عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ بِالْحَقَائِقِ، وَأَنَّهُ كَانَ بَغْيًا وطلباً للدنيا. قال ابْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ. وَالْمَعْنَى: وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ: الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ النَّصَارَى، وَهِيَ تَوْبِيخٌ لِنَصَارَى نَجْرَانَ. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: الْمُرَادُ بِهَا الْيَهُودُ. وَلَفْظُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَعُمُّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، أَيْ" وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ" يَعْنِي فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْعِلْمُ" يَعْنِي بَيَانَ صِفَتِهِ وَنُبُوَّتِهِ فِي كُتُبِهِمْ. وَقِيلَ: ؟ أَيْ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِنْجِيلَ فِي أَمْرِ عِيسَى، وَفَرَّقُوا فِيهِ الْقَوْلَ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. (١)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الجاثية: ١٦-١٧].

٨_ الغلو وينقسم إلى قسمين:

أ _ الغلو في الأنبياء وتأليههم:

قال تعالى : **﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[آل عمران: ٦٤]**

قال تعالى: **﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[النساء: ١٧١].**

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢ –٧٣].

وفي هذه الآيات يحكم الله سبحانه وتعالى بكفر الذين جعلوا المسيح بن مريم هو الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ويوضح كذلك الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى – عليه السلام –، أن عيسى ما هو إلا عبد لله تعالى مثله مثل باقي الناس، إلا أن الله اختصه بالرسالة، ودعوة الناس إلى عبادة الله، وبيان الطريق الحق الواجب إتباعها، وان من يكفر بالله ورسوله عيسى ؛ فان الله تعالى حرم عليه دخول الجنة، وأن مصيره النار، وليس لهم من دون الله تعالى معين ونصير، وفي الآية التي تليها يحكم الله سبحانه وتعالى بكفر الذين يقولون بأن الله ثالث ثلاثة، ويجعلون ذلك من صلب عقيدتهم.

قال القرطبي في تفسير هذه الآيات: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ هَذَا قَوْلُ الْيَعْقُوبِيَّةِ فرد الله عليهم ذَلِكَ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِمَّا يُقِرُّونَ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أَيْ إِذَا كَانَ الْمَسِيحُ يَقُولُ: يَا رَبِّ وَيَا اللَّهُ فَكَيْفَ يَدْعُو نَفْسَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْأَلُهَا؟ هَذَا مُحَالٌ. ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل: وهو مِنْ قَوْلِ عِيسَى، وَقِيلَ: ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِشْرَاكُ أَنْ يَعْتَقِدَ مَعَهُ مُوجِدًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾. "أَيْ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ وَهَذَا قَوْلُ فِرَقِ النَّصَارَى مِنَ الْمَلِكِيَّةِ، وَالنُّسْطُورِيَّةِ اليعقوبية ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحُ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَلَا يَقُولُونَ ثَلَاثَةَ آلِهَةٍ، وَهُوَ مَعْنَى مَذْهَبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْعِبَارَةِ وَهِيَ لَازِمَةٌ لَهُمْ، وَمَا كَانَ هكذا صح أن يُحْكَى بِالْعِبَارَةِ اللَّازِمَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الِابْنَ إِلَهٌ وَالْأَبَ إِلَهٌ وَرُوحَ الْقُدُسِ إِلَهٌ. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أَيْ أَنَّ الْإِلَهَ لَا يَتَعَدَّدُ، وَهُمْ يَلْزَمُهُمُ الْقَوْلُ بِثَلَاثَةِ آلِهَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحُوا بِذَلِكَ لفظاً قوله تَعَالَى:﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا ﴾أَيْ يَكُفُّوا عَنِ الْقَوْلِ بِالتَّثْلِيثِ لَيَمَسَّنَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، (أَفَلا يَتُوبُونَ) تَقْرِيرٌ وَتَوْبِيخٌ، أَيْ فَلْيَتُوبُوا إِلَيْهِ وَلْيَسْأَلُوهُ سَتْرَ ذُنُوبِهِمْ، وَالْمُرَادُ الْكَفَرَةُ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْكَفَرَةُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الْقَائِلُونَ بذلك دون المؤمنين". (١)

(١) تفسير القرطبي (٦ /٢٤٩–٢٥٠).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال القرطبي في تفسيره: "وَظَاهِرُ قَوْلِ النَّصَارَى أَنَّ المَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ' إِنَّمَا أَرَادُوا بُنُوَّةَ النَّسْلِ كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَلِكَ يَقْتَضِي قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَالطَّبَرِيِّ وغيرهما، وَهَذَا أَشْنَعُ الْكُفْرِ، قَالَ أَبُو الْمَعَالِي: أَطْبَقَتِ النَّصَارَى عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ وَأَنَّهُ ابْنُ إِلَهٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيُقَالُ إِنَّ بَعْضَهُمْ يعتقد ها بُنُوَّةَ حُنُوٍّ وَرَحْمَةٍ. وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا لَا يَحِلُّ أَنْ تُطْلَقَ الْبُنُوَّةُ عَلَيْهِ، وَهُوَ كُفْرٌ. الثَّالِثَةُ- قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: فِي هَذَا دَلِيلٌ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِ غَيْرِهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَبْتَدِئَ بِهِ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْطِقُ بِهِ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِعْظَامِ لَهُ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ وَلَوْ شَاءَ رَبُّنَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَحَدٌ، فَإِذَا مَكَّنَ مِنْ إِطْلَاقِ الْأَلْسُنِ بِهِ فَقَدْ أَذِنَ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُ عَلَى مَعْنَى إِنْكَارِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ بالحجة والبرهان". (١)

ب_ الغلو في رجال الدين وتنزيلهم منزل الإله:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة :٣١].

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية قَوْلِهِ تَعَالَى: (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) "الْأَحْبَارُ جَمْعُ حَبْرٍ، وَهُوَ الَّذِي يُحَسِّنُ الْقَوْلَ وَيُنَظِّمُهُ وَيُتْقِنُهُ بِحُسْنِ الْبَيَانِ عَنْهُ. وَمِنْهُ ثَوْبٌ مُحَبَّرٌ أَيْ جَمَعَ الزِّينَةَ.

رَوَى الْأَعْمَشُ وَسُفْيَانُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِى الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: سُئِلَ حُذَيْفَةُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ" هَلْ عبد وهم؟ فَقَالَ لَا، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاسْتَحَلُّوهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَحَرَّمُوهُ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ) وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ" بَرَاءَةٌ" (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) ثُمَّ قَالَ: (أَمَا إنهم لم يكونوا يعبد ونهم وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ) "(٢).

---

(١) المصدر السابق ، (١١٧/٨).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» ج٧ / ١٠٦، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى ١٠/ ١١٦رواه الترمذي في

٩_ كثرة المجادلة بجهل وعلى باطل:

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ بِسَبَبِ دَعْوَى كُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَلَى دِينِهِ،فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ إِنَّمَا كَانَتَا من بعده ،فذلك قَوْلُهُ: ﴿**أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ**﴾. قَالَ الزَّجَّاجُ: "هَذِهِ الْآيَةُ أَبْيَنُ حُجَّةً عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، إِذِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ أُنْزِلَا مِنْ بَعْدِهِ وَلَيْسَ فِيهِمَااسْمٌ لِوَاحِدٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَاسْمُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ كِتَابٍ. وَيُقَالُ: كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى أَيْضًا أَلْفُ سَنَةٍ. ﴿**أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾دحوض حجتكم وبطلان قولكم. والله أعلم ". [١]

١٠_ ليس لهم ولاء ولا براء:

قال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٨٠].

١١_ إنكار وجحود نبوة الرسول ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[البقرة: ٨٩].

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة: ١٠١].

قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف: ٦].

١٢_ سب الله تعالى:

قال تعالى :﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١١٦].

سننه حديث رقم ٣٠٩٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي. قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ. وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ.

(١) تفسير القرطبي(٤/١٠٧).

قال تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[النساء: ١٧١].

قال تعالى :﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[يونس: ٦٨].

١٣_ كتمان العلم: وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة ١٥٩].

بين الله تعالى في الآيات السابقة كذب، وافتراءات اليهود والنصارى، وذلك من خلال كتمانهم العلم الذي أمرهم الله تعالى بتبليغه للناس، ومن اجل الفوز بأهداف دنيوية، فهم باعوا دنياهم بآخرتهم.

١٤_ الرهبانية.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧]؛ " أَيْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ حَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمَشَقَّاتِ فِي الِامْتِنَاعِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالنِّكَاحِ وَالتَّعَلُّقِ بِالْكُهُوفِ وَالصَّوَامِعِ، وَذَلِكَ أَنَّ مُلُوكَهُمْ غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا وَبَقِيَ نَفَرٌ قَلِيلٌ فَتَرَهَّبُوا وَتَبَتَّلُوا. قَالَ الضَّحَّاكُ: إِنَّ مُلُوكاً بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْتَكَبُوا الْمَحَارِمَ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، فَأَنْكَرَهَا عَلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بَقِيَ عَلَى مِنْهَاجِ

عِيسَى فَقَتَلُوهُمْ' فَقَالَ قَوْمٌ بَقُوا بَعْدَهُمْ: نَحْنُ إِذَا نَهَيْنَاهُمْ قَتَلُونَا فَلَيْس يَسَعُنَا الْمَقَامُ بَيْنَهُمْ' فَاعْتَزَلُوا النَّاسَ، وَاتَّخَذُوا الصَّوَامِعَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الرَّهْبَانِيَّةُ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا رَفْضُ النِّسَاءِ وَاتِّخَاذِ الصوامع ". [1]

١٥_ جعل حق التشريع لغير الله قال تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** ﴾ **[التوبة: ٣١]** وذلك بان أحبارهم وقسيسيهم، جعلوا لأنفسهم حق مغفرة الذنوب، والتجاوز عن الأفعال الخاطئة، ووضعوا معهم صكوك غفران تمنح للتائب، وبهذه الصكوك الممنوحة للمسيحي يدخل الجنة، ولا حسيب ولا رقيب عليه، وكل من يخرج عن مسارهم يمنع من منح هذه الصكوك، ويكون ملعوناً ومطروداً من الجنة، فهم بهذا نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله تعالى.

١٦_ احتقار ما عند الخصم: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ** ﴾ **[البقرة: ١١٣]**

٢٤_ الاختلاف بسبب البغي: قال تعالى: ﴿ **فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾** ﴾ **[الجاثية: ١٧]** وهذه أدى إلى حروب طاحنة بينهم.

١٧_ التفرق: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)** [2]فهذا دليل واضح على كثرة فرقهم واختلافهم، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ** ﴾ **[آل عمران: ١٠٥]**.

١٨_ قسوة القلوب: قال تعالى: ﴿ ۞ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾** ﴾ **[الحديد: ١٦]**[3].

---

(١) تفسير القرطبي : (١٧ / ٢٦٢ _ ٢٦٦)

(٢) أخرجه أبو داود (٢ / ٥٠٣ – طبع الحلبي)، والترمذي (٣ / ٣٦٧)، وابن ماجه (٢ / ٤٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٣٤)، والآجري في «الشريعة» (ص ٢٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) وأبو يعلى في «مسنده»، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١ / ٢١٧)

(٣) انظر: كتاب رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، لمحمد بن ابراهيم الحمد ص (١٤٥-١٤٧)، سنة ١٤٢٩ هـ، اقتباس من موقع دعوة الإسلام www. toislam. net

ثانياً: نماذج من صفات النصارى في السنة:

١_ الفتنة بالنساء:

قال النبي ﷺ :(**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**) [1] .

٢_ كثرة السؤال والاختلاف على الأنبياء:

كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: ﷺ : (**ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم؛ فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**)[2].

٣_ التشدد: قال النبي ﷺ(**لا تشدِّدوا على أنفسكم فيُشَدَّد عليكم؛ فإن قوماً شدَّدوا على أنفسهم؛ فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار**)[3].

٤_ التفرقة العنصرية:

كما في الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنهما – قال النبي ﷺ (**أن قريشاً أهمهم شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم رسول الله ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبُّ رسول الله ؟. فكلَّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله ؟. ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)[4].

٥_ اتخاذ القبور مساجد:

كما في صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله قال النبي ﷺ: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**)[5][1].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ، الجزء الرابع، حديث رقم ٢٧٤٢، صفحة رقم ٢٠٩٨، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان فتنة النساء، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٥٤.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، كتاب الفضائل، حديث رقم (١٧٣٧)، ٣١٥/١.

(٣) سنن أبو داوود، حديث رقم (٤٩٠٤)، باب في الحسد، ٢٧٦/٤.

(٤) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي.

(٥) المرجع السابق، حديث رقم (٥٣٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على

الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، ١/٣٧٧.

(١) انظر كتاب رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، لمحمد الحمد ص١٤٨.

المبحث الثاني: فرق النصارى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فرق النصارى القديمة .

المطلب الثاني : فرق النصارى الحديثة .

مما لا شك فيه أن النصارى واليهود افترقوا على دينهم، وزادت فرقهم على السبعين فرقة، وقد أخبر النبيﷺ بذلك فقال: "**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**"[١]، وذلك بعد أن كانت أمة قائمة على التوحيد، وبالتالي نجد أن تفرقهم معلوم عندنا من الكتاب والسنة؛ فمن الكتاب نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة: ٤][٢].

قال ابن القيم مبيناً شدة تفرقهم واختلافهم: "فلا نعلم أمة من الأمم أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم؛ فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر". [٣]

المطلب الأول: فرق النصارى القديمة:

النصرانية من الديانات التي أخبرنا ﷺعن اختلافها وافتراقها قال ﷺ:"**افترقتاليهود على إحدى أوثنتين سبعين فرقة و افترقت النصارى على احدى و سبعين فرقة و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة**"[٤]، إلا أنها من أشدها افتراقاً واختلافاً وافتراء على الله تعالى، ومن أجل ماختلفت فيه توحيد الله تعالى الذي هو أساس الخلق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ **[الذاريات: ٥٦]**، وما إن دخل بولس اليهودي دين النصارى؛ حتى انتشر الشرك والبدع، والخرافات في دينهم، واضطهد أصحاب التوحيد بتأييد من السلطان في كثير من المجاميع كما سبق ذكره.

والناظر لفرق النصارى بعد تلك المجاميع، يجدها اتفقت في الشرك بالله، وتأليه عيسى عليه السلام، والقول بالتثليث، لكنهم مختلفون في ماهية ذلك، وسنذكر هنا أكبر وأشهر فرقهم القديمة وأتباعها، وما ذهبت إليه من اعتقاد، ويمكن أن نقسمها إلى أقسام ثلاثة وهي:

---

(١) سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم ٤٥٩٦، ص(١٩٨).

(٢) انظر فرق النصارى وأثر التحريف على تفرقهم، إعداد الطالب عبد الله بن أحمد بن حمد البدر، إشراف الدكتور عبد الله بن عمر العبد الكريم الفصل الأول سنة ١٤٣٠ هـ – ١٤٣١هـ.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٣٨٠.

(٤) سبق تخريجه ص٤٣.

١ _ الفرق النصرانية الموحدة:

كانت النصرانية في بداية نشأتها قائمة على التوحيدالذي جاء به عيسى -عليه السلام-، من عند الله جل وعلا، غير أن الشركيات تسللت إلى هذه الديانة منذ وقت مبكر، إلا أن هناك أقواماً ظلّوا على التوحيد الصحيح حتى مبعث نبينا محمد ﷺ، والتي جاءت شريعته بنسخ الشرائع قبله، وأبرز هذه الطوائف التي بقيت على التوحيد:

أ – اليهودية المسيحية: وهي مجموعة بقيت بعد المسيح كوّنت طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد، وتحفظ تعاليمها ، وكانت اليهودية المسيحية تمثل حتى العام ٧٠م غالبية الكنيسة ،وكانت منتشرة في كل مكان قبل دعوة بولس.

وكانت علاقة اليهود المسيحيين ببولس في غاية العداء، إذ كان بولس يعتبر معتقدات هذه الفرقة مثل الختان، ومراعاة السبت، وديانة المعبد، أموراً بالية.

وكان اليهود المسيحيون ينظرون إلى بولس بأنه خائن، وكانت العداوة بينهم مستمرة، وفي جميع البلاد[1]، وبانقطاع اليهود المسيحيين عن الكنيسة الكبرى ، سرعان ما تبددوا في الغرب، ولم يعد لهم وجود فعلي[2].

ب – الأبيونية:

وهم أتباع القسيس(أبيون)، وكانت هذه الفرقة تؤمن بجميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تتحدث عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح، وكان لهم إنجيل خاص بهم، وهو ضمن الأناجيل المحرمة في مجمع نيقية، وانقرضت هذه الفرقة بعد القرن الرابع[3].

ج – فرقة الشمشاطي:

تنسب إلى (بولس الشمشاطي)، وكان ينكر ألوهية المسيح، وكان يقول: إن عيسى عبدالله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ويقول: "لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس"[1].

---

(١) انظر الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، سعد رستم، صفحة (٢١)، مكتبة دمشق، الطبعة . الأولى ٢٠٠٣ م، الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م.

(٢) انظر الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، ص (٧٤)، الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤.

(٣) انظر الفرق والمذاهب المسيحية، نهاد خياطة، ص (٧٦).

د – الآريسيون: سميت بذلك نسبة إلى (آريوس) الذي نفى الألوهية عن المسيح، واعتبره مخلوقاً،فقال: إن المسيح عبدالله كسائر الأنبياء والرسل، وهو مربوب مخلوق مصنوع[٢]، وقد نفي (آريوس) بسبب عقيدته هذه، إلا أنه أصبح له مؤيدون وأتباع ،فأصبحت هذه المسألة مثار الجدل في الكنيسة لأكثر من نصف قرن ،وقد أدّى اللغط في هذه المسألة إلى انعقاد أول مجمع مسكوني في نيقية عام ٣٢٥م ،والذي اتفقوا فيه على العقيدة النيقاويةوصارت دستور الإيمان المسيحي الأرثوذكسي.

وأهم ما في هذه العقيدة أنها أكّدت أن ابن الله لم يُخلق، بل وُلد، وبالتالي فهو من نفس جوهر الآب؛ أي مساوٍ له في الألوهية، فالابن جزء من الثالوث، وليس جزءاً من المخلوقات، وكانت هذه أول عقيدة يتم فرضها على جميع الكنائس، ولم تكن عقيدة شمولية قبلها، وأُرفق تثبيت هذه العقيدة بتحريم تعليم (آريوس)واعتباره زندقة. ومع أن لعن (آريوس)[٣]، وتحريم تعليمه إلا أن تعليمه لم يمت، فقد تابعه الكثيرون الذي كانوا يعتقدون قوله، ورفضوا قرار مجمع نيقية، بل إن الإمبراطور قسطنطين استدعى آريوس من منفاه، وسمح له بالعودة لوطنه' وبرزت شخصيتان مهمتان تؤيدان آراء آريوس الأولى: الإمبراطور (قسطنطيوس الثاني) خليفة (قسطنطين الأول). والثانية: الأسقف (يوزيبيوس النيقوميدي)، الذي أصبح فيما بعد بطريرك القسطنطينية، وصار أحد قادة العقيدة الآريوسية[٤]

وفي عام ٣٥٩م، سادت الآريوسية في ربوع الإمبراطورية، وأصبحت تمثل العقيدة الرسمية لها؛وبعد وفاة الإمبراطور (قسطنطيوس الثاني) عام (٣٦١م) ،وحكم (فالينس) الذي قام باضطهاد الآريانيين، ومهّد الطريق لانتصار العقيدة النيقاوية، ومع ذلك؛ فإن الأسقف (يولفيلاس) كان قد نشر الإيمان المسيحي طبقاً للعقيدة الآريانية بين شعبه، الذين أصرّوا على المحافظة على هذه العقيدة كمُميّز لهويتهم القومية[٥].

٢ – الفرق الشركية التي رافقت نشأة النصرانية وحتى ظهور الدين الإسلامي:

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، محمد ضياء الدين الأعظمي، ص(٤٦٣) .
(٢) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص (٤٦٣).
(٣) انظر : هداية الحيارى، ص (٣٨٣)
(٤) المرجع السابق ، ص (٣٨٣).
(٥) دراسات في اليهودية والنصرانية ، ص (٤٦١).

أ – فرقة المرقيونية: تنسب هذه الفرقة إلى (مرقيون)، وكان من رجال القرن الثاني الميلادي، وحكم عليه بالطرد والحرمان ؛ لاعتقاده بوجود إلهين:

أحدهما: العادل الذي أنزل التوراة على موسى، وجعله شعباً مختاراً.

الثاني: المخلص وتمثّل بشخصية عيسى –عليه السلام–الذي خلص الإنسان من خطاياه.

ينطلق (مرقيون) في تفكيره من مبدأ الفصل التام بين مسيحية مستقلة عن التوراة تقوم على إنجيل وحده في شكله المشذّب والمختصر من قبله، وعلى رسائل بولس الرسول، ذلك أن بولس في رأي مرقيون هو الذي فهم الإنجيل حق الفهم من دون بقية الرسل، بعد أن تجلى له المسيح على طريق دمشق، وأوكل له مهمة التبشير بالإنجيل الحقيقي، فعارض منذ البداية المسيحية اليهودية التي كان بطرس وزملاؤه يدعون إليها[١].

ب – فرقة البربرانية.

وكانت تنادي بألوهية المسيح وأمه‘ وقد انقرضت هذه الفرقة‘ إلا أنها تركت آثاراً سيئة على النصرانية[٢].

ج – فرقة اليان.

وهذه الفرقة تؤله المسيح وتقرر أنه ابن الله‘ وتصور حقيقته، وحمل أمه به، وقصة صلبه في صورة خاصة‘ وترى أن القتل والصلب كانا على الخيال، والظن لا على الحقيقة[٣].

د – فرقة التثليث.

وهذه الفرقة ترى أن الإله له ثلاثة أقانيم، وهي الأب والابن وروح القدس، وهذه الفرقة هي التي أصبحت فيما بعد المذهب المسيحي الرسمي لجميع المسيحيين بعد مجمع نيقية[٤].

هـ – المونوفيزية.

وهم أصحاب الطبيعة الواحدة في المسيح ،ولعل أشد غلاة هذا المذهب (أفتيخيس) الذي ذهب إلى أن المسيح كان قبل التجسد ذا طبيعتين ،لكنه بعد التجسد تلاشت الطبيعة البشرية أمام

---

(١) انظر دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، ص (٤٦٢).

(٢) المرجع السابق ، ص (٤٦٢).

(٣) المرجع نفسه، ص (٤٦٢).

(٤) المرجع نفسه، ص (٤٦٢).

الطبيعة الإلـهية ،على أن (سفيروس الأنطاكي) ضبط المنوفيزية المعتدلة، والتي أخذ بها مَن عُرفوا باليعاقبة فيما بعد[١].

و – المونوتيلية.

وهم أصحاب المشيئة الواحدة ،وهذا القول إنما جاء من قبل بطريرك القسطنطينية (سرجيوس) (ت٦٣٨م)، في محاولة منه لكسب ولاء المونوفيزية؛ أقباطاً ويعاقبة، لبيزنطة التي كان يتهدد إمبراطوريتها العرب من الجنوب ،والفرس من الشرق،وهذا القول يصل إلى النتيجة التي تقول بها المونوفيزية[٢].

٣ – الفرق النصرانية الشركية بعد ظهور الإسلام وحتى انقسام الكنيستين.

أ – فرقة الملكانية.

أصحاب(ملكا) الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، [٣]وهي أكبر الفرق، ومذهب جميع ملوك النصارى،وعامة أهل كل مملكة للنصارى، عدا الحبشة والنوبة، ومذهب جميع نصارى أفريقيا ، وصقلية ، والأندلس ، وجمهور الشام[٤].

عقائدها:

إن الله–تعالى عن كفرهم – عبارة عن ثلاث أسباب(ابن، أب، روح القدس)كلها لم تزل، وأن عيسى – عليه السلام – إله تام كله، وإنسان تام كله ليس لأحدهما دون الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله ذلك، وإن مريم هي التي ولدت الإله والإنسان، وأنهما معاً شيء واحد تعالى الله عن كفرهم علواً كبيراً.

كما قالوا إن الكلمة اتحدت بجسده، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا ؛ بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: أن الكلمة مازجت المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

---

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية من البدايات، نهاد خياطة، ص (١٠٢).

(٢) الفرق والمذاهب المسيحية من البدايات، ص (١٠٣).

(٣) انظر: الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ)، الجزء الأول صفحة ٢٢٢، نشر مكتبة الحلبي.

(٤) الفصل في الملل والنحل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (توفي: ٤٥٦هـ)، الجزء الأول، صفحة ٤٨، مكتبة الخانجي، القاهرة،

وصرحت الملكانية أن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة، وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث[١].

ب – فرقة النسطورية:

أصحاب (نسطور الحكيم) الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه[٢]، وهم غالباً مايكونون في الموصل ، والعراق ، وفارس ، وخراسان[٣].

عقائدهم:

أ – قالوا: إن الله – تعالى عن كفرهم – واحد ذو أقانيم ثلاثة(الوجود، والعلم، والحياة) وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولاهي صور، واتحدت الكلمة بجسد عيسى – عليه السلام – لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع.

ب – خالف قولهم في القتل والصلب، قول الملكانية واليعقوبية، فقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحله الآلام[٤].

وذكر ابن حزم رحمه الله أنه لا فرق بين الملكانية ، والنسطورية في القول بالقتل والصلب ؛ إلا أنهم قالوا أن مريم ولدتالإنسان، ولم تلد الإله، وإنما ولده الإله[٥]تعالى الله عن كفرهم. وكلاهما من المعلوم بطلان وفساد قولهم، وتناقضه فلا عجب، اختلاف النقل عنهما.

ج – فرقة اليعقوبية.

ينسبون إلى يعقوب البذعاني، كان راهباً في القسطنطينية. [٦].

سبب نشأتهم:

وكان سبب نشأة هذه الطائفة، هو قرار المجمع الرابع الخلقيدوني، القاضي بعزل بطريرك الإسكندرية (ديسقوروس)، فرفضوا هذا القرار، وأصروا على بطركيّة (ديسقورس)، وعلى عقيدتهم

---

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، (١: ٢٢٢).
(٢) الملل والنحل (١: ٢٢٣).
(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٤٨).
(٤) المصدر السابق (١: ٢٢٥).
(٥)انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١: ٤٨).
(٦)المصدر السابق (١: ٤٨).

المونوفيزية، فانعقد مجمع خامس في القسطنطينية سمي بالمجمع القسطنطيني الثاني بأمر الإمبراطور (يوستيانوس) ضد (أوريجانوس) ، وضد معلمي الطبيعة الواحدة.

عقائدهم:

أ – قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو. (١)

ب – وقالوا أنه مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله – تعالى – عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، كما قالوا: إن الله كان في بطن مريم محمولاً.– تعالى الله عن كفرهم – (٢).

وقد تواجدوا في مصر ،والسودان ، والنوبة ، والحبشة.

المطلب الثاني :فرق النصارى الحديثة.

كما هو معلوم أن الديانة النصرانية تمتاز بكثرة الفرق والطوائف، بالنسبة لتاريخ سائر الأديان في العالم، إذ قيل: أن أمريكا وحدها توجد فيها أكثر من مائتين وخمسين فرقة مسيحية، ونشر في دراسة من أن أفريقيا توجد فيها أكثر من ألف وأربعمائة طائفة.
ومن أشهر الفرق الحديثة، والتي انبثقت منها سائر الفرق الأخرى هي:

١ – فرقة الكاثوليك.

أصلها من كلمة (katholkos) اليونانية بمعنى العام أو العالمي، أي أن الكاثوليكية هي الديانة المسيحية العالمية.

وتسمى الكنيسة البطرسية نسبة إلى (بطرس) رئيس الحواريين، وينسب إلى هذه الفرقة عامة المسيحيين في الغرب ؛ لذا تسمى كنيتها الكنيسة الغربية أو اللاتينية.

نبذة موجزة عن الكاثوليكية:

تتبع النظام البابوي، والبابا(١)(٢) هو المشرع بعد عيسى عليه السلام، وجميع بابوات روما خلفاؤه، والبابا في نظر الكاثوليكيين معصوم لا يصدر عنه الخطأ، فإرادته إرادة إلاهية يجب

(١) انظر: الملل والنحل (١: ٢٥٦)

(٢)المصدر السابق (١: ٤٨).

إتباعها بدون مناقشة وجدل، ويعتبر البابا نفسه التلميذ الأكبر للمسيح في الأرض، وكأن المسيح بعد رفعه جعله في مقامه لتوضيح وتفسير العقيدة والشريعة، وهو في نظر المسيحيين معصوم لا يصدر عنه الخطأ، ورئيس هذه الكنيسة في الوقت الحاضر هو رئيس دولة الفاتيكان.

ومن أهم أعمال البابا: إصدار صكوك الغفران من الذنوب، ما مضى منها وما هو آت، دون الحاجة إلى توبة، أو رد المظالم إلى أهلها.

أهم عقائدها وما تتميز به:

١ – تؤمن بأن روح القدس نشأ من الله الأب والابن معاً.

٢ – تعتقد هذه الكنيسة بالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن.

٣ – تعتقد هذه الكنيسة بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين – يعني اللاهوتية والناسوتية.

٤ – يعتقد هؤلاء بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض، تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت في حياتها خطيئة ؛ حتى تنتقي من أوزارها، وتصبح أهلاً للدخول في الفردوس السماوي، وهذه العقيدة ليس مصدرها أناجيلهم ؛ بل أحد بابواتهم.

٥ – إن صلوات كهنة الكنيسة ترفع العذاب عن النفوس المتألمة، ومن هنا نشأت عقيدة الغفران وهي أن ممثلي الكنيسة قادرون على تخليص الأرواح الهالكة في العذاب بالدعاء، والصلاة عليها.

٦ – الاعتراف للقسيس بما فعل من آثام، ليصدر له صك الغفران، والعشاء الرباني، والتعميد .

٧ – تحرم الكنيسة الكاثوليكية الطلاق تحريماً باتاً، ولا تبيح فسخ الزواج ؛لأي سبب مهما عظم شأنه ؛ حتى الخيانة الزوجية لا تعد مبرراً للطلاق.

أماكن انتشارها: ينتشر الكاثوليك في أوروبا وأمريكا اللاتينية، وجنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض دول أفريقيا. (٣)

٢ – فرقة الأرثوذكسية:

وهي أيضاً كلمة يونانية مركبة من كلمتين إحداهما(orthos) بمعنى الحق، والثانية (doxa)بمعنى المذهب أي المذهب الحق. وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن

---

(١) البابا: هو صاحب السلطة العليا.

(٢)انظر: اليهودية والمسيحية لمحمد الأعظمي، صفحة (٢٣٩).

(٣)مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ mongiz@maktoob. com

أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن بلاد الشرقية. وأتباع هذه الفرقة منتشرون في الشرق وفي بلاد اليونان وتركيا وروسيا.

انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية في عام ١٠٥٤م لأمور اختلفتا عليها.

أهم عقائدها وما تتميز به:

١ – تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله واحد مثلث الأقانيم :الآب، الابن، الروح القدس على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥م) .
٢ – تؤمن بربوبية وألوهية الرب والمسيح في آن واحد، على أنهما من جوهر واحد ومشيئة واحدة، ومتساويين في الأزلية.
٣ – يؤمن بالروح القدس الرب المحيي والمنبثق من الأب وحده، فله طبيعته وجوهره، وهو روح الله وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة فيه .
٤ –الإيمان بتجسُّد الإله في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم، وذريته من بعده، فيعتقدون أنه وُلد من مريم وصلب ومات فداءً لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب؛ ليحاسب الخلائق يوم الحشر .
٥ – الإيمان بأن السيدة مريم العذراء والدة الإله، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين. ٦ – الإيمان بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من أسفار التوراة وأسفار الأنبياء بالإضافة إلى باقي الأسفار الأخرى.(١)

٣ – البروستانت:

وهم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثولوكية، وكلمة بروتستانت كلمة إنجليزية معناها: المحتجون. وقد انشق البروتستانت عن الكنسية الكاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر وبعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة التي زكمت منها الأنوف.

وهنا يجدر بنا الحديث عن بعض هذه الدعوات الإصلاحية التي ظهرت في أوربا. بدأت هذه الدعوات للإصلاح على يد (جيرارد) في كنيسة (لورين) في عام ٩١٤م، وعاصرتها دعوة أخرى تسمى حركة (كلوين) .

---

(١)مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ

ثم ظهرت في جنوب فرنسا حركتا (الكاتاريين) و(الوالدنيين)، وتمكنت البابوية من القضاء عليهما.

وفي القرن الثالث عشر ظهرت حركة الرهبان (الإخوان) ، ودعت للبساطة ، وحماية الكنيسة من الهراقطة ، وتدعيم البابوية عن طريق الأتباع المخلصين ، لكن مع نهاية هذا القرن، وقع رواد الحركة فيما حذروا منه ، فأصبحوا من الأثرياء، وجر الثراء إلى ما يسوء ذكره.

وفي عام ١٣٨٣م توفي داعي الإصلاح (حنا) بعد أن طرد وأتباعه ،ثم بعده نادى(حنّاهس) بإيقاف صكوك الغفران التي استعان بها البابا (حنا الثالث والعشرون)في حربه ضد مملكة (نابلي)، وقد أحرق(حنّاهس) حياًعام ١٤١٥م.

وفي أوائل القرن السادس عشر نادى (آزرم) بالإصلاح ،واحتفظ بعلاقات طيبة مع الكنيسة والبابا (ليو العاشر) ،ومثله فعل معاصره (تومسمور).

وفي بداية هذا القرن أيضاً ظهر مارتن لوثر ،وهو قس ألماني ذهب إلى الحج في روما طالباً بركات البابا فيها، وفي ذهنه صورة من النقاء ، والطهر ، والخشوع.

لكنه فوجىء في روما بواقع آخر؛ حيث وجد رجالها منغمسين في الرذيلة، زاعمين أن بيدهم مفاتيح الملكوت في السماوات والأرض، وأنهم يملكون قبول التوبة ؛ فيغفرون لمن يشاءون، فبدأ يعلن براءته من تصرفات رجل الكنيسة، ويدعوا إلى إنكار عصمة البابا، وحقه في إصدار صكوك الغفران.

فجعل يصيح بأن ليس هذا دين عيسى ، وعاد لألمانيا يدعو للإصلاح ،وهاجم صكوك الغفران واعتبرها دجلاً ، وبدأ العامة والخاصة يتأثرون بدعوته ؛ لأنه أوتي من الحجج والبراهين ما لم يؤت أحد الأقاوسة في زمانه، فلم يجد البابا بُدًا من إصدار قرار بحرمانه من جميع المناصب الدينية، وكذلك أصدر الإمبراطور قراراً بحرمانه من جميع حقوقه المدنية، فاشتد غضب لوثر؛ وبدأينادي بالجهاد ضد استبداد الكنيسة علناً، ومن هنا سميت هذه الفرقة البروتستانت أي المحتجين على تصرفات البابا[1].

---

(١) مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ

(٢) مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ

أهم عقائدها:

١ – ليس للكنيسة البروتستانية سلطان على كنيسة أخرى، فكل كنيسة حرة في رئاستها وتصرفاتها وربطها بالكنيسة المركزية هو بمثابة ربط الإدارات بالوزارات.

٢ – الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للنصرانية.

٣ – يجوز لكل مسيحي أن يدرس الكتاب المقدس، ويفهم معانيه بعد الحصول على القواعد الأساسية لمعرفة الكتاب المقدس، فقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية ؛ ليقرأه كل ألماني بعد أن كان هذا الأمر محظوراً.

٤ – ليس للكنيسة حق الغفران إذ هذا من اختصاص الخالق.

٥ – أنكرت أن المسيح يحل في بدن كل من يأكل العشاء الرباني، كماأنكر استحالة الخبز إلى عظام المسيح، والخمر إلى دم المسيح، واكتفى بكون العشاء الرباني تذكيراً لما قام به المسيح من فداء للخليقة.

٦ – تنكر هذه الكنيسة جميع ماتقيمه الكنائس الأخرى للسيدة مريم ؛ أو المسيح من طقوس واحتفالات وعبادات وأعياد، وترى ذلك من الأمور المحدثات.

٧ – عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، إذ هي من مظاهر الوثنية.

٨ – لاتختلف هذه الفرقة عن غيرها في عقيدة التثليث، وألوهية المسيح وبنوته وصلبه وقيامه، وتكفيره عن خطيئة البشر الأزلية التي ارتكبها آدم.

وقد انتشرت الفرقة البروتستانية في كثير من البلاد الأوربية التي منها إنجلترا، وألمانيا، والدانمارك، وسويسرا، وهولندا والنرويج، وأمريكا، ومن إمكانياتها الهائلة بدأت تغزوا كثيراً من معاقل الكاثوليكية في السودان الجنوبي، والصين، واليابان، ولهم مبشرون في البلاد الإسلامية[1].

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية ص (٣٩٨ –٤١٠). مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ

المبحث الثالث
علاقة النصارى بغيرهم من الأمم الأخرى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :علاقة النصارى بالدولة الرومانية:

المطلب الثاني : علاقة النصارى باليهود:

المطلب الثالث : علاقة النصارى بالمسلمين.

تميز موقف النصارى مع غيرهم من الأمم بشيء من التناقض، فنرى موقفهم من اليهود كان في بداية الأمر العداوة الشديدة والبغضاء بين الطرفين، ومن ثم تغيرت هذه النظرة، وأصبحت محبة وألفةً وصداقةً، وأما نظرتهم للمسلمين، فقد كانت منذ بدايتها مناصبة العداء المسلمين:

المطلب الأول :علاقة النصارى بالدولة الرومانية:

في بداية الأمر قام النصارى بقطع جميع العلاقات الموجودة بينهم وبين الرومان، من حيث تركهم عبادة آلهة الرومان، وقداسة الإمبراطورية الرومانية ؛ لأن المسيح دعا إلى توحيد الله، ونبذ جميع مظاهر الشرك والوثنية، فثار الوثنيون على المسيحيين، وقدموهم إلى الشعب الوثني؛ كأنهم ملحدون كافرون، وكذلك فإنهم حينما آمنوا بأن القيامة قد اقتربت تقاعسوا عن فعل أي شيء، وقل اهتمامهم بواجبات الوطن؛ مما أضر بمصالح الوطن الروماني بشكل كامل، ومن الأمثلة على ذلك:

١ – بغض الخدمة العسكرية، والسبب يعود في ذلك عدم استطاعتهم القيام بذلك.

٢ – عدم اهتمامهم بمتطلبات الحياة العادية، وكان شعارهم في ذلك أني قد اعتزلت المجتمع، وقد بين ذلك ترتوليان في كتاباته حيث يقول: إن بعض النصارى قد عينوا في خدمة الدولة في مناصب حساسة لم يكونوا مخلصين للدولة الرومانية، وكان من الطبيعي ألا تتساهل وتتسامح الدولة إزاء موقفهم، وهروبهم من الخدمة العسكرية.

٣ – امتناع المسيحيين عن أداء الضريبة التي تفرضها الحكومة الوثنية على جميع رعاياها، لأنهم كانوا ينتظرون نهاية العالم، وهذه العقيدة التي أخترعها بولس في فجر الدعوة، وعدم تحققها أضرت بالمسيحيين أنفسهم، وأصبحوا ضد الكنيسة، وضد أحكام الدين.

٤ – هذه الأسباب وغيرها أدى إلى حنق جمهور الوثنيين، وحقدهم عليهم، وساءهم حالة العزلة التي يعيشها المسيحيين، وتعاليمهم وثقتهم في نفوسهم، وأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا هؤلاء الملحدين الذين يهينون الآلهة، وأدت إلى بدء اضطهاد المسيحيين، واستمر عدة قرون، ومن الشواهد على هذا الاضطهاد:

أ – ما قام به الحاكم الروماني تراجان عندما تولى مقاليد الحكم عام ١٠٦م، حيث بدأ في تعذيب المسيحيين بشتى أنواع العذاب، وقتل الكثير من الدعاة والمبلغين، وتلاميذ يوحنا الأتباع وتابعيهم،

مما ألجأ المسيحيين إلى الاجتماعات السرية لأداء الصلوات، والاستماع إلى المواعظ الدينية، وقراءة كتاب الله الإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام. (١)

وكان المسيحيون في هذا القرن يعتبرون أنجاساً لا يسمح لهم بدخول الحمامات، والمحال العامة، وكانوا يلقون إلى الوحوش الضارية، تفترسهم في مدرج عام، يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهي بمشاهدة تلك المناظر.(٢)

ب – ما قام به الحاكم الروماني دقيانوس عندما علم أن المسيحيين في مصر يريدون الانفصال عن الدولة الرومانية ؛ حيث أنزل بهم أشد العذاب، وأمر بهدم الكنائس، وحرق الكتب، والقبض على الأساقفة والرعاة، وزج بهم في السجون، وقتل في هذه الحادثة كما يذكر الرواة ما بزيد عن ثلاثمائة ألف شخص، وسمي هذا العصر بعصر الشهداء وفيها فر نفر من المؤمنين بالتوحيد إلى الجبال ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ **[الكهف ٩ – ١٠].**

ج – في القرن الرابع الميلادي تغيرت الموازين لصالح المسحيين وذلك بعد تولي قسطنطين حكم الدولة الرومانية، وإعلانه اعتناق الدين المسيحي ؛ فتم في عهده إنشاء الجمعيات الدينية، ولعل من أشهرها جمعية الصليب المقدس، وكان هدفها القضاء على كل من يناصب الدين المسيحي العداء، فبدأ المسيحيون في الانتقام من الرومان الوثنيين الذين اضطهدوهم من قبل عدة قرون، ولم يكن اضطهاد المسحيين أقل بطشاً من اضطهاد الرومان لهم، بل تعدى انتقامهم إلى المسيحيين الذين أنكروا ألوهية المسيح وهي العقيدة التي كان يؤمن بها الحاكم الروماني، ووصفت هذه الفترة بأنها أفظع فترة في التاريخ. (٣)

المطلب الثاني :علاقة النصارى باليهود:

أرسل الله سبحانه وتعالى المسيح عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل متمماً رسالة موسى عليه السلام، ومصححاً ما حرفه اليهود فيها، إلا أن اليهود ناصبوه العداء، وكذبوه، وأَغْروا به الحكام، وحاولوا قتله، بل ادعوا قتله وصلبه عليه السلام.

---

(١) محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم) لمحمد أبو زهرة، ص (٣٥ –٣٦)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٦م

(٢) دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص (٣٢٢).

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص (٣٢٥)، بتصرف.

ومنذ ذلك الحين والعداوة بين اليهود والنصارى على أَشُدِّها، وقد بلغ ذلك العداء قمته قديماً عندما اعتنقت الدولة البيزنطية العقيدة النصرانية، فعملت بعد ذلك على قتل اليهود، وتشريدهم، وملاحقتهم، وبالرغم من تلك العداوة والاختلاف، وقيام بعضهم بتكفير بعض، إلا أن ذلك يزول ويختفي أثره؛ بل يَحُلُّ محلَّه الوئامُ إذا كان عدو الطرفين الإسلام أو المسلمين[1].

وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ ﴾ **[المائدة: ٥١]**، وليس في تاريخ العداوات عداوة تماثل شراستها، وأبديتها ذلك النوع الذي تواجه به طوائفُ اليهودِ والنصارى الأمةَ الإسلامية [2]، ولم يكن الرضا عن اليهود متفقاً عليه من قبل جميع النصارى، بل إن هناك من النصارى المتعصبين من يقف ضد اليهود؛ فقد طردوا من إنجلترا عام (١٢٩٠) م، ومن فرنسا عام (١٣٩٠) م، ومن النمسا سنة (١٤٢٠) م، ومن إسبانيا سنة (١٦٩٢) م وذلك من قبل محاكم التفتيش التي أقيمت ضد المسيحيين واليهود على السواء، ثم أخرجوا من ألمانيا عام (١٧١٩) م، ومن روسيا سنة (١٧٢٧) م، ثم جاء هتلر فقتل منهم من قتل[3].

وإزاء هذه العداوة العنيفة؛ وهذا الاضطهاد العظيم- خصوصاً وأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار- فكروا جديًّا بالتخلص من تلك العداوة التي تقف أمام كثير من مخططاتهم.

خصوصاً وأن أوربا كانت تعاني من الخواء الروحي، والطغيان الكنسي بكافة ألوانه؛ فسلكوا في هذا الموضوع خطوات عديدة منها:

١ - تظاهرُ كثيرٍ من حاخاماتهم، وعلمائهم بالدخول في النصرانية.

٢ - إنشاء المنظمات السرية كالصهيونية؛ والماسونية، وغيرها التي كانت ترفع شعارات الحرية والإخاء والمساواة.

---

(١) موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، ص (٣٢)، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، العلمانية. . . نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، ص (٥٢٨)، نشر جامعة أم القرى، السعودية، الجمعة ١٧ رجب ١٤٣٥ الموافق 16 مايو ٢٠١٤م، انظر موسوعة الملل والنحل، ص (٤٠١)، مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ علي بن عبد القادر العلوي، نشر موقع الدرر السنية على الانترنت، dorar. net

(٢) انظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية، محمد بن مطر الزهراني، ص (٣٣).

(٣) انظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية، ص (٣٣).

٣ – إحداث الثورات ضد الكنيسة، أو استغلالها إذا قام بها غيرهم' ومن ذلك ما قام به مارتن لوثر ضد الكنيسة الغربية الكاثوليكية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي' وكذلك الثورة الفرنسية التي قام بها نابليون عام (١٧٨٩) م، والتي كانت تنادي بنفس شعارات الماسونية: الحرية والإخاء والمساواة.

٤ – السعي للسيطرة الاقتصادية على الدول الأوربية.

وقد حصل اليهود على نتائج مهمة، واستغلوا الفرصة التي أتاحها لهم نفور الأوربيين من دينهم.

ومن تلك النتائج التي حقَّقها اليهود من وراء مخططاتهم ما يلي:

١ – علمنة الحياة في أوربا، حيث أُقصي الدين المسيحي عن الحياة تماماً.

٢ – تمكن اليهود من تَبَوُّء مناصب، ومواقع رفيعة في الحكومات الغربية لم يكونوا يحلمون بها في عصور الاضطهاد.

٣ – السيطرة التامة على الاقتصاد الغربي وثرواته، بل وعلى اقتصاد وثروات العالم.

٤ – كسر حدة العداء لليهود عند الأوربيين.

٥ – تمكن اليهود من إحياء التحالف اليهودي النصراني مرة أخرى ضد الإسلام [١].

يقول الشيخ الدكتور سفر الحوالي – حفظه الله –: ومنذ أن أحكمت اليهودية العالمية أنشوصتها على العالم الغربي الذي أوقعته أسيراً في شباكها الأخطبوطية اتخذت العداوة مساراً واحداً تحفزه الروح الصليبية، وتوجهه الأفعى اليهودية؛ فقد تشابكت' وتداخلت مصالح الطرفين، وكان الغرب الصليبي مستعدًّا للتخلي عن كل حقد وعداوة إلا عداوته للإسلام. في حين كانت الخطط التلمودية تروم تسخير العالم الصليبي بعد أن شلَّت قواه' وركبت رأسه للقضاء على عدوها الأكبر الإسلام[٢].

ويقول الشيخ – حفظه الله –: وتجدر الإشارة إلى أن خطة العمل الموحد المشترك بين الصليبية واليهودية أصبحت لزاماً وواجباً على كلا الطرفين بعد الموقف الصلب الذي واجه به السلطان عبد الحميد هرتزل؛ إذ تعين بعدها أن القضاء على الخلافة الإسلامية ضروري لمصلحة الفريقين: النصارى الذين كانت لهم دولهم الاستعمارية تتحين الفرصة للأخذ بثأر الحروب

---

(١) انظر: موقف أصحاب الأهواء والفرق، ص (٣٤).

(٢)انظر: العلمانية، ص (٥٣٢).

الصليبية، واليهود الذين أيقنوا أن فشلهم مع السلطان يستوجب التركيز على العالم الصليبي، وتسخيره لمآربهم التلمودية. وبلغت الخطة ذروة التوحد بعد قرار المجمع الماسوني الذي ينص على تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام، والذي كان يهدف إلى محو كل أثر عدائي مسيحي لليهود، وبالتالي إيجاد كتلة يهودية نصرانية واحدة لمجابهة الإسلام [١].

وهكذا نجد أن اليهود والنصارى متعادون متناحرون لا يجمعهم سوى مصالحهم، وأعظم مصلحة يجتمعون عليها هي عداء الإسلام والمسلمين.

وما نراه اليوم من تحالف بين أمريكا وإسرائيل، وما وعد بلفور المشؤوم إلا نموذج لذلك التحالف.

وقد تبنَّى بعض النصارى في أمريكا وأوربا فكرة وجود إسرائيل الحديثة على أنها تحقيق لنبوآت الكتاب المقدس، وعلامةٌ على قرب عودة المسيح إلى الأرض ثانية؛ حيث إنهم يعتقدون أن المسيح سينزل في آخر الزمان، وهم متفقون مع المسلمين في هذه القضية إلا أن اليهود – بخبثهم ومكرهم وبغباء النصارى– حوَّلوا هذه القضية لصالحهم؛ فاليهود يعتقدون بمجيء مُنْتَظر؛ لأنهم يعتقدون أن عيسى عليه السلام كذَّاب دجال.

أما المنتظر الذي ينتظرونه فهو – ملك السلام – كما يزعمون، وفي الحقيقة هو المسيح الدجال.

ومن هنا غرَّروا بالنصارى، وقالوا: لابد أن نعمل بما اتفقنا عليه، وهو أن المسيح سينزل، أما من هو المسيح الذي سينزل فسنتركه جانباً؛ فاليهود يعتقدون بأن النصارى سينتهون إذا جاء منتظرهم، والنصارى بعكسهم، حيث يعتقدون بأن المسيح إذا نزل سيقتل كل من لم يدخل في المسيحية.

ومن المؤتمرات التي عقدت بهذا الصدد المؤتمر المسيحي الصهيوني الدولي الذي عقد في إبريل عام (١٩٨٨) م، في إسرائيل، وألقى فيه إسحاق شامير رئيس الوزراء بنفسه كلمة الافتتاح.

وفي كلمته التي اتسمت بالعاطفة والحماسة أكد شامير – وبكل وضوح – استمراره في تثبيت أركان الدولة الصهيونية، ومقاومة الفلسطينيين بكل الوسائل. وفي نهاية كلمته وقف كل المستمعين لتحيته، وذلك حينما دعاهم لأن يدعوا كل مسيحيي العالم لتعضيد دولة إسرائيل[٢].

---

(١) العلمانية، ص (٥٣٤).

(٢) مجلة المجتمع، ص (٢٣) العدد ٩٨٢. انظر موسوعة الملل والنحل، ص (٤٠٢).

وفي هذا المؤتمر قال أحد القساوسة المشاركين فيه، وهو (فان درهوفيه) قال: إن الكنيسة التي لا تتبع هذا الطريق – تأييد إسرائيل – سوف تنتهي مثل الدخان [١].

ولعلنا نجد من ثمار ذلك ما تقوم به الدول الغربية من حماية لمصالح اليهود، والحرص على هجرتهم، وتشجيعها، وتسهيل ذلك، أو محاولة تخفيف عداء المسلمين لليهود.

ومن خلال ما مضى يمكن إجمال علاقة النصارى مع اليهود بما يلي:

١ – أنهم أهل كتاب كما سمَّاهم الله تعالى وكتابهم الذي يجمعهم هو الكتاب المقدس إلا أن اليهود لا يؤمنون بالأناجيل في آخره.

٢ – أنهم متعادون فيما بينهم عداء شديداً، وأهم ما يجمعهم عداء المسلمين؛ حسداً من عند أنفسهم.

٣ – أنهم متفقون مع اليهود في عقيدة المسيح المنتظر الذي سينزل في آخر الزمان، وأن مكان نزوله في فلسطين.

ولكنهم يختلفون في ماهية هذا المنتظر؛ فاليهود يزعمون أنه ملك السلام الذي سيحكم الأرض، ويقتل كل من سوى اليهود.

والنصارى يعتقدون أنه المسيح عليه السلام، وأنه سيدخل جميع الناس في النصرانية ومن رفض قتله.

والحقيقة أنهم ينتظرون المسيح الدجال، والنصارى ينتظرون مسيحاً وهميًّا لا حقيقة له.

والمسلمون ينتظرون المسيح عليه السلام؛ ليحكم بشرع محمد ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراًوقد حققوا من جراء هذا التحالف الشيء الكثير، كالإطاحة بالخلافة الإسلامية، واحتلال اليهود لفلسطين. [٢]

---

(١) مجلة المجتمع ، ص (٢٣)، العدد ٩٨٢. انظر موسوعة الملل والنحل، ص (٤٠٢).

(٢) انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد بن ابراهيم الحمد، ص (١٥٧ –١٦٢)، بتاريخ ١٤٢٦/٩/٩هـ، الزلفى ١١٩٣٢، ص. ب. ٤٦٠، موقع دعوة الإسلامwww. toislam. net

المطلب الثالث : علاقة النصارى بالمسلمين.

لما ظهر الإسلام، وتوسعت الفتوحات في عهد الرسول - ﷺ - والخلفاء الراشدين كان النصارى قسمين:

الأول: الغالبية منهم دخلت الإسلام طوعاً أو كرهاً، وهم نصارى الجزيرة العربية والعراق والشام وفلسطين، ومصر وأفريقية، وكذلك النصارى من أهل فارس وما حولها من بلاد الشرق، وكان النصارى أكثر قبولا للإسلام من اليهود والمجوس والوثنيين.

الثاني: البقية الذين لم يدخلوا الإسلام وهم على حالين:

أ- نصارى لم تصلهم الفتوحات الإسلامية، وهم نصارى أوروبا (عدا الأندلس وشرق أوروبا)، وهؤلاء مركزهم روما، ومنهم انطلقت الهجمات النصرانية على المسلمين في الشام ومصر وأفريقية أيام الحروب الصليبية، وما قبلها وما بعدها إلى عهد ما يسمى بـ (الاستعمار [١] الحديث) بل وحتى اليوم.

ب- النصارى الذين بقوا على نصرانيتهم داخل الدولة الإسلامية (أهل الذمة) أو تحت الرق، وكان لهؤلاء دور كبير في الكيد للإسلام والمسلمين، وكثيرا ما يتضامنون مع اليهود سراً في ذلك؛ كما حصل في مقتل عمر رضي الله عنه، والفتن التي تلت ذلك، كما أن هؤلاء قاموا بجهد كبير في بثِّ المعتقدات، والشبهات والفلسفات الدخيلة على العقيدة الإسلامية، والتي أسفرت عنها الفرق الكلامية كالقدرية، والجهمية، والمعتزلة، والفرق الباطنية ؛ كالرافضة، والإسماعيلية، والحلولية، والاتحادية والاتجاهات الفلسفية، والطرق الصوفية، وكل هذه الفرق والمذاهب أثر النصرانية فيها جلي واضح.[٢]

ومنذ أن ظهر دين الإسلام، وأهل الكتاب يكيدون لهذا الدين ولنبيه، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر.

وقد أخبر الله -سبحانه وتعالى- عن عداوتهم للمسلمين، وأنها من سننه الكونية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) هذه التسمية غير صائبة فالاستعمار هو العمران والإصلاح، والأولى أن يقال: الاستعباد أو الاحتلال، أو الاغتصاب، أو التخريب، ونحو ذلك.

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دكتور ناصر القفاري، ودكتور ناصر العقل صفحة (٧٥)

وقال: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ **[البقرة: ١٠٥].**

وأخبر تعالى أنهم لا يقنعون بشيء ؛حتى نتبعهم في دينهم، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ **[البقرة: ١٢٠].**

ولقد وقف النصارى من المسلمين موقف المعادي المبغض الشانئ، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة على مرِّ العصور أن يردوا هذه الأمة عن دينها، وسلكوا في هذا السبيل طرائق شتى، وخططاً مختلفة ملائمة لكل زمان ومكان.

ففي الماضي قاموا بحرب المسلمين، وغزوهم في بلادهم، مع أنهم كانوا ينعمون في ظل عدالة الدولة الإسلامية أكثر مما يلقونه تحت حكم النصارى أنفسهم.

وليس أدل على ذلك من الحروب الصليبية ؛ تلك الحروب التي استمرت قرنين من الزمان (٤٩٠هـ –٦٩٠) هـ، والتي قامت بين المسلمين في المشرق العربي، وبين الصليبيين القادمين من أوربا؛ لاحتلال بيت المقدس وبلاد الشام ومصر، والقضاء على الإسلام، وَوَقْفِ انتشاره في أوربا.

وهي حروب دينية شنَّتها أوربا النصرانية الحاقدة بدعوى تحرير القدس من المسلمين، والحقيقة أنها قامت لإذلال المسلمين، ورغبة في القضاء على الإسلام([1]).

أسباب الحروب الصليبية على العالم الإسلامي:

والجدير ذكره أن لتلك الحروب أسباباً كثيرة، ولعل أهمها وأوضحها ما يلي:

١ – الحقد الصليبي والعداء للإسلام: ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإسلام والمسلمين أزاحوا النصارى من سيادة العلم بعد أن كانوا أسياداً له لقرون عديدة امتدت من مبعث عيسى – عليه السلام – إلى معركة اليرموك ؛ حينما قضى المد الإسلامي على الدولة الرومانية مترامية الأطراف، وبدأ يقتطع من مستعمراتها شيئاً فشيئاً، فبدأ بإزاحتها من الشام، وعدم عودتهم إليها مرة أخرى [(٢)]، وليس أدل على ذلك من قول هرقل زعيم الروم آنذاك وهو يغادر الشام: (الوداع الوداعياسوريا وداعاً لا لقاء بعده).

([1]) انظر: الموجز في الأديان، ناصر العمر ، ص٨٠

(٢)انظر: قادة الغرب يقولون " دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ "المؤلف: جلال العالم = عبد الودود يوسف الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، صفحة (١٦-١٧-١٨)، تاريخ النشر: 1395هـ - ١٩٧٤ م، .

٢ – ما أثاره الرهبان والبابوات في نفوس النصارى في أوربا، ومن تلك الإثارات ما قام به القديس بطرس؛ حيث أخذ يجوب أوربا على حماره' ويحرض الأوباش والعوام على تحرير القدس، والاستعداد لنزول المسيح.

٣ – رغبة البابا أوربان الثاني في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، ومحاولته جمع النصارى تحت هدف مشترك' وهو قتال المسلمين، وغزوهم في بلادهم' وذلك عندما دعا البابا أوربان الثاني إلى مؤتمر (كليرمونت)' وألقى فيه كلمة مشهورة ملأها بالهجوم على المسلمين' وإثارة الأحقاد في نفوس النصارى، ثم أخرج في نهاية الخطبة صليباً' وعلَّقه على صدره، ودعا الحاضرين إلى تعليقه والدفاع عنه([1]).

هذه – بإجمال– أسباب الحروب الصليبية.

ثم بعد ذلك كان هناك تفكير ذكي اتعظ بالهزائم العسكرية المتلاحقة التي مني بها الغرب' ونقَّب عن السر العظيم لصلابة المسلمين' وانتفاضتهم المفاجئة' ووجد السر فعلاً؛ أنه الإسلام نفسه ولا شيء سواه، ولقد فكَّر الغرب في تحطيم تلك القوة، وذلك الرصيد في نفوس المسلمين' ووضع خطته الخبيثة بناء على النتيجة، خطة لا تقوم على إبادة المسلمين' ولا على احتلال أراضيهم' وإنما تقوم على إبادة الإسلام نفسه' واقتلاعه من نفوس أبنائه وضمائرهم' أو تقليص دائرته' وعزله عن واقع الحياة [٢].

أساليب النصارى في محاربة المسلمين :

١ – الاستشراق.

٢ – الاحتلال العسكري.

٣ – التنصير (التبشير).

وسوف أبينها بشيء من الاختصار.

([1]) دمروا الإسلام ، ص ١٦،١٧، بتصرف.

(٢)انظر: العلمانية، ص (٥٣٥).

أولاً: الاستشراق

الاستشراق: هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات وإمكانيات؛ بهدف تشويه الإسلام' ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تسويغ هذه التبعية بدراسات، ونظريات تدَّعي العلمية والموضوعية' وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي. (١)

والمستشرقون هم: أدمغة الحملات الصليبية الحديثة، وشياطين الغزو الثقافي للعالم الإسلامي، ظهروا في حلبة الصراع في فترة كان المسلمون فيها يعانون من الإفلاس الحضاري، والخواء الروحي وفقدان الذات؛ مما جعل الفرصة سانحة لأولئك الأحبار' والرهبان' وجنود الصليبيين الموتورين ؛ كي يثأروا لهزائمهم الماضية، وينفثوا أحقادهم الدفينة.

والمستشرقون يلتقون مع المبشرين في الأهداف؛ فكلهم يهدف إلى إدخال المسلمين في النصرانية' أو رد المسلمين عن دينهم' أو في الأقل تشكيكهم بعقيدتهم ؛ كما أن من أهدافهم وقف انتشار الإسلام. (٢)

وسائل المستشرقين:

سلك المستشرقون لتحقيق أهدافهم وسائل عديدة منها:

١ _ تأليف الكتب، وإصدار المجلات، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية للتشكيك في الإسلام، والقرآن العظيم، والسنة المطهرة، وتاريخ المسلمين وتراثهم.

٢ _ إنشاء الجمعيات والمراكز لخدمة الاستعمار الغربي، ومن هذه الجمعيات الجمعية الآسيوية الفرنسية، والجمعية الآسيوية الملكية البريطانية، والجمعية الشرقية الأمريكية، ومعهد الشرق الأوسط، ورابطة الدراسات الشرق أوسطية.

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق _ أحمد عبد الحميد غراب، ص (٧)، نشر المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية، السنة ١٤١١هـ.

(٢)انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد بن إبراهيم الحمد، ص (١٧١).

٣_ شراء العديد من الصحف المحلية من بلاد المسلمين إضافة إلى المجلات التي يصدرونها.

٤_ عقد المؤتمرات لإحكام خططهم.

٥_ تأليف الكتب والموسوعات المليئة بالدس، والكيد للإسلام والمسلمين كدائرة المعارف الإسلامية، وكتاب المنجد.

٦_ إرسال البعثات' وإنشاء الكليات، والمراكز في العالم الإسلامي مستترة باسم العلم، والخدمات الإنسانية، وهي في حقيقتها أوكار لتغريب أبناء المسلمين' وترويج لأفكار المستشرقين.

٧_ جمع الحقائق عن الشرق، وهي التي يمكن أن تكون لها أهمية في أوربا، وجعلها مجالاً للتخصص العلمي([1]).

اساليب الاستشراق:

١_ الطعن في حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن: فقالوا عن الإسلام: إنه تطوير محرف لليهودية والنصرانية، أو هو جزء من تولد مجموعة الأديان الشرقية ؛ تولد من احتكاك الوثنية العربية بأديان فارس والهند' وإن القرآن من وضع محمد "أو هو من إملاء راهب نسطوري.

٢_ الطعن في نبي الإسلام محمد: ودليل ذلك أن مارت جليوت – وهو من أئمتهم – يقول في فصل له منشور في موسوعة تاريخ العالم: "إن محمداً "رجل مجهول النسب"؛ لأنه محمد بن عبد الله، وكان العرب يطلقون على من لا يعرفون نسبه اسم عبد الله.

٣_ القول بأن الإسلام استنفد أغراضه: وهي دعوى تأتي في صور شتى، منها وصف الإسلام بأنه دعوة أخلاقية ؛جاءت لإنقاذ المجتمع العربي من عاداته السيئة كعبادة الحجارة، ووأد البنات، والسلب، والنهب، وشرب الخمر. . الخ.

وتارة بأنه حركة اجتماعية تهدف إلى تغيير البنية الاجتماعية القبلية' بحيث تكون تركيباً اجتماعيا قومياً منحصراً للعرب، إلى غير ذلك من الدعاوى.

٤–القول بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية: فلا دخل له بأمور الحياة، والحكم، والحياة الاجتماعية، والسياسية.

٥_ القول بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني: وهي دعوى مركبة على الدعوى السابقة، وهدفها إسقاط توحيد الألوهية من جهة' وتهوين شأن الأخذ من القوانين الوضعية من جهة

([1]) انظر: الاستشراق والتبشير، د. مُحَّد السيد الجليند، ج ١، ص ٢٥–٣٠.

أخرى؛ فما دام الفقه القديم مستقى من أصول أوربية، فما المانع اليوم من الاقتباس من القوانين الأوربية كالقانون السويسري أو الفرنسي؟.

٦_ الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تتلاءم مع الحضارة: وهذه الدعوى تقوم على استغلال الشعور بالنقص عند بعض المسلمين.

٧_الدعوى إلى نبذ اللغة العربية، وهجر أساليبها، والدعوى إلى اللهجات العامية: حيث قالوا: إن اللغة العربية غير مناسبة للعصر، وحروفها وتراكيبها معقدة.

والهدف من وراء ذلك معروف، وهو الهجوم على العقيدة والقرآن عن طريق مهاجمة اللغة العربية؛ إذ كيف يتصور أن يقرأ الناس القرآن الكريم، وهم لا يعرفون اللغة العربية؟.

وما قام به (ولكوكس) الذي استمر من عام ١٨٨٢م حتى عام ١٩٣٢م يدعو للعامية، ويؤلف بالعامية، وما قام به سبيتا، و(القاضي ولمور) شاهد على ذلك.

٨_ إثارة ما يسمى بتحرير المرأة: وهي دعوى يهدف من ورائها إلى تحطيم القيم ،والأخلاق ،والأسر، ونشر الإباحية ،والانحلال.

٩_ التهوين من شأن الحضارة الإسلامية ،وتشويه التاريخ الإسلامي ،وشاركهم في ذلك تلاميذهم.

١٠_ بعث الحركات الهدامة، والطوائف الضالة، وتضخيم أدوارها،وهذا العمل جزء من تشويه التاريخ الإسلامي؛ فقد اهتموا بالطوائف الضالة كالمعتزلة ،وسائر فرق الباطنية، على أنها مرحلة من مراحل الفكر الحر ، أو حرية الفكر.

كما حفلوا في كتبهم ككتب إخوان الصفا، واعتنوا بالشخصيات الضالة كالحلاج ،وعبد الله بن سبأ ،وعبد الله بن ميمون القداح ،والحاكم بأمر الله العبيدي ، وغيرهم.

١١_ نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفها: كالحضارة الأشورية ،والفرعونية ،والطورانية ،وذلك لإحياء النعرات القومية ،وتفريق الأمة.

ونجم عن ذلك نتائج خطيرة منها تحسين سمعة الجاهلية، وتمجيد طواغيتها ،وقطع صلة الأمة بماضيها الحقيقي ،أو على الأقل إشغالها عنه. (١)

---

(١) انظر: العلمانية ص ٥٥٤ إلى ص ٥٥٧، والولاء والبراء د. محمد بن سعيد القحطاني ص ٤١٣، والإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين، الفصل الرابع، والخامس، والسادس، الفرقان، ورؤية إسلامية للاستشراق ص ١٦_ ٢٤، ومقال د. محمد بن صامل السلمي في مجلة البيان العدد ٢٠ ص ٦٤_٦٩، والعدد ٢١ ص ٦٨_ ٧٦.

أسماء بعض المستشرقين:

١_ (بطرس المحترم): من أشهر رجال الدين المسيحي المعروفين بالعداوة الشديدة للإسلام في أوربا في القرون الوسطى ، توفي عام (١١٥٦م)، وقد قام بدور من أخطر الأدوار في تاريخ الاستشراق والتنصير؛ فهو راهب ولاهوتي فرنسي، ترقى في سلك الرهبنة ؛ حتى أصبح رئيساً (لدير كلوني) في فرنسا. [١]،وانطلقت منه حركة إصلاح عمت النصرانية الأوربية، وعده رهبان الأسبان مركزاً خطيراً لنشر الثقافة العربية، قصد الأندلس، ثم رجع إلى ديره ؛ ليصنف الكتب في الرد على علماء الجدل المسلمين، وشجب اليهود ، وأراده كتاباً موسوعياً في الرد على الإسلام يعاونه فيه مجموعة من المستشرقين المنصرين ،وأوعز بترجمة معاني القرآن الكريم. [٢]

٢_ (صمويل زويمر): وقد عُرف القسيس الأمريكي (صمويل زويمر) منصراً أكثر مما عُرف مستشرقاً ،ولكنه في الحقيقة قد جمع بينهما في نشاطاته العلمية، والأكاديمية، ومن أهم إنجازاته: تأسيسه (لمجلة العالم الإسلامي)، وهي أخطر مجلة تنصيرية عالمية، وقد رأس تحريرها مدة ست وثلاثين سنة. [٣]

٣_ (فنسنك):مستشرق هولندي كان يعمل أستاذاً للغة العربية بجامعة (ليدن) توفي(١٩٣٩م)؛ ينسب إليه أنه صاحب المبادرة إلى مشروع (وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) ،ويرجع تاريخ الفكرة إلى سنة (١٩١٦م)، وقد خرج المعجم في ثمانية أجزاء ظهر الجزء الأول منها سنة (١٩٣٦م)، والأجزاء الأخرى بعد وفاة فنسنك ، وظهر الجزء الثامن والأخير سنة (١٩٦٩م)، وأشرف على إخراج هذا المعجم بعد وفاة فنسنك عدد من المستشرقين ،وقد ألفه لتحقيق أهدافه، وأراد من ذلك الوصول بسرعة ، وسهولة إلى الأحاديث، واستخدامها للطعن في القرآن، والسنة، والعقيدة، والشريعة، وفي الإسلام كله.

---

(١) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي: ص(١١٠- ١١١)، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، السنة ١٩٩٣،

(٢) المستشرقون والتنصير، علي بن ابراهيم الحمد النملة، الطبعة الأولى، ص (٧٢).

(٣) المرجع السابق ، علي بن ابراهيم الحمد النملة، ص(٩٢).

ثانياً: الاحتلال العسكري

الاحتلال العسكري ، أو ما يسمى بالاستعمار في العصر الحديث ، ما هو إلا امتداد للحملات الصليبية التي شنتها أوربا الحاقدة على المسلمين؛ حيث استغلوا ضعف المسلمين ،وتخلفهم العقدي الناتج عن كثرة البدع، والخرافات كالطواف بالقبور، والتمسح بالعتبات، كما استغلوا من جهة أخرى اشتغال المسلمين بملذات الدنيا ناسين رسالتهم الحقيقية.

عندئذ تعالت صيحات النصارى مناديةً بخطر الإسلام ،ووجوب القضاء عليه في عقر داره.

وعندها قَدِمَتْ جيوش الاحتلال إلى بلاد المسلمين ، تقودها عقول تختلف عن العقول البربرية الصليبية التي غزت المسلمين في عهد الحروب الصليبية ؛وهذه العقول تتمتع بقسط كبير من الدهاء ، والخبث ،وتعرف _مسبقاً _ أن مهمتها أعظم من مهمة أجدادها ،وأن نجاح هذه المهمة يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة.

وقد قطفت أولى ثمرات هذه الخطة عندما استطاعت أن تحارب جيوش الدولة العثمانية بأناس مسلمين ساروا في ركاب (اللورد اللّنبي) حتى دخول القدس. [١]

وفي القرن التاسع عشر استطاع الغرب النصراني أن يسيطر تدريجياً على العالم الإسلامي، ولم تأتِ نهاية ذلك القرن حتى كانت كل أجزاء العالم الإسلامي تقريباً _ في آسيا وأفريقيا _ قد سقطت في براثن الاستعمار الغربي بوجه عام ،والاستعمار البريطاني ، والفرنسي بوجه خاص .[٢]

١ – أهداف الاستعمار:

للاستعمار أهداف كثيرة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أ_ القضاء على الإسلام والمسلمين، و الحد من انتشار الإسلام.

ب_ رد المسلمين عن دينهم، وذلك بإدخالهم بالنصرانية، أو تركهم متذبذبين.

---

(١) انظر: العلمانية، ص (٥٣٨).

(٢) رؤية إسلامية للاستشراق، ص (٤٠). وانظر رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد، ص (٢٥٦).

جـ_ الرغبة في إذلال المسلمين، والانتقام مما حصل للنصارى إبان الحروب الصليبية.

د_ قطع حاضر المسلمين عن ماضيهم.

هـ_ سلب ثروات بلاد المسلمين وخيراتها ،وتسخيرها لأطماع المستعمرين([1]).

وقد سلك المسيحيون في سبيل تحقيق هذه الأهداف العديد من الطرق، ويمكن أن نجملها في بعض النقاط التالية:

أ_ احتلال معظم بلاد المسلمين؛ إذ لم يسلم منها إلا ما ندر.

ب_ إلغاء المحاكم الشرعية، وإحلال القوانين الوضعية محلها.

جـ_ القضاء على التعليم الإسلامي، والأوقاف الإسلامية: وما قام به كرومردانلوب في مصر، والمستر كوك في العراق، وغيرهم دليل على ذلك.

د_ استخدام الطوائف المنحرفة غير الإسلامية، وإحياؤها مثل، النصيريين في سوريا.

هـ_ دعم أقامة طوائف عديدة تهدف إلى هدم الإسلام كالبهائية، والبابية، والقاديانية.

و_ العمل على تحويل بلاد المسلمين إلى دويلات صغيرة؛ لكي تضعف قواها، ولا تصمد أمام أعدائها، وإذكاء العداوة بين تلك الدول.

ط_ اصطناع العملاء من أبناء المسلمين: كما قال زويمر: تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.

ت_ تنفيذ توصيات المستشرقين والمبشرين، والإشراف على إنجاح مهامهم، وتذليل العقبات التي قد تعترض جهودهم([2]).

آثار الاستعمار:

فقد خلف الاستعمار خلفه آثاراً عظيمة الخطر على الأمة الإسلامية، ويمكن أن نذكر بعضاً منها:

١_ ترك الحكم بما أنزل الله تعالى في معظم البلاد الإسلامية.

٢_ إحداث الهزيمة النفسية لدى كثير من المسلمين، وقلة ثقتهم بأنفسهم، وزهدهم بالدين الإسلامي.

([1]) انظر: الاستشراق والتبشير ج ١، ص ٢١.

([2]) انظر : العلمانية ، ص ٥٣٩.

٣_ التحكم بمصير الشعوب، ونهب ثروات المسلمين.

٤_ ضياع الشخصية الإسلامية، وصقلها بصفات التميع، والتفسخ، وتحطيم حاجز النفور من الكفار، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء.

٥_ الركون إلى الملذات، والاشتغال بتوافه الأمور.

وكما أنه حصل من جراء الاستعمار آثار سيئة، فكذلك حصل بعض الآثار التي انعكست على الأمة بالفائدة[1] منها:

١_ تنبه المسلمين إلى الخطر المحدق بهم، و انبعاث الصيحات المنادية للجهاد في سبيل الله.

٢_ انبعاث الغيرة على الدين الإسلامي.

٣_ الحرص على تحقيق كتب الأسلاف.

(١)انظر : العلمانية : ص ٢٤٠ .

ثالثاً: التنصير

تعريف التنصير: (التبشير) هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر إخفاق الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين دول العالم الثالث بعامة' وبين المسلمين بخاصة؛ بهدف إحكام السيطرة على هذه الأمم[1]. والتنصير هو امتداد وإكمال لأعمال المستعمرين والمستشرقين؛ فالمنصرون والمستشرقون والمستعمرون أهدافهم واحدة تقريباً، وإن اختلفت الطرق.

نشأة التنصير:

تعد القس الاسباني ريمون لول هو أول من تولى مهمة التنصير بعد فشل الحروب العسكرية الصليبية في مهمتها، فقد تعلم اللغة العربية بعد جهد شاق قام ببذله، وجال بعدها في بلاد المسلمين يبشر بالنصرانية، ويناقش علماء المسلمين.

وفي القرون الوسطى بدأت الإرساليات التبشيرية توجيه جهودها إلى الهند وجزر السند وجاوة، وكانت هولندا أول من اهتم بالتبشير في جاوة.

وفي عام ١٦٦٤م قام البارون أول مدرسة كلية مهمتها تعليم التبشير ووسائله، ومن ثم تخريج المبشرين للقيام بأعمال التبشير، ثم بعد ذلك تم تأسيس جمعيات تأسيسية كثيرة في الغرب على غرار هذه المدرسة، وبعدها تم تأسيس المدارس التبشيرية على مستوى العالم. [2]

أهداف التنصير:

ويهدف التبشير إلى تحقيق ما يلي [3]

١_ تنصير المسلمين: أي جعلهم يدينون بالدين المنسوب إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام زوراً وبهتاناً.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص (١٥٩).

(٢)١الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص (١٥٩، ١٦٠)، وانظر أجنحة المكر الثلاثة، للميداني، ص (٢٧-٣٢)، وواقعنا المعاصر والغزو الفكري، الدكتور صالح الرقب، ص (٤٦)، المكتبة الإسلامية، غزة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٣)انظر: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، صفحة (٣٣) وما بعدها، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.

وكشف ذلك بصراحة قادة المبشرين: يقول القس المبشر رايد: إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح، ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة ؛ أنا لا أحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية، ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده. (١)

٢_ إخراج المسلمين من دينهم أو التذبذب فيه: بمعنى هدم الإسلام في قلوب المسلمين وعقولهم وقطع صلتهم بالله تعالى، وأن يصبحوا بعيدين في أخلاقهم وعاداتهم عن دينهم

٣_ تحطيم عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين: وذلك بهدف كسر حاجز النفرة في نفوس المسلمين؛ لكي يذوبوا في المجتمعات' وتضيع شخصيتهم' ويفقدوا هويتهم' ومن ثم يسهل القضاء عليهم.

٤_ إفساد أخلاق المسلمين وعقولهم: وذلك بإغراقهم بتوافه الأمور' وبالشهوات' وإضعاف هممهم.

٥_ تشتيت المسلمين، وتفريق كلمتهم.

٦_ استهلاك جهود العلماء، والدعاة في مقاومة أفكار التبشير.

٧_ القضاء على القرآن ومحوه.

٨_ السعي المستمر لإبعاد قادة المسلمين الأقوياء عن استلام الحكم في دول العالم الإسلامي؛ حتى لا ينهضوا بالإسلام.

٩_ إفساد المرأة، وإشاعة الانحراف الجنسي.

١٠_ إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار الأوروبي الغربي، والتحكم في مقدراته وخيراته وإمكاناته.

وسائل التنصير:

لقد لجأ المنصرون من أجل تحقيق أهدافهم إلى استخدام كافة السبل المتاحة، كما ووفرت لهم دولهم الاستعمارية كل إمكانات النجاح، ورصدت لهم مليارات الدولارات من أجل هذه الأهداف، ويمكن تقصي الوسائل التي استعملها المبشرون في غزوهم الصامت للعالم الإسلامي إلى مجالات عدة:

---

(١)انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، صفحة (١٩٣)، الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ – ١٩٩٧م.

أولاً: في مجال التعليم سواء في المدارس أو الجامعات أو الكليات:

فقد جاء في كتاب اليسوعيين في سوريا: " إن المبشر الأول هو المدرسة ". [١]

وسلكوا من أجل ذلك الطرق التالية:

١_ **الإكثار من المدارس ورياض الأطفال:** وقالوا: " إن الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين إنما هي في تعليم أولادهم الصغار ". [٢]

٢_ **إنشاء الكليات والجامعات،** ومن أشهر هذه الجامعات " الجامعة الأمريكية " في بيروت والقاهرة وفلسطين، يقول نبروز رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٤٨-١٩٥٤) " لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها، في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان".[٣]

٣_ **غرس مبادئ التربية الغربية، وأنماط السلوك الغربي في نفوس المسلمين وحياتهم** ؛ حتى يشبوا مقلدين للغرب الكافر، وقد استخفوا بالأخلاق والقيم الإسلامية.

ثانياً: في مجال الطب والتمريض:

يعد الطب من أكرم المهن الإنسانية؛ لكن المبشرين استغلوه كوسيلة خداع، ونشر الاعتقادات المسيحية، واستغلوا الدواء في نشر الإنجيل بين المرضى، يقول الطبيب " بول هاريسون": "إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى... لقد وجدنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى ".

وتقول المبشرة إيرا هايس ناصحة الطبيب النصراني الذاهب في مهمة تبشيرية "يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز – فتبشر– لهم بالإنجيل؛ إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن الفرص على الإطلاق". [٤]

---

(١)التبشير والاستعمار، ص (٧١). واقعنا المعاصر والغزو الفكري، صالح الرقب ص (٥٠)

(٢) المرجع السابق ص (٦٨). واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص (٥٠).

(٣) المرجع السابق ص (٤٦).

(٤) واقعنا المعاصر والغزو الفكري. الدكتور صالح حسين الرقب. كلية أصول الدين– الجامعة الإسلامية. فلسطين – غزة. الطبعة الجديدة. ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م ص (٥١).

فأنشأوا في بلاد العرب والمسلمين ألاف المستوصفات، والمستشفيات، ومراكز العلاج، ومن خلالها يتم تقديم الدواء مع الإنجيل، ويعالجون المرضى باسم المسيح، ويعلمونهم بأنه هو الشافي لآلامهم وأمراضهم.

ثالثاً: في مجال الإعلام: حيث استخدموا كل وسائل الإعلام في تحقيق أغراضهم التبشيرية، ومنها الإذاعة المرئية والمسموعة، والصحافة، والمسرح، وشرائط الفيديو والانترنت ونحوها، ومن أشهر الإذاعات التبشيرية إذاعة مونتي كارلو الفرنسية.

رابعاً: الجمعيات الشبابية ودور الخدمة الاجتماعية: والأندية الرياضية، وبيوت الطلبة والشباب، ودور العجزة والمسنين، يقول المبشر ايديسون " إن فروع جمعية الشبان المسيحية قد نشرت في الشرق الأوسط لتكون عوناً على تغلغل التبشير المسيحي، إلى مثل ذلك أشار ولبر سميث ".

خامساً: البعثات الجامعية والقروض والمنح للطلاب المحتاجين.

سادساً: الدعوة إلى التسامح المشبوه والحوار بين الأديان، واستغلال هذا الحوار لإقامة علاقات إنسانية، ومن خلالها يتم التبشير بالمسحية ومفاهيمها. (١)

(١) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري ص (٥٢-٥٥)

الفصل الثاني
موقف القرطبي من عقيدة الألوهية
عند النصارى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقيدة النصارى في الذات الإلهية وموقف القرطبي منها

المبحث الثاني: عقيدة النصارى في الصفات الآلهية وموقف القرطبي منها

.

المبحث الأول
عقيدة النصارى في الذات الإلهية وموقف القرطبي منها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الاول: شبهة اتخاذ الولد.

المطلب الثاني: عقيدة التثليث.

المطلب الثالث: عبادة الآلهة والرهبان من دون الله تعالى.

المطلب الرابع: التمرد على أوامر الله تعالى.

المطلب الخامس: الزعم بأنهم أبناء الله وأحبابه.

المبحث الأول

موقف القرطبي من عقيدة النصارى في الذات الإلهية

تجمع الفرق النصرانية المثلثة اليوم على القول: بأن الإله إنما هو إله واحد من ثلاثة أقانيم، وتجمع أيضاً على أن أول هذه الأقانيم هو الآب، وثانيها هو الابن، وثالثها هو روح القدس، والثلاثة إله واحد.

لكن هذه الفرق تختلف اختلافاً بيناً في تحديد طبيعة المسيح، فلقد صدر عن (مجمع نيقية) تأليهه، ثم حار النصارى في تحديد ماهية هذه الألوهية.[١]

كما حارب القرآن (تأليه) عيسى ابن مريم عند بعض نصارى العرب الجهال ، حارب (عقيدة التثليث)عند قوم آخرين منهم ضلوا عن الإنجيل.

المطلب الاول: شبهة اتخاذ الولد:

افترى البعض على الله – تعالى– ووصفوه بما لا يليق بجلاله سبحانه ، فقالوا بأنه اتخذ ولداً وابناً، وهذا زعمهم باطل ؛ لأنه لو جاز عليه سبحانه وتعالى – حاشا لله – فلا بد من وجود زوجة له، ولا بد من معرفة أيهما سبق الآخر في الوجود، وغيرها من اللوازم الفاسدة التي ينكرها النقل الصحيح والعقل الصريح .

وهذه من المقالات الشنيعة، والافتراء العظيم التي جاء بها أهل الكتاب، فقد قالت اليهود بأن عزير ابن الله، وقالت النصارى بأن المسيح ابن الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)؛ كما في قوله تعالى: **﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠].**

قال القرطبي : "وَظَاهِرُ قَوْلِ النَّصَارَى أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ، إِنَّمَا أَرَادُوا بُنُوَّةَ النَّسْلِ كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ فِي الْمَلَائِكَةِ، وَكَذَلِكَ يَقْتَضِي قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَالطَّبَرِيِّ وغير هما. وَهَذَا أَشْنَعُ الْكُفْرِ. قَالَ أَبُو الْمَعَالِي: أَطْبَقَتِ النَّصَارَى عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ وَأَنَّهُ ابْنُ إِلَهٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيُقَالُ إِنَّ بَعْضَهُمْ يعتقدها بُنُوَّةَ حُنُوٍّ وَرَحْمَةٍ. وَهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا لَا يَحِلُّ أَنْ تُطْلَقَ الْبُنُوَّةُ عَلَيْهِ وَهُوَ كُفْرٌ" .

---

(١) مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة – محرم – ١٤٢٤هـ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ﴾ قِيلَ: الْمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ قَوْلٌ سَاذَجٌ لَيْسَ فِيهِ بَيَانٌ وَلَا بُرْهَانٌ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ بِالْفَمِ مُجَرَّدٌ نَفْسِ دَعْوَى لَا مَعْنَى تَحْتَهُ صَحِيحٌ ؛ لِأَنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً، فَكَيْفَ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا ؟، فَهُوَ كَذِبٌ وَقَوْلٌ لِسَانِيٌّ فقط بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الْأَدِلَّةُ، وَيَقُومُ عَلَيْهَا الْبُرْهَانُ".

قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَذْكُرْ قَوْلاً مَقْرُونًا بِذِكْرِ الْأَفْوَاهِ، وَالْأَلْسُنِ إِلَّا وَكَانَ قَوْلاً زُورًا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ [آل عمران: ١٦٧] " .(١)

قوله تعالى: (يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ) " يُضاهِؤُنَ" يُشَابِهُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: امْرَأَةٌ ضَهْيَأٌ لِلَّتِي لَا تَحِيضُ أَوِ الَّتِي لَا ثَدْيَ لَهَا، كَأَنَّهَا أَشْبَهَتِ الرِّجَالَ ".

قوله تَعَالَى: (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) أَيْ " لَعَنَهُمُ اللَّهُ' يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛لِأَنَّ الْمَلْعُونَ كَالْمَقْتُول ". (١)

الرد على هذه الفرية: وقد جاءت كثير من الآيات القرآنية كما سيأتي في أثناء البحث ترد هذه المقالة الباطلة قال سبحانه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا كَمَا زَعَمْتُمْ، وَلَا كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ فِيمَا خَلَقَ. وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ، وَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَتْ مَعَهُ آلِهَةٌ لا نفرد كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ. ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أَيْ وَلَغَالَبَ وَطَلَبَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ كَالْعَادَةِ بَيْنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ الضَّعِيفُ الْمَغْلُوبُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِلَهِيَّةَ. وَهَذَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الشَّرِيكِ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْوَلَدِ أَيْضًا، لِأَنَّ الْوَلَدَ يُنَازِعُ الأب في الملك منازعة الشريك﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الولد والشريك.."(٢)

وتعد هذه الفرية من أخطر الافتراءات ؛ لكونها إلحاداً في صفات الرب تبارك وتعالى، وتنقيصاً له؛ لذلك جاء الرد عليهم بأدلة متنوعة، ومختلفة تبين بطلانها، فقد رد الله عز وجلفي كثير من الآيات على هذه المقالة الشنيعة، والفرية العظيمة التي نطق بها الجهال من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وذلك لأسباب:

١ - القول باتخاذ الولد مناف لأحدية الله وصمديته:

---

(١)انظر : تفسير القرطبي ، ٨ / ١١٩بتصرف .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ١٢ / ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف .

قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾[الإخلاص: ١-٤] ؛يقول القرطبي في تفسيره : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ أَيِ الْوَاحِدُ الْوِتْرُ، الَّذِي لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ وَلَا صَاحِبَةَ، وَلَا وَلَدَ وَلَا شَرِيكَ ".(١).

و يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ما من شيء من المخلوقات إلا، ولابد أن يكون له شيء يناسبه إما أصل، وإما فرع، وإما نظير، أو اثنان من ذلك، أو ثلاثة وهذا في الآدميين ، والجن ، والبهائم ظاهر، وأما الملائكة، فإنهم وإن لم يتوالدوا بالتناسل ، فلهم الأمثال والأشباه، ولهذه كانت هذه السورة أي سورة الإخلاص رداً على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين ،فإن قوله ﴿لَمْ يَلِدْ ﴾ رد لقول من يقول: بأن له بنين وبنات من الملائكة، أو البشر ، مثل من يقول : الملائكة بنات الله ،أو يقول المسيح ،أو عزير ابن الله ، كما قال تعالى:﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ". (٢)

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (قال الله كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي ، فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأ أحد)(٣) فالحديث يدل على أن القول باتخاذ الولد فيه منافة للكمال الإلهي، والوحدانية، وشتم للحق تبارك وتعالى، وانتقاصاً لقدره سبحانه ، وهذا مما يستنبط من عقائد النصارى الفاسدة وهذا يستنبط من عقائد النصارى الفاسدة.

٢- منافاة الكمال:

قال سبحانه وتعالى: **چ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ چ [يونس: ٦٨].**

---

(١)انظر : تفسير القرطبي ، ٢٠/٢٤٤ .

(٢)مجموع الفتاوى ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ت(٧٢٨هـ) ، الجزء الثاني ، صفحة ٤٣٩، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النورة ، المملكة العربية السعودية ، سنة النشر ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م .
(٣)صحيح البخاري ، محمد بن أسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجزء الرابع ، صفحة ١٩٠٣ ، حديث رقم ،: ٤٦٩٠ ، تحقيق محمد بن ناصر الناصر ، نشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

قال القرطبي في تفسيرها : " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يَعْنِي الْكُفَّارَ. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ نزه نفسه عن الصحابة وَالْأَوْلَادِ وَعَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ. (هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ) ثُمَّ أَخْبَرَ بِغِنَاهُ الْمُطْلَقِ، وَأَنَّ لَهُ مَا فِي السموات والأرض ملكا وخلقا وعبيدا ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ﴾ أَيْ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ بِهَذَا. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ مِنْ إِثْبَاتِ الْوَلَدِ لَهُ، وَالْوَلَدُ يَقْتَضِي الْمُجَانَسَةَ وَالْمُشَابَهَةَ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يجانس شيئا ولا يشابه شيئاً ".[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فان الولد من جنس الوالد، ونظير له، وكلاهما يستلزم الحاجة والفقر، فيمتنع وجود قادر بنفسه، فالذي جعل لله شريكاً لو فرض مكافئاً لزم افتقار كل منهما، وهو ممتنع، وإن كان غير مكافئ فهو مقهور، والولد يتخذ المتخذ لحاجته إلى معاونته له، كما يتخذ المال، فان الولد إذا اشتد أعان الوالد، فاتخاذ الولد إنما يكون عن حاجة، وفقر، والله هو الغني الحميد ففي هذه القول منافة لكمال الله عز وجل، بل هي أنقص ؛ لأن اتخاذ الولد هو عوض عن الولادة لمن لم يحصل له، فهو أنقص في الولادة)[2].

٣- امتناع الولادة عليه سبحانه:

([1]) انظر : تفسير القرطبي ، ٨/ ٣٦١ .

(١) ([2]) النبوات ، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، ت (٧٢٨هـ) ، الجزء الاول ، الصفحة العشرون بتصرف ، تحقيق : عبد العزيز بن صالح الطويان ، ، نشر أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

فقد نفى الحق تبارك وتعالى في كتابه عن نفسه الولادة، ونفى اتخاذ الولد جميعاً، فلو كان جائزاً في حقه الولادة، لما كان إلا من طريق التبني والاختيار ؛ لامتناع الولادة عليه، ولوقع هذه الاختيار من اشرف المخلوقات قال سبحانه وتعالى: **ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ [الزمر: ٤].**

قال القرطبي في تفسيرها : أَيْ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِهَذَا مَا جَعَلَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ." سُبْحانَهُ" أَيْ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ" هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ".

٤- الولادة لا تكون إلا من اثنين:

الله سبحانه لا صاحبة له ، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾** ﴾[الأنعام: ١٠١].

يقول القرطبي في تفسيرها :" أَيْ مُبْدِعُهُمَا، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يكون له ولد ﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ** ﴾ أَيْ مِنْ أَيْنَ يكون له ولد. وولد كل شي شَبِيهُهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ. ﴿ **وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٞ** ﴾ أي زوجة".([1])

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وفي الآية ثلاثة أدلة على نفي الولد أحدها: كونه ليس له صاحبة، فهذا نفي الولادة المعهودة، وقوله: وخلق كل شيء نفي للولادة العقلية، وهى التولد ؛ لأن خلق كل شيء ينافي تولدها عنه، وقوله: وهو بكل شيء عليم يشبه – والله أعلم – أن يكون لما ادعت النصارى أن المتحد به هو الكلمة التي يفسرونها بالعلم، والصابئة القائلون بالتولد، والعلة لا يجعلونه عالماً بكل شيء ؛ ذكر أنه بكل شيء عليم ؛ لإثبات هذه الصفة له رداً على الصابئة، ونفيها عن غيره رداً على النصارى ".([2])

٥- إعراض أنبياء الله وأوليائه عن عبادة غيره:

قال سبحانه: **ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [الزخرف: ٨١].**

([1]) انظر : تفسير القرطبي ،٨/ ٣٦١.

([2]) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ٢/٤٤٥.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية :معناه أي" قُلْ يَا مُحَمَّدُ للكفار إِنْ ثَبَتَ لِلَّهِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْبُدُ وَلَدَهُ، وَلَكِنْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَهُوَ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تناظره: إن ثبت ما قلت بِالدَّلِيلِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَعْتَقِدُهُ، وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الِاسْتِبْعَادِ، أَيْ لَا سَبِيلَ إِلَى اعْتِقَادِهِ"([1]).

وهذا من الأدلة العقلية على نفي الولد عن الله – عز وجل– كما ذكر ذلك كثير من أهل التفسير. فالرسول هو أول العابدين لذلك الولد؛ لأنه يكون مستحقاً للعبادة كالوالد، ففي ذلك مرضاة للرب، وطاعة له، وقيام بحق عبادته، كما يحصل في الدنيا من تعظيم أبناء الملوك، فلو صح هذا، وقام الدليل عليه لكان أول العابدين، ولكن هذا ممتنع غاية الامتناع عن الله عز وجل فلا أعبد أحداً غيره.

ويقول الآلوسي: " فالمعنى إن كان للرحمن ولد، وصح ذلك، وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلون بها، فأنا أول من يعظم ذلك الولد ، وأسبقكم إلى طاعته، والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم أبيه، وهذا نفي لكينونة ولد له سبحانه على أبلغ وجه، وهو الطريق البرهاني ، والمذهب الكلامي، فإنه في الحقيقة قياس استثنائي استدل فيه بنفي اللازم البين انتفاؤه، ، وهو عبادته ﷺ للولد على نفي الملزوم، وهو كينونة الولد له سبحانه ،وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. [2]

فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقاً إليه وتكميلاً له، وكل شر فهم أول الناس تركاً له وإنكاراً له وبعداً منه،

---

(1) انظر : تفسير القرطبي ، ١٦/ ١١٩.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، ت ١٢٧٠ه، تحقيق علي عبد الباري عطية، الجزء الثامن عشر، صفحة ٤١٠، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ه.

فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون(١).

فكان هذه الإعراض من الرسل الكرام دليل على بطلان نسبة الولد إلى الله – سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٦– قول منكر وشنيع أنكرته حتى الجمادات قال سبحانه وتعالى في معرض الرد على هذا الادعاء العظيم: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ **[مريم: ٨٨–٩٢].**

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ" كادت السموات ان تتشقق وتتصدع الأرض وتسقط الجبال هداً وهدماً من هذا الزعم (٣).

وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، فقد جاءوا بشيء عظيما، تكاد السموات على عظمها وصلابتها أن تتصدع وتنفطر، والجبال أن تندك من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر، والحال أنه: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى ﴾ أي: لا يليق ولا يكون ﴿لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾، وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سمي(٢).

فالجمادات فزعت، وخافت من هذا الشرك، وكادت أن تزول منه لعظمة الله تبارك وتعالى. وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب رد لمقالتهم الباطلة، وتهويل لأمرها المنبئ عن كمال السخط، وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الجزء الأول، صفحة ٧٧٠، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

(٣) انظر : تفسير القرطبي ، ١١/ ١٥٧ ،

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، الجزء الأول، صفحة ٥٠١،.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، الجزء السادس عشر، صفحة ١٣٩.

حجة واهية:

ويستدلون على قولهم هذا: بأن المسيح ولد من غير أب، فكان دليل على كونه إلهاً فيا لها من حجة واهية، ودليل سقيم، لا يحتاج بالتبرع له بالدليل على بطلانه، فهو دليل ظاهر البطلان يقول ابن القيم: "وإن قلتم إنما استدللنا على كونه إلها بأنه لم يود من البشر، ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلها منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح له أم، وحواء أيضا جعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح؟! والله سبحانه قد نوع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته، وأنه يفعل ما يشاء، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى"[١].

وبهذا يتبين لنا فساد هذه المقالة ومخالفتها للمنطق والعقل السليم والواقع، وتدل على ضلال قائلها نسأل من الله تعالى السلامة والعافية.

المطلب الثاني: عقيدة التثليث:

لا تخرج النصرانية عن نطاق الأديان البدائية تلك ،والأساطير التي شاعت فى الأمم القديمة ،ذلك لأنها لا تمت إلى المسيح بصلة ،ولعل أهم المعتقدات النصرانية، التي أثارت وما زالت تثير الكثير من التساؤلات ، وعلامات الاستفهام، عقيدة التثليث التي تقول أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، أي أن النصرانية تدعي أنها تدين بالتوحيد بثلاثة، هم الأب ، والابن ، والروح القدس، فالثلاثة في واحد ، والواحد في ثلاثة، فهل هذا الكلام معقول أو مقبول ؟؟ ، ومن أين أتت هذه العقيدة ؟؟ و ومن أول من قال بها ؟؟ ، وهل في الكتب المقدسة ما يدل على ألوهية المسيح أو الروح القدس ؟؟ .

أولاً: معنى التثليث عند النصارى:

إن المدقق لمعنى التثليث عند طوائف النصارى يجد اختلافاً واسعاً، إلا أن جماهير النصارى من (الكاثوليك) و(الأرثوذكس) و(البروتستانت) ، وعامة الكنائس الشرقية ، والغربية يؤمنون بإله واحد مثلث الأقانيم، فمعبودهم له ثلاثة أقانيم في ثلاثة ذوات منفصلة اتحدت، وهي الأب والابن والروح القدس.

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ج١، ص ١٢٠.

هل في الكتاب المقدس دليل على التثليث ؟؟

منالمتوقع، ونحن نتحدث عن التثليث أهم عقائد النصرانية، أن نجد ما يؤصله في عشرات النصوص الواردة على لسان الأنبياء ثم المسيح عليه السلام، ولكن المفاجئ أن لا نعثر لا في العهد القديم ولا الجديد على أدلة واضحة صريحة تتكلم عن التثليث، فهل يعقل هذا؟ ، وكل ما يملكونه إشارات موهومة محتملة ، ففي (العهد القديم)تعلق النصارى ببعض الإشارات في بعض النصوص التي لا تدل بأي حال من الأحوال على دعوى التثليث الصريح، كورود كلمة (قدوس قدوسقدوس رب الجنود) [١] وغيرها من الكلمات المشابهة، التي لو استدل بها على التثليث، فلسوف نرى تربيعاً وتخميساً... إلخ ، نظراً لكثرة تكرارها للتأكيد لا للتعدد.

وأما في العهد الجديد فليس فيه سوى نصين فقط ذكر فيهما التثليث:

١ – في رسالة يوحنا الأولى: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم الواحد)، وهو نص غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، بل غير موجود في أول نص مطبوع، فقد أضيف لاحقاً باعتراف علماء النصرانية أنفسهم. [٢]

الثاني: فهو ما جاء في خاتمة متى من أن المسيح قبيل صعوده إلى السماء دعا إلىعقيدةالتوحيدلا التثليث. [٣]

ثانياً: أصل التثليث .

يظهر أن هذه العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وذلك أن (أفلاطون)[٤] زعيم مدرسة الاسكندرية، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، كان يرى فيما يتعلق بالكون ومنشئه، أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض، وليسفكراًكفكرناولا إرادة كإرادتنا، يتصفبكل كمال يليق به، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتاج إلى موجد ؛ وأن أول شيء صدر عن هذا المنشئ هو العقل، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه ؛ ولهذا العقل قوة الإنتاج، ولكن ليس كمن يولد

(١) سفر إشيعيا ٦/٣ والتكوين ١/١ والرؤيا ٤/٨.

(٢) متى (٢٨ / ١٨ – ٢٠).

(٣) انظر : انجيل متى ٩/١٠–٢٢ و ١٩/١٧.

(٤) من رجال القرن الثالث الميلادي – ولد سنة ٢٠٥م وتوفي سنة ٢٧٠م.

عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء.

فوجه الشبه واضح كل الوضوح بين هذا المذهب من جهة، وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى. وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الإسكندرية، وأن بطريرك الإسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي المجمع القسطنطيني الأول، وإذا لاحظنا هذا كله ترجح لنا ما ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية الطارئة قد نشأت عن تأثر بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة.

ومن الممكن كذلك أن تكون قد تأثرت بالديانة البرهمية في أوضاعها الأخيرة، وذلك أن الديانة البرهمية قد استقرت أوضاعها في آخر الأمر على الاعتقاد بتثليث الآلهة، وإن كان ثالوثها يختلف عن ثالوث المسيحيين في نشأة كل أقنوم من أقانيمه وعمله وصفاته، وذلك أنها تقرر أن الإله براهما كان قبل الوجود، وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق، ثم انبثق منه الإله سيفا وهو الإله المدمر الموكل بالخراب والفناء، ولو ترك هذا الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن، ولهذا انبثق من براهما إله ثالث هو (الإله فيشنو). (١)

مما سبق يتبين أن التثليث مبدأ فلسفي قديم وعبادة وثنية سابقة.

ثالثاً: إبطال التثليث في القرآن الكريم:

إن عقيدة التثليث بدعة عظيمة أحدثها النصارى، لا تعرف في أي دين سماوي، ولم يتكلم نبي واحد بها، وهي مخالفة للعقل بكل المقاييس، وقد رد القرطبي على ذلك بعدد من الأدلة وهي كالتالي :

أ – بيان غلو النصارى وزجر القرآن لهم :

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي، صفحة ١٠٧ –١٠٨، نشر مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٤هـ – ١٩٦٤م.

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء ١٧١] قَوْلُهُ تَعَالَى:[﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ ﴾ نَهْيٌ عَنِ الْغُلُوِّ. وَالْغُلُوُّ التَّجَاوُزُ فِي الْحَدِّ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ غُلُوَّ الْيَهُودِ فِي عِيسَى حَتَّى قَذَفُوا مَرْيَمَ، وَغُلُوَّ النَّصَارَى فِيهِ حَتَّى جَعَلُوهُ رَبًّا، فَالْإِفْرَاطُ وَالتَّقْصِيرُ كُلُّهُ سَيِّئَةٌ وَكُفْرٌ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عمر أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **(لَا تُطْرُونِي** [١] **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى وَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)**[٢]. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أَيْ: لا تقولوا إن له شريكاً أو أبناء،

ب – موقف القرآن من عيسى عليه السلام .

حيث بَيَّنَ الله تَعَالَى حَالَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَصِفَتَهُ فَقَالَ: " **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ**"، وَدَلَّ بِقَوْلِهِ: " **عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**" عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مَنْسُوبًا بِوَالِدَتِهِ كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا ؟، وَحَقُّ الْإِلَهِ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا لَا مُحْدَثًا.، قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أَيْ هُوَ مُكَوَّنٌ بِكَلِمَةِ" كُنْ" فَكَانَ بَشَرًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الشَّيْءَ بِاسْمِ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ صَادِرًا عَنْهُ. وَقِيلَ: " كَلِمَتُهُ" بِشَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَرِسَالَتُهُ إِلَيْهَا عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَذَلِكَ قَوْلُهُ:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أَيْ آمِنُوا بِأَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَالِقُ الْمَسِيحِ وَمُرْسِلُهُ، وَآمِنُوا بِرُسُلِهِ وَمِنْهُمْ عِيسَى فَلَا تَجْعَلُوهُ إِلَهًا. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ آلِهَتُنَا" ثَلَاثَةٌ"،قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " يُرِيدُ بِالتَّثْلِيثِ اللَّهَ تَعَالَى وَصَاحِبَتَهُ وَابْنَهُ ". وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدٍ: " أَيْ لَا تَقُولُوا هُمْ ثَلَاثَةٌ "، وَالنَّصَارَى مَعَ فِرَقِهِمْ مُجْمِعُونَ عَلَى التَّثْلِيثِ وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَقَانِيمَ، فَيَجْعَلُونَ كُلَّ أُقْنُومٍ إِلَهًا، وَيَعْنُونَ بِالْأَقَانِيمِ الْوُجُودَ وَالْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ، وَرُبَّمَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْأَقَانِيمِ بِالْأَبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ، فَيَعْنُونَ بِالْأَبِ الْوُجُودَ، وَبِالرُّوحِ الْحَيَاةَ، وَبِالِابْنِ الْمَسِيحَ، فِي كَلَامٍ لَهُمْ فِيهِ تَخَبُّطٌ بَيَانُهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ. (١)

ج – التنويع في أنماط الاستدلال على إبطال مزاعم النصارى .

- اعتماد اللغة في بيان الحقائق ورد الشبهات .ما يُجْرِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ عَلَى حَسَبِدَوَاعِيهِ وَإِرَادَتِهِ

---

(١) الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٢) أخرجه البخاري في باب الطيب للجمعة، ج ٨، ص ٥٥٢،

- الاستناد للبرهنة العقلية في الرد . خُرُوجَ هَذِهِ الْأُمُورِ عَنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُقْتَدِرُعَلَيْهَا مَوْصُوفًا بِالْإِلَهِيَّةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ وكان مستقلاً به ؛ كَانَ تَخْلِيصُ نَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَدَفْعُ شَرِّهِمْ عَنْهُ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ
- حشد الشواهد النقلية في بيان الفساد .مُعَارَضَة ذلك بما حصل مع موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة ، وَمَا كَانَ يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، مِثْلَ قَلْبِ الْعَصَا ثُعْبَانًا، وَفَلْقِ الْبَحْرِ وَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَالْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ مَا جَرَى عَلَى يَدِ الْأَنْبِيَاءِ،. (٢)

وقال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)** ﴾ **[المائدة: ٧٣].**

(١)تفسير القرطبي ٢٠/٦ – ٢٢.
(٢)انظر :المرجع السابق ، ٦/ ٢٠ – ٢٦.

يقول القرطبي في تفسير الآية ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾ أي أحد ثلاثة، وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية؛ لأنهم يقولون: أب وابن وروح القدس؛ إله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم، وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة؛ وذلك أنهم يقولون: أن الابن إله؛ والأب إله؛ وروح القدس إله؛

فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقوله:﴿ **وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ** ﴾ أي يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة. (١)

إن عقيدة التثليث جمعت بدون منازع بين الغموض والتعقيد معاً، بل جمعت المتناقضات والأضداد، فكيف يعقل أن يكون الثلاثة واحداً أو الواحد ثلاثةً، وأمام هذا التناقض والتضاد، لم يجد

(١) تفسير القرطبي ، ٢٤٩/٦

النصارى للتخلص منذلك إلا بالقول: إن التثليث سر من الأسرار لا يمكن للعقل أن يقف على كنهها، بينما المفترض أن تكون العقيدة سهلة واضحة كما هي العقيدة الإسلامية.

المطلب الثالث: عبادة الآلهة والرهبان من دون الله تعالى:

وهي من أقبح العقائد الفاسدة التي من خلالها أراد هؤلاء القوم أن يدخلوا الشرك إلى قلوب الناس من خلال هذه العقيدة وغيرها من العقائد الباطلة، ولذلك فهم يزعمون أن هؤلاء الأحبار والرهبان يتكلمون ويأمرون وينهون نيابة عن الله تعالى' ولهم السلطة المطلقة في الدين' فيحلون ويحرمون' بل ويغفرون للمذنب والمجرم والفاجر بمجرد حضوره للكنيسة' وتقبيله لأعتابها ولأقدامهم (النجسة) وقد يمنحون المجرمين والمفسدين في الأرض صكوك الغفران زاعمين أنهم يضمنون لهم بها الجنة !

ولذلك فهم يسمون رجال الكنيسة (رجال الدين)، وهذه التسمية نابعة من فكرتهم الخاطئة من أن الدين لا صلة له بالدنيا' وله رجال لا يتدخلون بأمور الدنيا التي لها رجالها' وقد انتقلت هذه التسمية مع الأسف إلى المسلمين بالتقليد الأعمى، وأخذ المصطلحات الغربية دون تمحيص ؛ حتى أصبح المسلمون يتغنون بهذه الشعارات الزائفة، وأن للسياسية رجال يختلفون عن رجال الدين، ونسوا أن الإسلام دين الحياة' وكل المسلمين ينبغي أن يكونوا رجال دين وسياسية' لأن من أهم شروط الولاية والإمارة في الإسلام: الفقه والعلم بالدين' حتى تهتدي نشاطات الحياة كلها بأحكام الإسلام التي تشمل كل شيء.

المقصود من عبادة الرهبان والآلهة:

مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَنْزَلُوهُمْ مَنْزِلَةَ رَبِّهِمْ فِي قَبُولِ تَحْرِيمِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ اللَّهُ. أي أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي أَوَامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ. (١)

كما أنهم اتبعوا أحبارهم ورهبانهم في القوانين التي وضعُوها لأَنْفُسِهِمْ وتوافقوا عَلَيْهَا وارتبطوا لَهَا من غير أَن يشْهد بِصِحَّة تِلْكَ القوانين شَاهد من توراة وَلَا من إنجيل .(٢)

رد القرطبي على هذه الفرية:

---

(١) تفسير القرطبي ٤ / ١٠٦.

(٢) انظر : الإعلام للقرطبي ، ١/ ٤٠٥.

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[التوبة: ٣١]**

وقد رد القرطبي على ذلك من خلال آيات القرآن الكريم وبين بطلان هذه العقيدة، حيث قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** ﴾ الْأَحْبَارُ جَمْعُ حَبْرٍ، وَهُوَ الَّذِي يُحَسِّنُ الْقَوْلَ وَيُنَظِّمُهُ وَيُتْقِنُهُ بِحُسْنِ الْبَيَانِ عَنْهُ. وَمِنْهُ ثَوْبٌ مُحَبَّرٌ أَيْ جَمَعَ. وَالرُّهْبَانُ جَمْعُ رَاهِبٍ مَأْخُوذٌ مِنَ الرَّهْبَةِ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُ خَوْفُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ يُخْلِصَ لَهُ النِّيَّةَ دُونَ النَّاسِ، وَيَجْعَلُ زَمَانَهُ لَهُ وَعَمَلَهُ مَعَهُ وَأُنْسَهُ بِهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: جَعَلُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شي، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ** ﴾ **[الكهف: ٩٦]** أَيْ كَالنَّارِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

رَوَى الْأَعْمَشُ وَسُفْيَانُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبَى الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: سُئِلَ حُذَيْفَةُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ" هَلْ عبد وهم؟ فَقَالَ لَا، وَلَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَاسْتَحَلُّوهُ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَحَرَّمُوهُ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: **(مَا هَذَا يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ) وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ" بَرَاءَةٌ" اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ" ثُمَّ قَالَ: (أَمَا إِنهم لم يكونوا يعبد ونهموَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ).** [1]قَالَ:قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ** ﴾ وَالْمَسِيحُ: الْعَرَقُ يَسِيلُ مِنَ الْجَبِينِ. [2]

---

(١) رواه الترمذي في سننه حديث رقم (٣٠٩٥)وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ حَرْبٍ. وَغُطَيْفُ بْنُ أَعْيَنَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي الْحَدِيثِ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٣٠

(٢) تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٦٢.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: قُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ كَيْفَ كَانَتْ تِلْكَ الرُّبُوبِيَّةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُمْ رُبَّمَا وَجَدُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يُخَالِفُ أَقْوَالَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ، فَكَانُوا يَأْخُذُونَ بِأَقْوَالِهِمْ وَمَا كَانُوا يَقْبَلُونَ حُكْمَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى. (١)

١ –إن الله تعالى أمرهم أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا معه أحد من الأحبار والرهبان، وقد ظهر هذا جلياً في آية المباهلة بين النبي ﷺ ونصارى نجران، حيث قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾**[آل عمران: ٦٤]** ويقول القرطبي في معرض رده عليهم أيضاً في تفسير هذه الآية: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ الْخِطَابُ لِأَهْلِ نَجْرَانَ. وقيل لِيَهُودِ الْمَدِينَةِ، خُوطِبُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَحْبَارَهُمْ فِي الطَّاعَةِ لَهُمْ كَالْأَرْبَابِ. وَقِيلَ: هُوَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى جَمِيعًا. وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ **سَلَامٌ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى، أسلم تسلم، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ**(٢)،**وَيَا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ- إِلَى قَوْلِهِ:** " **فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**". (٣) وَالسَّوَاءُ الْعَدْلُ وَالنَّصَفَةُ. فَالْمَعْنَى أَجِيبُوا إِلَى مَا دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الْعَادِلَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَيْلٌ عَنِ الْحَقِّ، وَقَدْ فَسَّرَهَا بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ** ﴾ ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ** ﴾ أي لا نتبعه في تحليل شي أَوْ تَحْرِيمِهِ إِلَّا فِيمَا حَلَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾[التوبة: ٣١]؛ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَنْزَلُوهُمْ مَنْزِلَةَ رَبِّهِمْ فِي قَبُولِ تَحْرِيمِهِمْ، وَتَحْلِيلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ اللَّهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ** ﴾ أَيْ أَعْرَضُوا عَمَّا دُعُوا إِلَيْهِ. ﴿ **فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ أَيْ مُتَّصِفُونَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ مُنْقَادُونَ لِأَحْكَامِهِ معترفون بما لله عليه عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمِنَنِ وَالْإِنْعَامِ، غَيْرُ مُتَّخِذِينَ أَحَدًا رَبًّا لَا عِيسَى وَلَا عُزَيْرًا ولا الملائكة، لأنهم بشر مثلنا محدث كحدثنا، وَلَا نَقْبَلُ مِنَ الرُّهْبَانِ شَيْئًا بِتَحْرِيمِهِمْ عَلَيْنَا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ عَلَيْنَا، فَنَكُونُ قَدِ اتَّخَذْنَاهُمْ أَرْبَابًا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَعْنَى يَتَّخِذَ" يَسْجُدُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ السُّجُودَ كَانَ إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثُمَّ **نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذاً لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ، وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ:**

---

(١)مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، ج١٦: ص ٣٠.

(٢) الأريسيين: الأكارون والفلاحون والخدم، والخول، كل ذلك وارد في معنى هذه الكلمة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي رقم (٦) ومسلم في كتاب الجهاد والسير رقم(٣٣٢٢).

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَنْحَنِي بَعْضُنَا لِبَعْضٍ؟ قَالَ (لَا) قُلْنَا: أَيُعَانِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟ قَالَ: (لَا وَلَكِنْ تَصَافَحُوا). [1] (٢)

٢ –عدم التسليم لهم بما ينسبونه لأنفسهم من حق التشريع لك لمخالفتهم تعاليم التوراة والانجيل وتحريف الاحكام فيهما بما يناسب أهواءهم :

قال القرطبي " وَإِنَّمَا ننكر عَلَيْهِم أَن يجْعَلُوا أنفسهم شارعين وينزلوا أنفسهم منزلَة رب الْعَالمين فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي الحكم والتحكم لَهُ إِذْ لَهُ أَن يفعل مَا يُرِيد وَيحكم مَا يَشَاء فِي العبيد وَأما الْأَنْبِيَاء فَلَا يحكمون من عِنْد أنفسهم وَإِنَّمَا يبلغون أَحْكَام الله ثمَّ أعجب من ذَلِك جرأتهم على الله واستهزاؤهم بِكِتَاب الله فَإِن هَذِه الذُّنُوب الَّتِي قدمت ذكرهَا قد شرع الله أَحْكَامهَا فِي التَّوْرَاة نصوصا وَبَين حُدُودهَا فَجعل فِي أَكثر تِلْكَ الْمَوَاضِع الْقَتْل وَلم يحكم فِيهَا بِشَيْء مِمَّا اخترعوه وَلَيْسَ فِي إنجيلهم أَيْضا من هَذِه الْأَحْكَام شَيْء وَعند هَذَا تبين أَنهم خالفوا كتب الله وَتركُوا سنة رسل الله وتحكموا فِي ذَلِك بأهوائهم وَتركُوا سنَن أَنْبِيَائهمْ فحقت عَلَيْهِم لعنة الله أَبَد الآبدين وغضبه إِلَى يَوْم الدّين "(٢)

المطلب الرابع: التمرد على أوامر الله تعالى:

فقد ذكر القرآن الكريم بعض الصور التي تبين تمرد النصارى على أمر الله تعالى، وهناك آيات كثيرة في هذا الباب تبين، وتوضح تمرد النصارى على أوامر الله تعالى، وقد وقع التمرد على أوامر الله في صور عدة:

أولاً – كفر النصارى بالنبي ﷺ ، وعدم اتباعهم له مع معرفتهم السابقة بمبعثه ﷺ في آخر الزمان، وعلمهم بصفته ونعته من خلال كتبهم، ولكن حينما بعثه الله تعالى نقضوا العهد مع الله تعالى، وكفروا بمحمد ﷺ ، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝١٤ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ

(١) سنن ابن ماجه تأليف، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، باب المصافحة، الجزء الثاني، الصفحة ١٢٢٠، حديث رقم ٣٧٠٢، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ، ٤ / ١٠٤– ١٠٧ .

(٢) انظر : الإعلام للقرطبي ، ١ /٤٠٥ .

وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: الآيات ١٤– ١٦].

من هذه الآيات نستطيع أن نبين جانباً من هذا التمرد على أوامر الله تعالى:

أولاً: أخبر سبحانه وتعالى أنه أخذ عليهم العهد فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ، غير أنهم نسوا هذا العهد، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْ: لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ الْهَوَى وَالتَّحْرِيفَ ؛ سَبَبًا لِلْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثانياً: ابتداع النصرانية: مصداقاً لقوله تعالى **﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾** ولم يقل سبحانه من النصارى: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ ابْتَدَعُوا النَّصْرَانِيَّةَ وَتَسَمَّوْا بِهَا. (١)

ثالثاً – عبادتهم للمسيح من دون الله تعالى: قال تعالى: **﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].**

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: " **﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾** هَذَا قَوْلُ الْيَعْقُوبِيَّةِ، فرد الله عليهم ذَلِكَ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِمَّا يُقِرُّونَ بِهِ' فَقَالَ: **﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ ﴾** أَيْ إِذَا كَانَ الْمَسِيحُ يَقُولُ: يَا رَبِّ وَيَااللَّهُ فَكَيْفَ يَدْعُو نَفْسَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْأَلُهَا؟ هَذَا مُحَالٌ. **﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾** قيل: وهو مِنْ قَوْلِ عِيسَى. وَقِيلَ: ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْإِشْرَاكُ أَنْ يَعْتَقِدَ مَعَهُ مُوجِدًا ".

رابعاً– عبادتهم لأحبارهم ورهبانهم من دون الله تعالى: قال تعالى: **﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]** مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَنْزَلُوهُمْ مَنْزِلَةَ رَبِّهِمْ فِي قَبُولِ

---

(١) تفسير القرطبي ٦/ ١١٧-١١٩ بتصرف.

تَحْرِيمِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ اللَّهُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ الْقَوْلِ بِالِاسْتِحْسَانِ الْمُجَرَّدِ الَّذِي لَا يَسْتَنِدُ إِلَى دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ، وَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَيِّنَ مُسْتَنَدًا مِنَ الشَّرِيعَةِ.(١)

خامساً – ابتداع الرهبانية: قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾** ﴾ [الحديد: ٢٧].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا** ﴾

أ – أن هذه الرهبانية تم ابتداعها من قبل النصارى أنفسهم ما فرضها الله تعالى عليهم ، ولا أمرهم بها إلا إبتغاء رضوان الله تعالى ، فما قاموا بها حق القيام .

ب – هذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة ، وينبغي لمن ابتدع خيراص أن يدوم عليه ، ولا يعدل عنه إلى ضده ، فيدخل في الآية.

ج – الآية دالة على أن العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت مستحبة عند فساد الزمان ، وتغير الأصدقاء والإخوان .(١)

سادساً – عقيدة التثليث فيها تمرد على أوامر الله تعالى، واتهام لله تعالى بالنقصان قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾** ﴾ [المائدة: ٧٣].

يقول القرطبي في تفسير الآية: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ** ﴾ أي أحد ثلاثة، وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية، لأنهم يقولون: أب وابن وروح القدس، إله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم، وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة' وذلك أنهم يقولون: أن الابن إله ، والأب إله ، وروح القدس إله ،فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقوله: ﴿ **وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ** ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ** ﴾ أي يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهمعذاب أليم في الدنيا والآخرة. (٢)

وقد عاقبهم الله تعالى في الدنيا بسبب هذه الأفعال، وتمردهم على أوامر الله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٠٧.

أ – بأن ألصق بهم العداوة والبغضاء ؛ وكفر بعضهم بعضاً، وكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبتها، وابغاضها لأنهم كفار، وذلك جزاء لنقضهم العهد والميثاق مع الله تعالى، وإخفاء بعض الأحكام الموجودة عندهم في كتبهم وتغييرها وطمسها، وقد جاء النبي – ﷺ – وبينها ووضحها، وكشف كذبهم وزيفهم مثل آية الرجم، وأصحاب السبت الذين مسخوا قردة وغيرها التي كانوا يخفونها، ويَتْرُكُ أموراً أخرى كثيرة وَلَا يُبَيِّنُهَا، وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ مَا فِيهِ حُجَّةٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَدَلَالَةٌ عَلَى صِدْقِهِ وَشَهَادَةٌ بِرِسَالَتِهِ' وَيَتْرُكُ مَا لَمْ يكن به حاجة إلى تبيي

(١) انظر : تفسير القرطبي ، ١٧ / ٣٦٣ –٣٦٦ .
(٢) المصدر السابق ،٦/٢٤٩

المطلب الخامس: الزعم بأنهم أبناء الله وأحبابه:

وهي شبهة لا دليل عليها، وفرية لا أساس لها من أقوال هؤلاء المتبجحين من اليهود والنصارى، وهم يعتقدون أنهم أفضل الخلق، وأن الله اختصهم بهذا الأمر دون غيرهم من الخلائق.

مضمون الشبهة:

أن اليهود والنصارى يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ؛لأنهم منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وهو يحبهم.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[المائدة: ١٨].

يقول القرطبي في تفسير الآية: وَالنَّصَارَى قَالَتْ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ، لِأَنَّ فِي الْإِنْجِيلِ حِكَايَةً عَنْ عِيسَى" أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ"[١]. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: نَحْنُ أَبْنَاءُ رُسُلِ اللَّهِ وَبِالْجُمْلَةِ. فَإِنَّهُمْ رَأَوْا لِأَنْفُسِهِمْ فَضْلًا([٢]).

رد القرطبي على هذه الفرية:

(١) يوحنا (٢٠: ١٧).
([٢]) انظر تفسير القرطبي ، ٦ / ١٢٠ .

١ – قال القرطبي فَرَدّ الله تعالى عَلَيْهِمْ قَوْلُهُمْ فَقَالَ: ﴿ **فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم** ﴾ فَلَمْ يَكُونُوا يَخْلُونَ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ:

الأول: إِمَّا أَنْ يَقُولُوا هُوَ يُعَذِّبُنَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: فَلَسْتُمْ إِذًا أَبْنَاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، وَأَنْتُمْ تُقِرُّونَ بِعَذَابِهِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى كَذِبِكُمْ– وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى عِنْدَ الْجَدَلِيِّينَ بِبُرْهَانِ الْخُلْفِ–

الثاني: أَوْ يَقُولُوا لَا يُعَذِّبُنَا فَيُكَذِّبُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ، وَيُبِيحُوا الْمَعَاصِيَ وَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِعَذَابِ الْعُصَاةِ مِنْهُمْ، وَلِهَذَا يَلْتَزِمُونَ أَحْكَامَ كُتُبِهِمْ:﴿ **بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ** ﴾ أَيْ كَسَائِرِ خَلْقِهِ يُحَاسِبُكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ.﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ فَلَا شَرِيكَ لَهُ يُعَارِضُهُ.﴿ **وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ أَيْ يَئُولُ أَمْرُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ في الآخرة. (١)

٢ – لا يوجد هناك دليل لأي من الفريقين على دعواهم:

فالنصارى يدعون أن المسيح فداهم بنفسه، وأنهم أبناء الله بولادة الروح، وأن المسيح هو ابنه الحقيقي، ولذلك فهم ليسوا بحاجة إلى إصلاح في دينهم ودنياهم فرفضوا القبول بنبوة محمد.

وهذا الزعم مردود عليهم لأن الموجود في كتبهم خلاف ما يدعون إذ إن كتبهم بشرت بمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾** ﴾ [الصف: ٦].

(١) المصدر السابق ، ٦/ ١٢١.

المبحث الثاني
عقيدة النصارى في الصفات الآلهية وموقف القرطبي منها

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: عقيدة التجسيم عند النصارى.

المطلب الثاني: اتهام الله تعالى بالعيوب والنقائص.

المطلب الاول: عقيدة التجسيم عند النصارى وموقف القرطبي منها.

أولاً: تعريف التجسيم والاتحاد:

الاتحاد لدى النصارى المراد به هو: أن الله تبارك وتعالى اتخذ جسد المسيح له صورة، وحلَّ بين الناس بصورة إنسان هو المسيح، تعالى الله عما يقولون. (١)

اتحاد الكلمة:

حيث فسر النصارى اتحاد الله سبحانه وتعالى بعيسى عليه السلام كان بالكلمة الَّتِي هِيَ الْعلم.

واختلف النصارى فيما بينهم في الاتحاد والحلول على فرقتين:

الفرقة الأولى: وهم القلة تنفى الإتحاد والحلول، وَلم تقل بِشَيْء من ذَلِك، وهم طَائِفَة مُتَقَدّمَة يعْرفُونَ بالأرؤسية، وَلَا يكَاد مَذْهَبهم يُخَالف مَذْهَب الْمُسلمين، إِلَّا فِي إنكارهم نبوة نَبينَا مُحَمَّد ﷺ.

الفرقة الثانية: وهم الأكثرون والجمهور على القَوْل بِهِ وإثباته، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم

أ – فمنهم من قَالَ لَا يُقَال فِيهِ بكَيفَ، وَلَا يسْأَل عَنهُ بِحرف.

ب – وَمِنْهُم من شرع فِي بَيَان كيفيته، وَتَفْسِير ماهيته فقالوا: أَن الْكَلِمَة خالطت جَسَد الْمَسِيح، ومازجته كَمَا يمازج الْخمر اللَّبن، وإلى نَحْو هَذَا ذهب الرّوم، وزادوا عَلَيْهِم فَقَالُوا: اخْتلطت الْكَلِمَة بالمسيح، فصارا شَيْئاً وَاحِدًا، وهو قول اليعقوبية والنسطورية.

فأما اليعقوبية قَالُوا: إن الله نزل، فَدخل فِي بطن مَرْيَم، فَاتخذ من لَحمهَا جسداً، فَصَارَ الله مَعَ الْجَسَد نفسا وَاحِدًا، وهذا يدل على توقحهم، وجرأتهم على الله تَعَالَى.

وقال بَعضهم (اليعاقبة): أن الله اتخذ ذَلِك اللَّحْم وَالدَّم، فزاده فِي نَفسه، فَصَارَ ذَلِك اللَّحْم الله، وَصَارَ مُعظم اليعاقبة إِلَى أَن الْكَلِمَة انقلبت لَحْمًا ودماً.

وَأما النسطورية فَقَالُوا: لَيست تِلْكَ النَّفس هِيَ الله، وَإِنَّمَا هِيَ بعضه، وَهَذَا هُوَ الْبُهْتَان الَّذِي يعلم بُطْلَانه بِالضَّرُورَةِ كل إِنْسَان.

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الجزء السادس، صفحة ٣١٦، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

وَصَارَت طَائِفَة من النَّصَارَى ؛ إِلَى أَن الْكَلِمَة حلت جَسَد الْمَسِيح، كَمَا يحل الْعرض مَحَله، وَصَارَ أخلاط من النَّصَارَى إِلَى أَن المُرَاد بالإتحاد؛ ظُهُور اللاهوت على الناسوت، وَرُبمَا عبروا لَهُ عَن ذَلِك بالفيض، ثمَّ اخْتلفُوا فِي تَمْثِيل ذَلِك على ثَلَاثَة أوجه:

١ – فَمنهمْ من قَالَ مِثَاله مَا ينطبع فِي الْأَجْسَام الصقلية من الْأَشْيَاء الَّتِي تقَابلهَا.

٢ – وَمِنْهُم من قَالَ: مِثَاله الطابع المنقوش إِذا اتَّصل بشمع، وَمَا يضاهيه، فَيظْهر نقش الطابع عَلَيْهِ، وَإِن لم يحله شَيْء من الطابع.

٣ – وَمِنْهُم من قَالَ: معنى ظُهُور اللاهوت على الْمَسِيح، كمعنى اسْتِوَاء الْإِلَه على الْعَرْش عِنْد الإسلاميين، مَعَ مصيرهم إِلَى اسْتِحَالَة المماسة.

وَرُبمَا يعبرون عَن الإتحاد بالتدرع، كَأَنَّهُمْ أخذُوا ذَلِك من لفظ الدرْع، يشيرون إِلَى أَن اللاهوت اتخذ ناسوت الْمَسِيح درعاً. هَذِه مَذَاهِب المشتهرين من طوائفهم. (١)

ثانياً: موقف القرطبي من عقيدتهم في الاتحاد والحلول:

ينكر الإمام القرطبي عليهم إثبات تلك العقيدة، ويرد على خزعبلاتهم، ويفندها واحدة واحدة، فيرد على المثبتين لها قائلاً:

١ –طلب القرطبي من النصارى تعريف عقيدة الاتحاد وبيان ما يثبت هذه العقيدة إما على شكل مجمل أو مفصل وإلا فإن هذه العقيدة باطلة فقال : " وَأما من أثْبته، وَقَالَ: إِن الإتحاد لَا يسْأَل عَنهُ، وَلَا يكيف، فَنَقُول: معنى الإتحاد: لَا يَخْلُو أَن تعرفه أَو لَا تعرفه، فَإِن لم يعرفهُ، فقد اعْترف بجهله، وناقض مُتَقَدم قَوْله، فَإِنَّهُ اعْترف بالإتحاد، وَادّعى ثُبُوته للمسيح وَحده، ثمَّ لما طُولِبَ بتثبيته قَالَ: لَا أعرفهُ، وَهَذَا تنَاقض، وَقَول بَاطِل، وَأما من قَالَ: أعرفهُ إِلَّا أنني يقصر عَن إِدْرَاك حَقِيقَته عقلي، وَلَا أقدر على الْعبارَة عَنهُ، اما استدلالكم بسماع موسى لكلام الله تعالى فمردود عليكم بقولنَا: إِن الله تَعَالَى خلق لَهُ إدراكاً؛ سمع بِهِ كَلَام الله تَعَالَى الَّذِي هُوَ وَصفه الَّذِي لَيْسَ بِحرف، وَلَا صَوت، ففهمنا الْإِدْرَاك على الْجُملَة، وَلم نفهمه على التَّفْصِيل، وَأَنت لم تعرف الإتحاد جملَة وَلَا تَفْصِيلًا، بل جهلت وادعيت أَنَّك علمت. (٢)

---

(١) انظر الإعلام للقرطبي: ج١ /١٢٧ – ١٢٨.

(٢) انظر المصدر السابق: ج١ /١٢٨ – ١٢٩.

٢ –فساد استدلالهم بأن الْكَلِمَة خالطت جسم الْمَسِيح، ومازجته ممازجة الْخمر اللَّبن، لأَن الْمَفْهُوم من المخالطة، والممازجة لَا يتَصَوَّر إِلَّا فِي الْجَوَاهِر المتحدات، وَذَلِكَ أن المخالطة إِنَّمَا يعبر بهَا عَن تجاور الْجَوَاهِر، واجتماعها بِحَيْثُ يكون كل وَاحِد من الْجَوَاهِر المتمازجة، يحفظ حيزه، ويشغله وَيمْنَع مِنْهُ غَيره، فَإِن أَرَادوا بالامتزاج، والاختلاط أمراً آخر، فَلَا بُد من بَيَانه، وإفادة تصَوره. (١)

٣ –بطلان قول من قال بالحلول: لِأَن حَقِيقَة الْحُلُول، إِنَّمَا هِيَ أَن يحصل جسم، أَو متحيز فِي شَيْء، أَو على شَيْء، فيسمى الْحَاصِل حَالاً، والمحصول فِيهِ يُسمى محلاً، وَتسَمى النِّسْبَة بَينهمَا حلولاً، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيه النَّحْوِيّ مصدراً هَذَا هُوَ الْمَفْهُوم من حَقِيقَة الْحُلُول.

فَإِن أردتم حَقِيقَة الْحُلُول كَانَ محالاً، فَإِن الْعلم لَيْسَ بجسم وَلَا جَوْهَر، وَإِن أردتم الثَّانِي فَهُوَ محَال أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ يلْزم عَلَيْهِ مُفَارقَة الْعلم الْجَوْهَر، وبقاؤه جَاهِلاً، وَيقوم عرض وَاحِد بمحلين فِي زمَانٍ وَاحِدٍ، وَيلْزم عَلَيْهِ انتقال الصّفة من مَحل إِلَى مَحل، وحدوثها إِلَى أَنْوَاع من المحالات لَا يبوء بهَا عَاقل، ومنتحلها أَحمَق جَاهِل. (٢)

٤ –بطلان قولهم :إِن الْكَلِمَة انقلبت لَحْمًا ودماً، فكيف ينْقَلِب اللَّحْم وَالدَّم علماً، وَالْقَدِيم حَادِثاً، والحادث قَدِيماً، إِلَى غير ذَلِك من المحالات الَّتِي لَا تصدر عَن من شدّ أطرافا من المعقولات، وَلَوْلَا الْحمق والتقليدات ؛ لما وجد مثل هَذِه الفواقح فِي كَلَام أحد من الْمَخْلُوقَات. (٣)

٥ –بيان زيف وبطلان استدلالهم بالقول : إن الإتحاد هُوَ ظُهُور وفيض، وَمثله بانطباع الصُّور فِي الْمرْآة، فَهَذَا الْمِثَال ؛ إِنَّمَا كَانَ يَصح لَو كَانَ الْعلم صُورَة محسوسة بالبصر، وَيكون جَسَد الْمَسِيح صقيلاً تنطبع فِيهِ صُورَة المقابلات، وكل ذَلِك مَعْدُوم فِي مَسْأَلَتنَا بِالضَّرُورَةِ، فتخيله فَاسدٌ وباطلٌ بِالضَّرُورَةِ، فَكَمَا لَا تتمثل ذَات الْحَيَاة، والإدراكات فِي الْمرْآة كَذَلِك لَا تتمثل الْكَلِمَة فِي جَسَد الْمَسِيح، ثمَّ إِن جَازَ انطباع علم الله فِي جَسَد البشري، فلينطبع فِي كل مَا يُشبههُ فِي الجسدية. (٤)

٦ –بطلان استدلالهم :بالتَّمْثِيل بنقش الْخَاتم يعود منحفراً فِي الشمع، والمنحفر فِي الْخَاتم يعود ناتئاً فِي الشمع، فَذَلِك لَا يتَصَوَّر إِلَّا فِي الْأَجْسَام، وَإِن جَازَ فِي غير الْأَجْسَام، فَيلْزم أَن يكون كل وَاحِد مِنْهُمَا، أعنى اللاهوت والناسوت يُؤثر فِي الآخر، وَيحل فِيهِ، فَيكون الناسوت حل فِي اللاهوت، وَذَلِكَ محَال عِنْد كل فريق، وَالْأَمر الثَّانِي أَن النقش فِي الْخَاتم يوضع مقلوب الْكَلِمَات، ثمَّ تنطبع

---

(١) الإعلام للقرطبي: ١ /١٢٩.
(٢)المصدر السابق : ١ /١٣٠ –١٣١.
(٣)المصدر نفسه : ١ /١٣١.
(٤) المصدر نفسه: ١ /١٣١

مُسْتَقِيمَة فِي الشمع، وَلَو وضعت فِي الْخَاتم مُسْتَقِيمَة ؛ لانطبعت فِي الشمع منعكسة، فَيلْزم على مساق هَذَا الْمِثَال أَن تنطبع الْكَلِمَة فِي الناسوت، إما الاستقامة أَو بِالْعَكْسِ، فَإِن انطبعت فِيهِ بالاستقامة، فأقنوم الْكَلِمَة فِي الْجَوْهَر بالانعكاس، وَإِن انطبعت فِيهِ بالانعكاس، فَلم تبْق الْكَلِمَة فِي الناسوت على حَقِيقَتهَا فِي اللاهوت، بل هِيَ منعكسة، فَلَا تبقى حَقِيقَة الْعلم على مَا كَانَت، بل هِيَ لَيْسَ بِعلم، وَهَذَا كُله مِمَّا يلْزم على آرائهم الْفَاسِدَة، وتحكماتهم الْبَارِدَة. (١)

٧ – وَأما من لبس مِنْهُم بِأَن مثل قَوْلهم فِي الإتحاد، بقولنَا فِي استوائه تَعَالَى على الْعَرْش، فَذَلِك مِمَّا لَا يُقَال عَلَيْهِ عندنَا اتِّحَاد، وَلَا حُلُول، وَلَا فيض وَلَا انطباع ؛لأَنا نُرِيد بقولنَا هُوَ على الْعَرْش مستو، واستوى على الْعَرْش أَن الْعَرْش تَحت قَبضته، ومسخر بقدرته، والاستواء عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْنى الاستيلاء على مَا يعرفهُ الْعَرَب من كَلَامهَا ؛ فَإِن أَرَادوا هَذَا الْمَعْنى فَهُوَ حق، وصحيح لكنه لَا يَصح فِي حق عِيسَى وَحده، فَإِن الله تَعَالَى مستول على عِيسَى، وعَلى غَيره، وَأما من أطلق مِنْهُم لفظ النُّزُوع، فيستحيل على الْحَقِيقَة، والتوسع وَذَلِكَ أَن هَذَا اللَّفْظ يشْعر بِأَن اللاهوت اتخذ الناسوت درعا أَو كالدرع، وَهَذَا كُله مُسْتَحِيل على الْإِلَه تبَارك وَتَعَالَى، وعَلى علمه، وكل مَا تقدم من المحالات على هَذَا الْمَذْهَب يلْزم. (٢)

وعَلى الْجُمْلَة فَهَؤُلَاءِ الْقَوْم أغبياء جاهلون، وَعَن التَّوْفِيق معزولون فهم عَن المعقولات معرضون، وَبهَا مستهزءون لَا يستحيون من خالقهم، وَلَا يتأدبون مَعَ مالكهم ورازقهم فسبحان الله عَمَّا يَقُول الجاهلون، وَتَعَالَى عَمَّا ينْسبهُ إِلَيْهِ المبطلون، بل هُوَ الله الْوَاحِد الْأَحَد الْفَرد الصَّمد الَّذِي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[الإخلاص: ٣-٤] (٣)

دليل النصارى على القول بالاتحاد والتجسد:

استدلوا على قولهم ذلك بدليلين أولاهما: تقليداً للإنجيل، وحذراً من الْمُخَالفَة والتبديل.

ثانيهما: أن عِيسَى ظَهرت عَلَيْهِ أَفعَال لَا تنبغي، إِلَّا لإله من إحْيَاء الْمَوْتَى، وإبراء الأكمه والأبرص، وَخلق الطير من الطين، وَهَذِه أَفعَال لَا يقدر عَلَيْهَا إِلَّا إِلَه، وَهُوَ قد قدر عَلَيْهَا، فَهُوَ إِذن إِلَه، وَمِنْهُم من قَالَ: إِنَّمَا صرنا إِلَى ذَلِك لكَون عِيسَى لم يخلق من المَاء الدافق الْكَائِن عَن أبوة، وَلَا خرج عَن شَهْوَة آدمية، بل خلق الله ناسوته من غير أَب ؛ ليكُون واسطاً بَينه وَبَين خلقه ؛ وليتخذه

---

(١) الإعلام: ذ /١٣١ – ١٣٢

(٢) المصدر السابق: ١ /١٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ١ /١٣٢

لكلمته ؛ وَرُبمَا قَالَ بَعضهم: ألستم تقرأون فِي كتابكُمْ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[النساء: ١٧١]، وَهَذَا عين مَا أنكرتم علينا من الإتحاد، فَإِن عِيسَى رَسُول الله وكلمته، فناسوته رَسُول الله، ولاهوته كلمة الله على مَا أخبر بِهِ كتابكُمْ.

رد القرطبي على أدلتهم:

فَنَقُول: لمن قَالَ بذلك تقليداً للإنجيل، أن الإنجيل كتاب غير متواتر ومحرف، ولا يعقل أن يقول ذلك عيسى عليه السلام، وقد تواردت الأدلة الحسية، والمادية على تحريف الإنجيل. وَأما من اسْتدلَّ مِنْهُم على ذَلِك بِمَا ظهر على يَدي الْمَسِيح من خوارق الْعَادَات، فَنَقُول لَهُ لأي شَيْء قلت: أَنَّهَا تدل على ألوهيته، وَلم تقل إِنَّهَا تدل على مَا كَانَ يسْتَدلّ هُوَ بهَا من رسَالَته فَقَالَ: (رب أعلم أَنَّك تعطيني كل شَيْء، وَلَكِن أَقُول من أجل الْجَمَاعَة الواقفة ؛ ليؤمنوا بِهِ، وليصدقوا أَنَّك أرسلتني)، فَهُوَ قد اسْتدلَّ بإحياء الْمَوْتَى على رسَالَته، وَأَنْتُم تستدلون بذلك على ألوهيته. ثمَّ نقُول لَهُم: كَيفَ يَنْبَغِي لكم أَن تَقولُوا هَذِه الْأَفْعَال العجيبة تدل على أَنه لاهوت، وَأَنْتُم تعزون فِي كتبكم أَن عِيسَى كَانَ إِذا أَرَادَ أَن يفعل شَيْئا، مِمَّا ذكر تضرع إِلَى الله، وَرغب إِلَيْهِ بخضوع وتذلل؛ حَتَّى يقْضى الله حَاجته، وَهَذَا مَوْجُود فِي كتبكم كثيراً فِيهَا، وَكفى دَلِيلاً على نفي مَا تنسبونه إِلَيْهِ، قَوْله: حِين صلبه بزعمكم إلهي إلهي لم أسلمتني، وَقَوله قبل ذَلِك: يَا أبتاه إِن كَانَت هَذِه الكأس لَا تقدر تجاوزني ؛ حَتَّى أشربها فلتكن إرادتك، وَهَذَا كُله فِي سُجُوده [١].

ثمَّ نقُول: إِن كَانَ إحْيَاء الْأَمْوَات يدل على الألوهية، فلأي شَيْءٍ لَا تَقولُونَ إِن الياس وَالْيَسع كَانَا إِلَهَيْنِ، وَأَنه حل بناسوتهما اللاهوت، وشأنهما فِي إحْيَاء الْمَوْتَى لَا يقدر أحد على دَفعه وَلَا يخفى، وَلم لَا تعتقدون ألوهية النَّبِي حزقيال؛ إِذْ فر قومه وهم أُلُوف حذر الوباء، فأماتهم الله، ثمَّ جَاءَهُم نَبِيّهم فَقَالَ لَهُم: لتحيوا بِإِذن الله فَحَيوا، وَرَجَعُوا إِلَى قَومهمْ سحنة الْمَوْت على وُجُوههم؛ حَتَّى مَاتُوا بآجالهم، وَهَذَا مَعْرُوف عِنْدهم، وَلَا مدفع فِيهِ.

وَإِن أنكرتم وجود شَيْء من ذَلِك، نزلنَا مَعكُمْ إِلَى مَا فِي الْكتب الْقَدِيمَة من قصَص الْأَنْبِيَاء، وكتبهم وَهَذَا لَازم لهَؤُلَاء الْقَوْم، لَا يَنْفَكّ عَنهُ وَاحِدٌ مِنْهُم أبداً. [٢]

وَأما من اسْتدلَّ على ذَلِك، بِأَنَّهُ خلق من غير أَب، فَيلْزمهُ أَن يعْتَرف لآدَم بألوهية، فَإِنَّهُ لم يخلق من نُطْفَة أَب، بل إِنَّمَا خلق من تربة أَرض، ثمَّ نفخ فِيهِ من روحه، كَمَا فعل بِعِيسَى خلقه من

---

(١) الإعلام للقرطبي: ١ / ١٣٤.

(٢) المصدر السابق: ١ /١٣٥.

نفخة الْملك، فعلقت بلحمة مَرْيَم، فَنَشَأَ مِنْهَا وفيهَا، فتربه بِمَنْزِلَة لَحمه، ونفخه بِمَثَابَة نفخه، وَهَذَا مَالا مخلص مِنْهُ، وَلَا خُرُوج عَنهُ، ثمَّ أكْرمه الله تَعَالَى بأنواع من الكرامات، لم يكرم بهَا غَيره مِنْهَا: أَنه أَسجد لَهُ مَلَائِكَته، وأعلمه بِمَا لم يعلمهُمْ ؛ حَتَّى جعله رَسُولاً إِلَيْهِم، وَكفى بِهَذَا شرفاً إِلَى مَا هُنَالك، من خَصَائِصه، وَمن فضائله. (1)

وَأما استدلالهم بِمَا فِي كتَابنَا من قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧١] فَلَا حجَّة لَهُم فِي ذَلِك لوجوه:

– أَحدهَا أَنهم لَا يصدقون بكتابنا فَلَا يستدلون بِهِ على شَيْء.

– وَالثَّانِي أَنهم إِن استدلوا على غرضهم بِشَطْر هَذِه الْآيَة، فَإِن صدرها يرد عَلَيْهِم استدلالهم، وَكَذَلِكَ الْآيَات الَّتِي بعْدهَا، قَالَ الله تَعَالَى فِي كِتَابه الْعَزِيز: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت: ٤٢] مُخَاطبا لَهُم ورداً عَلَيْهِ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾[النساء: ١٧١– ١٧٣](2).

المطلب الثاني: اتهام الله تعالى بالعيوب والنقائص:

اعْلَم أَيهَا الْعَاقِل وفقك الله أَن النَّصَارَى أَضْعَف النَّاس عقولاً، وَأَقلهمْ فطنة وتحصيلاً، فهم لذَلِك يَعْتَقِدُونَ فِي الله المحالات، وَيُنْكِرُونَ الضروريات، ويستندون فِي أحكامهم إِلَى الخرافات، فَتَارَة يسندون قضاياهم إِلَى منامة رأوها أَو خرافة سمعوها وَمَا وعوها، وَأُخْرَى تحكم فيهم متقسس جَاهِل بمحض الْجَهْل والهوى والأباطيل، من غير أَن يسْتَدلّ على جَوَاز شَيْء مِمَّا يُرِيد أَن يفعل من الأفاعيل لَا بتوراة وَلَا بإنجيل، بل قد يعرض عَن نُصُوص الْكِتَابَيْنِ، ويتأولهما تَأْوِيل منسلخ عَن الملتين، وَرُبمَا تنزل بهم عِظَام النَّوَازِل، فيجتمعون لَهَا فِي المحافل، فيتحكمون بأهوائهم، وَيَقُولُونَ

(1) الإعلام للقرطبي: ١ /١٣٦

(2) المصدر السابق: ١ / ١٣٧.

فِيهَا بآرائهم، فيحلون مَا حرم الله، ويحرمون مَا أحل الله ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٠] (١)

١ – أما كَونهم يستندون فِي أحكامهم إِلَى الترهات والمنامات، فَيدل عَلَيْهِ خبر بولس، فَإِنَّهُ احتال عَلَيْهِم حَتَّى صرفهم عَن دين الْمَسِيح، وَقَوْلهمْ من الْمذَاهب والآراء كل قَبِيح، فصرفهم عَن قبلتهم، وَأحل لَهُم مَا حرم عَلَيْهِم، وَفرق جَمَاعَتهمْ، وشتت كلمتهم، فتم لَهُ كل مكر على كل غبي غمر، وَكَذَلِكَ خبر قسطنطين، فَاجْتمع رَأْيهمْ أَن يتعبد الْقَوْم بطَلَب دم، وَأَن يشرع لَهُم شَرِيعَة ينسبها للمسيح، فَكتب لَهُم مَا بِأَيْدِيهِم من الإِنْجِيل أَو أَكْثَره، وتعبدهم بالصلوبية، وَشرع لَهُم ترك الْختان، وَغير ذَلِك من الْأَحْكَام الَّتِي وافقته، وَجَاءَت على اخْتِيَاره، وأكد ذَلِك بمنامة رَآهَا ذكر فها أَمر الصَّلِيب، فتم لَهُ مُرَاده فيهم، وَخَبره مَعْرُوف عِنْدهم وَعند غَيرهم (٢).

٢ – وَأما كَونهم يحكمون بآرائهم وأهوائهم، فَيدل على ذَلِك، مَا أودعوه كتب محافلهم، وَمَا عَلَيْهِ الْآن مُعظم عَمَلهم، وَمن طالع تِلْكَ الْكتب قضى من جهلهم، وجرأتهم على الله كل عجب، فَإِن قَالُوا: إِنَّمَا نحكم بالمصالح، وَهِي عندنَا أصل رَاجِح، قُلْنَا لَهُم: إِن كَانَت الْمصَالح عنْدكُمْ أصلاً تعولون عَلَيْهِ، وتسندون أحكامكم إِلَيْهِ، فَمن الَّذِي أَصْلهَا لكم ؟، فَإِن كُنْتُم أصلتموها لأنفسكم، فقد تحكمتم فِي الأَصْل وَالْفرع، ثمَّ يلزمكم من هَذَا القَوْل الاستغناء عَن الشَّرَائِع، وَأَن مَا شرع الله من الْأَحْكَام فِي التَّوْرَاة عَبث لَا معنى لَهُ، وَلَا فَائِدَة إِذا فِي النّظر فِي الْمصَالح غنى عَنْهَا، وَإِن كَانَ الْأَنْبِيَاء شرعوا لكم أصل الْمصَالح، فَلَا بُد من الاستدلال على ذَلِك من كَلَامهم، وَإِذا لم تستدلوا على ذَلِك، فدعواكم بَاطِلَة، وحجتكم داحضة، ثمَّ نقُول لَهُم: هَب أَن الْأَنْبِيَاء شرعوا لكم أصل الْمصَالح، فَهَل شرعوا الْعَمَل بالمصالح كيفَمَا كَانَت الْمصلحَة مُطلقًا ؟ أَوعينوا لكم نوعاً من الْمصَالح، فَإِن كَانُوا قد عينوا، فَيَنْبَغِي لكم أَلا تتعدوا مَا عين لكم الْأَنْبِيَاء، فَمَا بالكم تسترسلون استرسال من يحكم بهواه، وَلَا يخَاف الله وَلَا يخشاه، وَإِن كَانُوا أطْلقُوا لكم القَوْل بالمصالح، وَقَالُوا لكم: مهما ظَهرت لكم مصلحَة كائنة مَا كَانَت، فاعملوا بمقتضاها، فَكَانَ يلْزم على هَذَا إسقاط كثير من أَحْكَام التَّوْرَاة بالمصالح، والرأي كَمَا فعل بولش؛ حَيْثُ قَالَ لَهُم؛ هَل رَأَيْتُمْ سارحة تسرح من عِنْد رَبهَا، وَلَا تخرج إِلَّا من حَيْثُ تُؤمر بِهِ، قَالَ: فَإِنِّيرَأَيْت الصُّبْح وَاللَّيْل وَالشَّمْس وَالْقَمَر والبروج، إِنَّمَا تَجِيء من هَا هُنَا يَعْنِي الشرق، وَمَا أوجب ذَلِكفردهم عَن اسْتِقْبَال بَيت الْمُقَدّس إِلَى اسْتِقْبَال جِهَة الشرق لهَذَا الهذيان، ثمَّ قَالَ لَهُم بعد زمَان: رَأَيْت رَأياً فَلَو قَالُوا: هَات قَالَ لَهُم: ألستم تَزْعُمُونَ أَن

(١) المصدر نفسه ، ١ – ٣٩٣.

(٢) الإعلام للقرطبي : ١ – ٣٩٣.

الرجل إذا أهْدى إِلَى الرجل هَدِيَّة، وأكرمه بالكرامة، فَردهَا شقّ ذَلِك عَلَيْهِ، وَأَن الله سخر لكم مَا فِي الأَرْض، وَجعل مَا فِي السَّمَاء لكم كَرَامَة، فَالله أَحَق أَلا ترد عَلَيْهِ كرامته، فَمَا بَال بعض الْأَشْيَاء حرَام، وَبَعضهَا حَلَال مَا بَين البقة إِلَى الْفِيل حَلَال قَالُوا صدقت، وَهَذَا مَحْض الجرأة على الله، والافتراء على شرائع الله، وَلم يصر قطّ أحد من المتشرعين إِلَى مثله، وَيلْزم عَلَيْهِ أَن يكون كل من أَرَادَ أَن يشرع شرعا شَرعه فَيكون الْعُقَلَاء كلهم شارعين ويستغنى عَن رسل رب الْعَالمين، وَهَذَا غَايَة الْكفْر والضلال، وَهُوَ لَازم على مَذْهَب أُولَئِكَ الْجُهَّال، فقد ظهر من هَذَا الْفَصْل أَنهم لَا يستندون إِلَى شَيْء، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شَيْء ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨][(١)]

وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ ﴾[التوبة: ٣٤].

قِيلَ في تفسيرها: إِنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ أَمْوَالِ أَتْبَاعِهِمْ ضَرَائِبَ، وَفُرُوضًا بِاسْمِ الْكَنَائِسِ وَالْبِيَعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُوهِمُونَهُمْ أَنَّ النَّفَقَةَ فِيهِ مِنَ الشَّرْعِ وَالتَّزَلُّفِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ خِلَالَ ذَلِكَ يَحْجُبُونَ تِلْكَ الْأَمْوَالَ، كَالَّذِي ذَكَرَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ عَنِ الرَّاهِبِ الَّذِي اسْتَخْرَجَ كَنْزَهُ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرِ. وَقِيلَ: كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ غَلَّاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ضَرَائِبَ بِاسْمِ حِمَايَةِ الدِّينِ وَالْقِيَامِ بِالشَّرْعِ. وَقِيلَ: كَانُوا يَرْتَشُونَ فِي الْأَحْكَامِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الْيَوْمَ.[(٢)]

وأعلم أَن هَؤُلَاءِ الْقَوْم وضعُوا لأَنْفُسِهِمْ قوانين توافقوا عَلَيْهَا، وارتبطوا لَهَا من غير أَن يشْهد بِصِحَّة تِلْكَ القوانين شَاهد من تَوراة وَلَا من إنجيل، فَمن خالفها عِنْدهم سموهُ خارجياً تَارَة وكافرا أُخْرَى وَالْخُرُوج عَن تِلْكَ القوانين هُوَ الذَّنب عِنْدهم، ثمَّ تِلْكَ الذُّنُوب منقسمة إِلَى مَا لَا يغفرونه، وَإِلَى مَا يغفرونه، فَإِذا غفروا ذَنْب وَاحِد مِنْهُم أدخلوه الْكَنِيسَة، وقبلوا قربانه، وَإِذا لم يغفروا لَهُ أبعدوه عَن كنائسهم وطردوه، وهولوا عَلَيْهِ، وَلم يقبلُوا برهانه، وَلَا بُد للذنب المغفور من كَفَّارَة، وَتلك الْكَفَّارَة بِحَسب مَا يظْهر لقساوستهم ويرونه مُوَافقا لغرضهم، فَتَارَة يوجبون عَلَيْهِ خدمَة الْكَنِيسَة، وَتارَة لَا يدخلهَا بل يقف عِنْدهَا متذللا، وَرُبمَا يبْقى على ذَلِك أعواماً عديدة، وَتارَة يوجبون عَلَيْهِ مَالاً إِمَّا لملكهم وَإِمَّا لَهُم ولكنائسهم.[(٣)]

---

(١)الإعلام للقرطبي: ١/ ٣٩٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٨ /١٢٢.

(٣) المصدر السابق: ١ /٤٠٥.

ومن الأمثلة على تعديهم على الله تعالى في وصفه تعالى بالعيوب والنقائص ما يلي:

تشبيه الله تعالى بخلقه: والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها:

١ – تشبيه النصارى الله تعالى بالإنسان، وأنه ذو جوارح: قال القرطبي: وَمن ذَلِك أَيْضا أَنه حكى فِيهَا أَن الله تَعَالَى كالإنسان شخص ذُو جوارح، وَهَذَا على الله بِالضَّرُورَةِ محَال، وَلَا للتأويل فِي هَذَا اللَّفْظ مجَال، ثمَّ أَتى هَذَا من قَوْله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]. (١)

٢ – تشبيههم الله سبحانه وتعالى بأنه لا يسمع إلا الأصوات المرتفعة فقط: قال القرطبي: وَمن ذَلِك أَيْضا أَنهم ذكرُوا فِيهَا أَن الله قَالَ لَهُم: أَن يضْربُوا الْقرن فِي عَسْكَرهمْ قَلِيلاً قَلِيلاً، حَتَّى يلْقوا عدوهم، فَحِينَئِذٍ يضربونه بأشد مَا يقدرُونَ عَلَيْهِ ليسمعهم الله، فيؤيدهم على عدوهم، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يسمع إِلَّا الْأَصْوَات الْعَالِيَة، فَأَيْنَ هَذَا من وصف الله تَعَالَى نَفسه فِي كِتَابه على لِسَان نبيه وَرَسُوله حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه: ٧–٨]. (٢)

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: السِّرُّ مَا حَدَّثَ بِهِ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ فِي خَفَاءٍ، وَأَخْفَى مِنْهُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِمَّا لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ غَيْرَهُ، وَعَنْهُ أَيْضًا السِّرُّ حَدِيثُ نَفْسِكَ، وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ مَا سَتُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ كَائِنٌ أَنْتَ تَعْلَمُ مَا تُسِرُّ بِهِ نَفْسُكَ الْيَوْمَ، وَلَا تَعْلَمُ مَا تُسِرُّ بِهِ غَدًا، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَ الْيَوْمَ، وَمَا تُسِرُّهُ غَدًا وَالْمَعْنَى: اللَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا" السِّرُّ" مَا أَسَرَّ ابْنُ آدَمَ فِي نَفْسِهِ" وَأَخْفَى" مَا خَفِيَ عَلَى ابْنِ آدَمَ مِمَّا هُوَ فَاعِلُهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهِ، وَعِلْمُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ ذَلِكَ وَمَا يُسْتَقْبَلُ عِلْمٌ وَاحِدٌ وَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِهِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: " السِّرَّ مَا أَضْمَرَهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ"، وَأَخْفَى مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا أَضْمَرَهُ أَحَدٌ. (٣)

٣– تشبيه النصارى عيسى بالله تعالى وأنه من المصورين.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران: ٦].

---

(١) انظر الإعلام للقرطبي : ١ / ١٩٤ –١٩٥.

(٢)انظر المصدر السابق : ج١ / ١٩٥.

(٣) تفسير القرطبي: ١١ / ١٧٠.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَصْوِيرِهِ لِلْبَشَرِ فِي أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ، وَأَصْلُ الرَّحِمِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لِأَنَّهَا مِمَّا يُتَرَاحَمُ بِهِ. وَاشْتِقَاقُ الصُّورَةِ مِنْ صَارَهُ إِلَى كَذَا إِذَا أَمَالَهُ، فَالصُّورَةُ مَائِلَةٌ إِلَى شَبَهٍ وَهَيْئَةٍ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِي ضِمْنِهَا الرَّدُّ عَلَى نَصَارَى نَجْرَانَ، وَأَنَّ عِيسَى مِنَ الْمُصَوَّرِينَ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُنْكِرُهُ عَاقِلٌ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أَيْ لَا خَالِقَ وَلَا مُصَوِّرَ [سِوَاهُ]، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ عِيسَى إِلَهًا مُصَوِّرًا وَهُوَ مُصَوَّرٌ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الَّذِي لَا يُغَالَبُ. ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ ذُو الْحِكْمَةِ أَوِ الْمُحْكِمُ، وَهَذَا أخص بما ذكر من التصوير. (١)

٤ – قالوا بإن عيسى عليه السلام هو الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة: ٧٢].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ هَذَا قَوْلُ الْيَعْقُوبِيَّةِ فرد الله عليهم ذَلِكَ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ مِمَّا يُقِرُّونَ بِهِ، فَقَالَ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ أَيْ إِذَا كَانَ الْمَسِيحُ يَقُولُ: يَا رَبِّ وَيَا اللَّهُ فَكَيْفَ يَدْعُو نَفْسَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْأَلُهَا؟ هَذَا مُحَالٌ. ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ قيل: وهو مِنْ قَوْلِ عِيسَى. وَقِيلَ: ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْإِشْرَاكُ أَنْ يَعْتَقِدَ مَعَهُ مُوجِدًا. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

حيث بين سبحانه وتعالى كفر من يعتقد أن عيسى عليه السلام هو الله تعالى ورد عليهم من قولهم وقال لهم إن الذي تدعونه إلها يقر ويعترف بوحدانية الله تعالى ويدعو بني إسرائيل إلى وحدانيته وعبادته.(٢)

وفي هذا دليل على بطلان أعتقادهم بأن عيسى ابن مريم هو الله إذ كيف يولد من أنثى وهو نبي الله، ثم يعتقدون بأنه الله.

---

(١)انظر: تفسير القرطبي : ٤/ ٧– ٨

(٢) انظر : المصدر السابق: ٦ /٢٤٩.

الفصل الثالث

عقيدة النصارى في الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر وموقف القرطبي منها

وفيه مبحثان:

المبحث الاول: عقيدتهم في النبوة والأنبياء وموقفه منها.

المبحث الثاني: عقيدتهم في الملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر وموقفه منها.

المبحث الاول
عقيدتهم في النبوة والأنبياء وموقف القرطبي منها.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الاول: موقفه من الأنبياء جميعاً.

المطلب الثاني: موقف النصارى من نبوة محمد ﷺ.

المطلب الثالث: عقيدة الصلب والفداء.

المطلب الرابع: عودة المسيح.

المطلب الاول: موقفهم من الأنبياء جميعاً

أولاً: أنبياء الله في الكتاب المقدس:

وإن الحديث عن أنبياء الله تعالى في الكتاب المقدس حديث أشبه بأحاديث الخيال حيث لا يتورع النصارى عن نسبة الأعمال التي تقشعر منها الجلود و تشمئز منها النفوس لأنبياء الله بل لا نبالغ إن قلنا أن في سير الأنبياء ما يفوق فعلة قوم لوط و فرعون و ثمود فالأنبياء عندهم لا حرمة لهم و لا تنزيه عن فاحشة أو رذيلة حديثٌ لا يكاد يصدق، إلا أنه حقيقة في كتاب النصارى(المقدس)، يشار إلى أن النصارى يؤمنون بالتوراة والإنجيل وما سيشار إليه هنا عن الأنبياء هو في التوراة التي حرفها اليهود وآمن النصارى بها على علاتها وتحريفها.(١)

١- نوح عليه السلام.

حيث نعتوه في كتابهم أنه شرب من الخمر فسكر وتعرى، ورأى ابنه عورته فلعنه ولعن أبنه . أي حفيد نوح عليه السلام.

"وابتدأ نُوحٌ يَكُونُ فَلَّاحا وَغَرَسَ كَرْما. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فأبصر حَامٌ أبو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أبيه وَاخْبَرَ أخويه خَارِجا. فَاخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أكتافهما وَمَشَيَا إلى وَرَاءِ وَسَتَرَا عَوْرَةَ أبيهما وَوَجْهَاهُمَا إلى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أبيهما. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإخوته». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدا لَهُ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدا لَهُمْ». (٢)

ونسألهم: نبي ويشرب الخمر ؟! نبي يسكر ويتعرى ؟!

نبي ويلعن حفيده الذي لا ذنب له ؟! ويجعله عبدا لأعمامه على جرم لم يقترفه.

٢- نبي الله لوط عليه السلام:

قالوا عنه: شرب خمرا وسكر ثم زنى بابنتيه وأنجب منهما ولدين موآب وعمون. من ذَلِك مَا حكوا فِي السّفر الأول عَن لوط أَنه طلع من صاغار فسكن الْجَبَل هُوَ وابنتاه مَعَه فَجَلَسَ فِي مغار هُوَ

---

(١) الإعلام ١ / ١٩٢-١٩٣ بتصرف.

(٢) انظر : سفر التكوين (إصحاح ٩: العدد٢٠. ٢٨).

وابنتاه فَقَالَت الْكُبْرَى للصغرى قد شاخ أَبونَا، وَلَيْسَ على الأَرْض رجل يدْخل علينا نسقى أَبَانَا الْخمر، ونضطجع مَعَه فِي مضطجعه، فَفَعَلْنَا وحملتا مِنْهُ بولدين موآب وعمون (١).

ومعاذ الله أن يفعل لوط ذلك، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طيلة عمره، وحارب الرذيلة ؛ حتى ضاق به قومه ذرعاً قال تعالى عنهم:﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأعراف: ٨٢].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم ﴾ أَيْ لُوطًا وَأَتْبَاعَهُ. وَمَعْنَى ﴿ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ عَنِ الْإِتْيَانِ فِي هَذَا الْمَأْتَى. يُقَالُ: تَطَهَّرَ الرَّجُلُ أَيْ تَنَزَّهَ عَنِ الْإِثْمِ. قَالَ قَتَادَةُ: عَابُوهُمْ وَاللَّهِ بِغَيْرِ عَيْبٍ. (٢)

ثمَّ هَذِه الحكايات الْفَاحِشَة غير المستقيمة فِي التَّوْرَاة لَهَا أُمُور أخر تعارضها بل، وأدلة الْعقل تناقضها، من ذَلِك: مَا حكى فِيهَا من مدح لوط على لِسَان إِبْرَاهِيم، وشهادته لَهُ بِالْبرِّ، وَذَلِكَ أَن الله تَعَالَى لما أعلم إِبْرَاهِيم ؛ بِأَنَّهُ يُرِيد أَن يهْلك سدوم وعمورا وهما مسكن قوم لوط قَالَ: يَا رب أتهلك الْأَبْرَار مَعَ الْفجار يعْنى بالأبرار لوطاً وبنتيه، فسماهم أبراراً، وَشهد لَهُ بذلك بَين يَدي الله تَعَالَى، وَكَيف يَصح أَن يكون ابنتا لوط من الْأَبْرَار، ويوقعان أَنفسهمَا فِي أَن يزنى بهَا أَبوهُمَا نَبِي الله ؟، ثمَّ لم يعصمه الله تَعَالَى من مثل هَذِه الرذيلة، ثمَّ إِن الله شهد عَنهُ هَذِه الفضيحة الَّتِي يتحدث بهَا على أمد الدَّهْر، مَعَ أَنه لم يسمع قطّ من المشرعين من أجَاز نِكَاح الْبَنَات، وَهل هَذَا من ناقله وناسبه إِلَى الله إِلَّا جرْأَة وتواقح على الله. (٣)

أيصح هذا من خيار الناس المصطفين الأخيار في حين أنه لم يحصل من فرادى البشر الأبرار.

٣ – نبي الله داوود عليه السلام.

قالوا عنه: زنا بزوجة جارة أوريا الحثي، وحبلت منه(وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِجِدّاً.

---

(١) الإعلام للقرطبي ١ /١٩٦

(٢) المصدر السابق : ١ /٢٠١.

(٣) تفسير القرطبي ٧ / ٢٤٦

فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّاالْحِثِّيِّ؟»؛ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ فاضطجع مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى»، وقالوا أنه أردف ذلك بتدبير مؤامرة لزوج هذه المرأة وقتله، وضم هذه المرأة لنسائه وأنجب منها سليمان عليه السلام من سفاح.(١)

و حاشا لله أن يكون نبي الله داوود قد فعل هذه الفعلة النكراء.

و قد حاول أعداء الله تلبيس الحق بالباطل، وادعوا أن القرآن أقر هذه الافتراءات، واستدلوا زوراً بقوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: الآيات ١٧ –٢٦].

ولكي يستقيم هذا الباطل زعموا أن قصة النعجة المذكورة فئ القرآن، هي نفس القصة المذكورة في التوراة، والمراد بها المرأة التي زنى بها داود، واستشهدوا بأن بعض المفسرين أورد القصة التوراتية الخبيثة عند تفسير الآيات الكريمة كتفسير القرطبي، وتفسير الطبري وقد ذكرها قريباً من هذا الكلام ولم أقم بنقله حرصاً على الاختصار.

إن هذه القصة الباطلة مأخوذة من الإسرائيليات، ولم يصح رفع أي شيء منها إلى رسول الله ﷺ، والمحققون ذهبوا إلى أن قصة داوود ليس فيها خبر صحيح، منهم الحافظ ابن كثير والداودى و الإمام القاضي عياض وغيرهم، فلا عبرة بورودها في بعض كتب التفسير خاصة تلك التي كانت تكثر من نقل الإسرائيليات، كتفسير الإمام الطبري، والحق في تفسير الآيات أن داوود عليه السلام أوخذ ؛ لأنه حكم بمجرد سماعه لكلام أحدالخصمين، وكان يجب عليه سماع الأخر، وقد قيل: "إذا جاءك أحد الخصمين، وقد فقئت عينه فلا تحكم له، لجواز أن يكون خصمه قد فقئت

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني [١١: ٢. ٦] ، الإعلام للقرطبي ج١/١٩٩،

عينيه أيضاً"، و يتضح هذا من خلال التحليلالدقيق للآيات الكريمة؛ إذ يقول تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ص: ١٧]، فأمر الله تعالى نبيه بالصبر، وجعل التأسي بداود الشكور – عليه السلام – عوناً له على ذلك؛ ثم ذكر الله فضله و منته على داوود؛ حتى قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: ٢٠] و هذه شهادة الله لداود، وهو القائل سبحانه: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٩] فكيف يمكن أن تكون هذه المقدمة العظيمة مقدمة لفاحشة مقيتة ؟.

ثم بمطالعة الآيات اللاحقة لا نجد فيها ذكر لأي مما يقوله الكافرون، فالآيات واضحة تدور حول مخاصمة حقيقية ابتلى الله بها نبيه؛ خاصة و أنه قد أورد خبرها بعد أن ذكر امتنانه عز وجل على داوود بالحكمة والعدالة؛ فكانت هذه الواقعة مثالاً ربانياً على كيفية تربية الله نبيه، وتزكيته إياه على أكمل وجه ؛ لذا عندما شعر داوود أنه قد تسرع في حكمه خر راكعاً منيباً لربه ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤]، فغفر الله له هذه الهفوة، وأوصاه بالتزام العدل، واجتناب التسرع والهوى؛ ليستقيم دائماً على منهاج الحق، وهذه هي العبرة المنشودة ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

وهكذا نفهم الآيات بكل سهولة و يسر بفضل الله و منته [(١)].

٤– نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام.

فقد اتهموا نبي الله سليمان – عليه السلام – بأنه علم قومه السحر، وارتد في أخر عمره، وعبد الأصنام، وبنى لهم المعابد (وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ الْتَصَقَ بِهِنَّ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُنَّ. فَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ، وَثَلاَثُ مِئَةِ من السراري، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ. فَاسْتَطَعْنَ أَنْ يُغْوِينَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُسْتَقِيماً مَعَ الرَّبِّ وَمَا لَبِثَ أَنْ عَبَدَ عَشْتَارُوثَ آلِهَةَ الصِّيدُونِيِّينَ..)[(٢)]،و هكذا كفَّروا نبي الله الحكيم سليمان العالم التقى، أعلم وأحب أهل عصره إلى الله تعالى، أعطاه الله الملك مع النبوة، وسخر له الجن و الريح، وعلمه منطق الطير، وقد برأه الله تعالى من هذه الفرية بقوله تعالى: ﴿

(١)انظر: تفسير القرطبي ١٥ / ١٦٥ – ١٩٠ بتصرف.

(٢)انظر : الملوك الأول (١١: ١– ١٢). الإعلام ١/٢٠٠.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[البقرة: ١٠٢].

يقول القرطبي في معرض رده عليهم في تفسير هذه الآية: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُلَيْمَانَ فِي الْمُرْسَلِينَ، قَالَ بَعْضُ أَحْبَارِهِمْ: يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ ابْنَ داود كَانَ نَبِيًّا، وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: " وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا" أَيْ أَلْقَتْ إِلَى بَنِي آدَمَ أَنَّ مَا فَعَلَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ وَاسْتِسْخَارِ الطَّيْرِ وَالشَّيَاطِينِ كَانَ سِحْرًا. قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ" تَبْرِئَةٌ مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَحَدًا نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ نَسَبَتْهُ إِلَى السِّحْرِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ. ثُمَّ قَالَ: " وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا" فَأَثْبَتَ كُفْرَهُمْ بتعليم السحر. فالله سبحانه وتعالى يبرئ نبيه من هذه والافتراءات ولكنهم يلصقون هذه الكفريات به في كتابهم المحرف ويصفونه بها. (١)

٥- نبي الله هارون عليه السلام.

فقد اتهموه بأنه هو الذي صنع لهم العجل ؛ ليعبدوه من دون الله تعالى. (وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأْتُونِي بِهَا»، فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً).(٢)

الرد عليهم: وقد فضح الله ضلالهم في القرآن، وأخبرنا أن الذي صنع العجل هو السامرى ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾[طه الآية: ٨٥]، وأكد القرآن أيضاً أن نبي الله هارون بريء، وأنه أنكر عليهم إنكاراً شديداً، و كادوا يقتلونه حيث يقول سبحانه:﴿وَلَمَّا رَجَعَ

(١)انظر: تفسير القرطبي ج ٢ / ٤٢- ٤٣.

(٢) سفر الخروج (٣٢: ١-٦).

﴿ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ **[الأعراف: ١٥٠ – ١٥١]** يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: أَيْ بِلِحْيَتِهِ وَذُؤَابَتِهِ. وَكَانَ هَارُونُ أَكْبَرَ مِنْ مُوسَى– صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا – بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَأَحَبَّ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ موسى، لأنه كان لين الغضب، وتأويل أَخْذِ مُوسَى بِرَأْسِ أَخِيهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُتَعَارَفًا عِنْدَهُمْ' كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ مِنْ قَبْضِ الرَّجُلِ عَلَى لِحْيَةِ أَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا' فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْإِذْلَالِ، وضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ لِيَعْلَمَ مَا لَدَيْهِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ هَارُونُ لِئَلَّا يَظُنَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ أَهَانَهُ' فَبَيَّنَ لَهُ أَخُوهُ أَنَّهُمُ اسْتَضْعَفُوهُ، يَعْنِي عَبَدَةَ الْعِجْلِ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ أَيْ قَارَبُوا. فَلَمَّا سَمِعَ عُذْرَهُ قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي، أَيِ اغْفِرْ لِي مَا كَانَ مِنَ الْغَضَبِ الَّذِي أَلْقَيْتُ مِنْ أَجْلِهِ الْأَلْوَاحَ، وَلِأَخِي لِأَنَّهُ ظَنَّهُ مُقَصِّرًا فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ تَقْصِيرٌ' أَيِ اغْفِرْ لِأَخِي إِنْ قَصَّرَ. (١)

٦– نبي الله ابراهيم عليه السلام.

فقد اتهموا إبراهيم خليل الرحمن عليه، وعلى نبينا الصلاة والسلام أنه قدم امرأته سارة إلى فرعون ؛ حتى ينال متاعاً بسببها (وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ، فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ)(٢)، وقد كذبوا على خليل الرحمن، وقص علينا رسول الله ﷺ قصة إبراهيم هذه عند دخوله مصر، فقال ﷺ: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات(و في رواية لأبى هريرة قال: اثنتان منهم في ذات الله أي في سبيله) قوله(إني سقيم) حين دعي لألهتهم و قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله عن سارة(إنها أختي) قال: و دخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس قال: فأرسل إليه الملك أو الجبار من هذه معك؟ فقال أختي (يعنى أخته في الإسلام) قال فأرسل بها إليه و قال لا تكذبي قولي فإني قد أخبرته أنك أختى وإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري و غيرك (أي ليس من زوجين مؤمنين غيري و غيرك) فلما دخلت عليه قام إليها فأقبلت تتوضأ و تصلى و تصلى و تقول (**اللهم إن كنت تعلم أنى أمنت بك و برسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا**

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ج٧ / ٢٨٩.

(٢) سفر التكوين: (١٤: ١٢).

تسلط علي ذلك الكافر)، قال: فسقط حتى ركض برجله، و في بعض الروايات أن ذلك تكرر عدة مرات؛ حتى أرسلها، وأهداها هاجر لما رأى من عفتها و شرفها. (١)

٧- نبي الله يعقوب عليه السلام.

فقد اتهموا يعقوب أنه سرق مواشي حميه، وخرج بأهله خلسة دون أن يعلمه، فَقَامَ يَعْقُوبُ، وَحَمَلَ أَوْلاَدَهُ وَنِسَاءَهُ عَلَى الْجِمَالِ، وَسَاقَ كُلَّ مَوَاشِيهِ، وَجَمِيعَ مُقْتَنَاهُ الَّذِي كَانَ قَدِ اقْتَنَى: مَوَاشِيَ اقْتِنَائِهِ الَّتِي اقْتَنَى فِي فَدَّانَ أَرَامَ لِيَجِيءَ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَأَمَّا لاَبَانُ فَكَانَ قَدْ مَضَى لِيَجُزَّ غَنَمَهُ فَسَرِقَتْ رَاحِيلُ أَصْنَامَ أَبِيهَا. وَخَدَعَ يَعْقُوبُ قَلْبَ لاَبَانَ الأَرَامِيِّ إِذْ لَمْ يُخْبِرْهُ بِأَنَّهُ هَارِبٌ) (٢)

أنهلطم الخدود، وشق الجيوب، وكفر بقضاء الله حين سمع بخبر أكل الذئب ليوسف عليه السلام .

ومن ذلك أن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وعلم يعقوب بذلك الفعل القبيح، وسكت عنه (وَحَدَثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِناً فِي تِلْكَ الأَرْضِ أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ. وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ). (٣)

هذه بعضاً من أكاذيبهم على أنبياء الله تعالى، ويزعمون أنها موجودة في كتابهم المقدس، وهو الذي تم تحريفه، وهي صفات أنبيائهم، والأدهى من ذلك أنهم جعلوا أحبارهم ورهبانيهم أفضل عندهم من أنبيائهم.

ثمَّ نقُول لِلنَّصَارَى بعد ذَلِك: الْعجب مِنْكُم وَمن جهلكم، حَيْثُ صَدقْتُمْ بِوُقُوع هَذِه الْفَوَاحِش من الْأَنْبِيَاء، واعترفتم مَعَ ذَلِك بنبوتهم، ثمَّ لم تجوزوا على الحواريين وُقُوع الْغَلَط مِنْهُم فِيمَا حكوا لكم، إِن صحت الحكايات عَنْهُم من إتحاد الْعلم باللحمة، فَإِن الْعقل يدل بضرورته على أَن ظَاهر ذَلِك فَاسد محَال، فَهَلا تأولتم ذَلِك أَو قُلْتُمْ أَنه يجوز عَلَيْهِم الْغَلَط، وَلَا يدل ذَلِك على نقضهم، كَمَا قُلْتُمْ فِي الْأَنْبِيَاء الَّذين حكيتم عَنْهُم تِلْكَ الْفَوَاحِش، وَلَو فَعلْتُمْ ذَلِك لَكَانَ الأولى عِنْد الْعُقَلَاء. (٤)

---

(١) صحيح البخاري ج٤ / ص ١٤٠- ١٤١، ح ٣٣٥٨.

(٢) انظر : سفر التكوين ٣١ /١٧.

(٣) التكوين [٣٧: ٣٢ . ٣٨] ، الإعلام ج١/١٩٧.

(٤) الإعلام ،١/ ٢٠٢.

ثانياً: عيسى بن مريم في القرآن وكتب النصارى.

حيث جاءت أناجيل النصارى ؛ لتكمل سلسلة التحريف، والانحراف الموجودة في الكتاب المقدس من حيث: إنها نسبت للمسيح عيسى بن مريم عدداً من الفظائع منها:

١ –اتهموا عيسى عليه السلام بالزنا، وقالوا أن عيسى بن سليمان بن داوود و جدهم الأكبر فارض الذي هو من الزنا من يهوذا بن يعقوب [١].

فبرأه الله عز وجل من هذه التهمة، وأنزل في حقه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٧ – ٣٥].

قال القرطبي في تفسير هذه الآيات: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْأُخُوَّةِ وَمَنْ هَارُونُ؟ فَقِيلَ: هُوَ هَارُونُ أَخُو مُوسَى، وَالْمُرَادُ مَنْ كُنَّا نظننها مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ بِحَضْرَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ مريم ليست بأخت هارون أَخِي مُوسَى، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: كَذَبْتَ. فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَهُ فَهُوَ أَصْدَقُ وَأَخْبَرُ، وَإِلَّا فَإِنِّي أَجِدُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ سِتَّمِائَةِ سَنَةٍ. قَالَ: فَسَكَتَتْ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ" يَا أُخْتَ هارُونَ" وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ) [٢]. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ اسْمٌ وَافَقَ اسْمًا. وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا جواز التسمية بأسماء الأنبياء، والله أعلم. [٣]

---

(١) إنجيل متى (١–١٠).

(٢) صحيح مسلم ح٢١٣٥.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ج١١ _ص ١٠١.

وَيُرْوَى أَنَّهُمْ لَمَّا أَشَارَتْ إِلَى الطِّفْلِ قَالُوا: اسْتِخْفَافُهَا بِنَا أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زِنَاهَا، ثُمَّ قَالُوا لَهَا عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيرِ" كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"، فَقِيلَ: كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْضَعُ فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ تَرَكَ الرَّضَاعَةَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، وَاتَّكَأَ عَلَى يَسَارِهِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِسَبَّابَتِهِ الْيُمْنَى، وَ" قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ " فَكَانَ أَوَّلَ مَا نَطَقَ بِهِ الِاعْتِرَافُ بِعُبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ تعالى وبربوبيته، رَدًّا عَلَى مَنْ غَلَا مِنْ بَعْدِهِ فِي شَأْنِهِ. وَالْكِتَابُ الْإِنْجِيلُ، أَيْ حَكَمَ لِي بِإِيتَاءِ الْكِتَابِ وَالنُّبُوَّةِ فِي الْأَزَلِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْكِتَابُ مُنَزَّلًا فِي الْحَالِ، وَهَذَا أَصَحُّ. ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ أَيْ ذَا بَرَكَاتٍ وَمَنَافِعَ فِي الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَمُعَلِّمًا لَهُ. وَجَعَلَنِي آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُرْشِدُ ضَّالَّ، وَأَنْصُرُ الْمَظْلُومَ، وَأُغِيثُ الْمَلْهُوفَ. ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ أَيْ لِأُؤَدِّيَهُمَا إِذَا أَدْرَكَنِي التَّكْلِيفُ، وَأَمْكَنَنِي أَدَاؤُهُمَا، عَلَى القول الأخير الصحيح. [1]

٢ – اتهموه بأنه ارتكب أكبر كبيرة بعد الشرك بالله، وهي عقوقه لأمه، فما وقرها أو ناداها بلفظة (أمي) في أي موضع في الأناجيل، وكان يهينها، ويعاملها باحتقار أمام الناس، ويخاطبها قائلاً (يا امرأة) تماماً كما خاطب المرأة الزانية أو (الكلبة) الكنعانية، فكان يناديها في وسط الحضور قائلاً: (مالي ولك يا امرأة !)[2].

وقد برأ الله تعالى عيسى عليه السلام من ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٥]

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا قَالَ" وَبَرًّا بِوالِدَتِي" وَلَمْ يَقُلْ بِوَالِدَيَّ عُلِمَ أَنَّهُ شي مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى. ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا ﴾ أَيْ مُتَعَظِّمًا مُتَكَبِّرًا يَقْتُلُ وَيَضْرِبُ عَلَى الْغَضَبِ. وَقِيلَ: الْجَبَّارُ الَّذِي لَا يَرَى لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقًّا قَطُّ. ﴿ شَقِيًّا ﴾ أَيْ خَائِبًا مِنَ الْخَيْرِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: عَاقًّا. وَقِيلَ: عَاصِيًا لِرَبِّهِ وَقِيلَ: لَمْ يَجْعَلْنِي تَارِكًا لِأَمْرِهِ فَأَشْقَى كَمَا شَقِيَ إِبْلِيسُ لَمَّا تَرَكَ أَمْرَهُ. [3]

وأين هذا من قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

---

(١)المصدر السابق ١١ / ١٠٣.

(٢) يوحنا (٢: ٤).

(٣) تفسير القرطبي : ج١٠٣/١١.

و قد كان إبراهيم يتودد لأبيه، وهو كافر قائلاً (يا أبت... يا أبت...) فكيف يكون الحال مع مريم خير نساء العالمين ؟!.

٣ – اتهموه بأنه ما كان يتوانى عن سب من يخاطبه، وكان يتعامل بغلظة مع كبار السن، و يصل الأمر إلى الشتيمة بالأب والأم لكل من يناقشه، فتارة تجده يشتم معلمي البشرية، ويقول لهم: (يأولاد الأفاعي)[١]، وتارة تجده يشتم تلاميذه، ويقول لاثنين منهم: (أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان)[٢]، وتارة ثالثة تجده لا يتورع عن سب من يستضيفه؛ ليتغدى عنده، وهو في بيته، بقوله: (سأله فريسي أن يتغذى عنده، فدخل يسوع واتكأ، وأما الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء فقال له الرب: أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس، وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً يا أغبياء ويل لكم أيها الفريسيون ؛ فأجاب واحد من الناموسيين، وقال له: يا معلم' حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضاً، فقال: وويل لكم أنتم أيها الناموسيون)[٣]، وهذا قطعاً ليس خلق الأنبياء ؛ لأنه يتعارض بما أمر الله به موسى وهارون – عليهما السلام – باستعمال الرفق في الدعوة مع أعتى جبابرة الأرض (فرعون)، فقال سبحانه﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ **[طه: ٤٣ – ٤٤]**، فإذا كان هذا هو أسلوب الدعوة مع فرعون، فكيف يكون الحال مع من هم دونه؟، ويقول أيضاً سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ **[فصلت: ٣٤]**، ويتعارض أيضاً مع قول النبي ﷺ: (ما كان الرفق فيشيء إلا زانه و لاينزع من شيء إلا شانه)[٤].

٤ – ومنها أن المسيح شهد بأن كل الأنبياء الذين قاموا في بنى إسرائيل هم لصوص: (أنا باب الخراف وجميع الذين جاؤوا قبلي سارقون ولصوص)، وهذا من كذب عباد الصليب؛ ليحقروا من شأن الأنبياء[٥].

٥ – ومنها أن المسيح كان شديد العنصرية يسب المؤمنين، و يهينهم ؛ لمجرد أنهم ليسوا من بنى إسرائيل: (لا يجوز أن يأخذ خبز البنين ويرمى للكلاب)[٦] فها هو مسيح الحبة يسب كل الأميين من

---

(١) إنجيل لوقا (٢٤: ٢٥).
(٢) إنجيل متى (٣: ٧).
(٣)إنجيل لوقا (١١: ٣٩).
(٤) صحيح مسلم: ح٦٧٦٧.
(٥) يوحنا٧: ١٠، اقتباس من الانترنت عن موقع الجامع بتاريخ ٢٠ /٣ /٢٠٠٤.
(٦) (متى ٢١: ١٥– ٢٦) نقلاً عن المصدر السابق.

غير بنى إسرائيل، ويصفهم بالكلاب.
٦ – ومنها أن المسيح كان يتعرى أمام تلاميذه، ويتعامل معهم بشكل مثير للريبة (قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتّزر بها. ثم صبّ ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها)[١].
و نجد أن تلميذه (المحبب) كان يتكئ في حضنه (وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه)[٢].

المطلب الثاني: موقف النصارى من نبوة محمد ﷺ.

النصارى لا يؤمنون بوجود نبي بعد عيسى عليه السلام، ويزعمون أن المراد من البشريات التي ساقها الأنبياء ما هي إلا دليل على أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء، أو يفسرونها على أنها بمعنى أن الأنبياء الذين جاءوا من بعد عيسى جاءوا لإكمال شريعة عيسى في البلاد؛ مثل بارنابا وشمعون وليوقيوشومناين هَؤُلَاءِ أَنْبيَاء أنطاكية، وَمن بَيت الْمُقَدّس أعفانوس، وَمن فلسطين جرجيس، وهذا خطأ وقعوا فيه، ونرد عليهم بأنه يتوجب عليكم أن تكفروا بهم؛ لأنكم تقولون أنه لا نبي بعد عيسى، وتسندون تلك الأقوال بكتبكم، فإما أن تنكروا نبوتهم، أو أن تكونوا كاذبين بنص كتابكم، وأن المراد من تلك البشريات هو محمد – ﷺ – لا غير.[٣]

ونقول إن جحد نبوة خاتم الأنبياء والرسل، وتكذيبه إنكاراً للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له، فلا يمكن الإقرار بربوبيته وإلهيته وملكه، بل ولا بوجوده، مع تكذيب محمد بن عبد الله ﷺ، فلا يجتمع الكفر برسول الله ﷺ الإقرار بالرب تعالى، وصفاته أصلاً، كما لا يجتمع الكفر بالمعاد واليوم الآخر، الإقرار بوجود الصانع أصلاً ، وقد ذكر – سبحانه وتعالى – ذلك في موضعين في كتابه في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ ﴾ [الرعد: ٥].

والثاني في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٥ – ٣٧].

---

(١) يوحنا ١٣: ٤
(٢) يوحنا ١٣: ٢٣
(٣) انظر :الإعلام :١/٢٧١.

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعريف بحقوقه على عباده، فمن أنكر رسالته فقد أنكر الرب الذي دعا إليه وحقوقه التي أمر بها،بل نقول: لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب رسوله ﷺ.

وسوف أقوم بذكر الأدلة التي تدلل على نبوة النبي ﷺ بشيء من التفصيل:

أولاً: الأدلة على نبوة محمد ﷺ:

١ – التبشير بنبوة محمد ﷺ في الكتب السماوية السابقة.

قال القرطبي: وَإِنَّمَا قدمنَا هَذَا النَّوْع، وَإِن كَانَ غَيره أولى بالتقديم؛ لكَون الْأَنْبِيَاء الخبيرين بعلاماته متقدمين عَلَيْهِ فِي الزَّمَان، وَلكَون هَذِه البشائر كَانَت مَعْرُوفَة قبل مَجِيئه، وَلكَونهم أرادوا السَّائِل الاستدلال بِمَا جَاءَ فِي كتب الْأَنْبِيَاءعلى نبوته، وليكون هَذَا الْبَاب مؤنساً لَهُ وباعثاًعلى النّظر فِيمَا بعده، ولتعلم أَن الاستدلال بِهَذَا النَّوْع لَا ينْتَفع بِهِ إِلَّا من صدق بِتِلْكَ الْكتب، وتواترت عِنْده.[1]والمبشرات التي تدل على أنه خاتم الأنبياء، وأنه أخبر بقدومه كثيرة منها:

أ – مَا جَاءَ فِي التَّوْرَاة: أَن الله قَالَ لمُوسَى بن عمرَان: إِنِّي أقيم لبني إِسْرَائِيل من إِخْوَتهم نَبِي مثلك أجعَل كَلَامي على فِيهِ، فَمن عَصَاهُ انتقمت مِنْهُ. [2]

وقد بين القرطبي المراد بأخوة بني إسرائيل بقوله "والمراد هنا ليس يوشع بن نون كما تزعمون ؛ لأنه أخبر في آخر التوراة لَا يخلف من بني إِسْرَائِيل نَبِي مثل مُوسَى، فَلَا محَالة أَن ذَلِك الَّذِي بشرت بِهِ التَّوْرَاة لَا يكون من بني إِسْرَائِيل، لَكِن من إِخْوَة بني إِسْرَائِيل، فلننظر من هم إِخْوَة بني إِسْرَائِيل، فَلَا محَالة أَنهم الْعَرَب أَو الرّوم، والروم قد جاءهم أيوب، وكان سابقاً لموسى عليه السلام بزمن، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق سوى العرب فَهُوَ إِذن مُحَمَّد ﷺ وَقد قَالَ فِي التَّوْرَاة: حِين ذكر إِسْمَاعِيل جد الْعَرَب أَنه يضع فسطاطه فِي وسط بِلَاد إِخْوَته، فكنى عَن بني إِسْرَائِيل بإخوة إِسْمَاعِيل، كَمَا كنى عَن الْعَرَب بإخوة بني إِسْرَائِيل فِي قَوْله: إِنِّي أقيم لبني إِسْرَائِيل من إِخْوَتهم نَبِي مثلك. [3]

---

(١)الإعلام ١ /٢٦٣.
(٢)المصدر السابق ١ / ٢٦٣.
(٣)الإعلام للقرطبي :١ / ٢٦٥.

ب – مَا جَاءَ فِيهَا أَيْضا: أَن الله قَالَ لإِبْرَاهِيم: قد استجبتك فِي إِسْمَاعِيل، وباركته، وكثرته، وأنميته جداً جداً يُولد لَهُ اثْنَا عشر عَظِيماً، وأجعله لشعب عَظِيم، وَلَا يشك فِي أَن الشّعب الْعَظِيم هُوَ مُحَمَّد – عَلَيْهِ السَّلَام – وَأمته إِذْ لم يكن فِي ولد إِسْمَاعِيل أعظم مِنْهُم. (١)

ج – وَفِيها أيضاً: أَن ملاك الرب قَالَ لهاجر: ستلدين ابناً، وتدعين اسمه إِسْمَاعِيل يَده على كل، وَيَد كل بِهِ، وسيحل على جَمِيع حُدُود إخْوَته، وَلَا محَالة أَن إِسْمَاعِيل وَولده لم تكن أَيْديهم إِلَّا تَحت يَد إِسْحَق؛لِأَن النُّبُوَّة وَالْملك إِنَّمَا كَانَا فِي ولد إِسْحَق ؛ فَلَمَّا بعث الله تَعَالَى مُحَمَّدًا جعل يَد بني إِسْمَاعِيل فَوق أَيدي الْجَمِيع، ورد النُّبُوَّة وَالْملك فيهم، وأنماهم، وعظمهم، وَبَارك عَلَيْهِم جداً جداً. (٢)

د – وَمن ذَلِك مَا جَاءَ فِي الزبُور: الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ أَنه قَالَ: سبحوا الرب تسبيحاً حَدِيثاً، سبحوا الَّذِي هيكله الصالحون ؛ ليفرح إِسْرَائِيل بخالقه وَبَنُو صهيون من أجل أَن الله اصْطفى لَهُم أمة، وَأَعْطَاهُمْ النَّصْر وسدد الصَّالِحين مِنْهُم بالكرامة ؛ يسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بِأَصْوَات مُرْتَفعَة، بِأَيْدِيهِم سيوف ذَوَات شفرتين لينتقم الله بهم من الْأُمَم الَّذين لَا يعبدونه، يوثقون مُلُوكهمْ بالقيود وأشرافهم بالأغلال.

ولا ريب أن هذه الأوصاف هي لأمة مُحمد ﷺ؛ لأنها هي التي بعث نبيها ﷺ بالسيف، أبناؤها هم الأبناء الذين يسبحون الله تعالى على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة، ومعهم السيوف ؛ حتى ينتقموا من باقي الأمم التي تكفر بالله تعالى. (٣)

ه – أَن الله تَعَالَى أظهر من صهيون أكليلا مَحْمُودًا ؛ فالإكليل ضرب مثل لرياسته ومحمود هُوَ مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَقد بلغ دينه صهيون غَيره. (٤)

و – وَفِي الزبُور: تَرْجَمَة وهب بن مُنَبّه يَقُول الله تَعَالَى لداوود عليه السلام: فِي المزمور الْخَامِس اسمع مَا أَقُول: وَمر سُلَيْمَان، فليقله للنَّاس من بعْدك إِن الأَرْض لي أورثها مُحَمَّدًا، وَأمته فهم خلافكم لم تكن صلَاتهم بالطنابير، وَلَا قدسوني بالأوتار.

وَهَذَا تَصْرِيح باسمه وتأييد شَرِيعَته وبصفات أمته. (٥)

---

(١) انظر :المصدر السابق / ٢٦٦.
(٢) انظر :المصدر نفسه١ / ٢٦٦.
(٣)انظر : المصدر نفسه ١/ ٢٦٦ – ٣٦٧.
(٤)الإعلام للقرطبي ١ / ٢٦٧.
(٥) انظر : المصدر السابق : ١ / ٢٦٨.

ط – وَمن ذَلِك ما جاء فِي الْإِنْجِيل الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ: أَن الْمَسِيح قَالَ: إِن كُنْتُم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إِلَى الآب فِي أَن يبْعَث إِلَيْكُم البرقليط ليَكُون مَعكُمْ إِلَى الْأَبَد روح الْحق الَّذِي لَا تقبله الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّهَا لَا ترَاهُ وَلَا تعرفه، وَأَنْتُم تعرفونه لِأَنَّهُ نازل عَلَيْكم، وعندكم لابث وَلست أدعكم أيتاماً، وهنا يظهر أن المسيح يبشر بأن الله تعالى سوف يبعث من بعده رسولاً، أنتم تعرفونه، وسوف يبين للناس أن المأثم هو ترك الإيمان بعيسى، وأنه نبي من أنبياء الله تعالى، وسوف يعلمكم أموراً كثيرة ليست من ذاته، وإنما يسمعها أنتم لا تحملونها. (١)

البرقليط معناه في العربية محمد، فَتَأمل هَذِه البشائر الَّتِي لَا ينكرها إِلَّا معاند مجاهر، فقد أخبر بِهِ الْمَسِيح بِالْعينِ والاسم وَالْأَفْعَال ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ **[يونس: ٣٢]**.

ح – وَفِي الْإِنْجِيل أَيْضا: أَنه ضرب مثلاً للدنيا فَقَالَ: "مثل الدُّنْيَا كَمثل رجل اغترس كرما، وسبخ حوله، وَجعل فِيهِ معصرة، وشيد فِيهِ قصراً، ووكل بِهِ أعواناً، وتغرب عَنهُ، فَلَمَّا دنا أَوَان قطافه بعث عبيده إِلَى أعوانه بالموكلين بِالْكَرمِ، فَضرب الْمَسِيح عليه السلام مثلاً للأنبياء ثمَّ لنَفسِهِ، ثمَّ قَالَ: سيزاح عَنْكُم ملك الله وتعطاه الْأمة المطيعة ؛ فَتَأَمّله ثمَّ ذكر فِي الْمثل صَخْرَة، وَقَالَ من سقط على هَذِه الصَّخْرَة سينكسر، وَمن سَقَطت عَلَيْهِ يتهشم يُرِيد بذلك مُحَمَّدًا ﷺ من ناوأه وحاربه أظهره الله عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ قد أزاح الله ملككم، وأزاله عَنْكُم، وَأَعْطَاهُ أمة مُحَمَّد ؛ حَيْثُ افتتحوا عَلَيْكُم بِلَاد الشَّام وبلاد الغرب وردوكم فِي أَكثر الأَرْض أهل ذلة وصغار، وَأخذُوا مِنْكُم الْجِزْيَة بعد الْقَتْل الذريع، والاسترقاق الشَّديد بعد أَن كَانَ ملككم راسخاً، وجبله شامخاً، فَهد الله بِنَبِيِّهِ قَوَاعِده، ولينفذ بِهِ الله مواعده، وَأعظم شَاهد على أَن الله أزاح ملككم عَنْكُم، كَمَا قَالَ الْمَسِيح: إِن الله تَعَالَى أَعْطَانَا بَيت الْمُقَدّس، وأظهرنا عَلَيْهِ، وَإِن كرهتم، وَالْحج إِلَيْهِ عنْدكُمْ من أعظم شرائعكم، وَشَرَائِع الْيَهُود ثمَّ الْوَاحِد مِنْكُم لَا يصل إِلَيْهِ ؛ حَتَّى يلْحقهُ من الذلة وَالصغَار مَا لَا يخفى عَلَيْكُم﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ **[الصف: ٨]**.(٢)

وَفِي صحفه أَيْضا: لتفرح أَرض الْبَادِيَة العطشى، ولتبتهج البراري والفلوات ؛ لِأَنَّهَا ستعطى بِأَحْمَد محَاسِن لبنان، كَمثل حسن الدساكير والرياض، هَذَا ينص على اسْمه وَوَصفه وبلده، بِحَيْثُ لَا يُنكره إِلَّا معاند مجاهر بِالْبَاطِلِ(٣).

(١) المصدر نفسه : ١ / ٢٦٩.

(٢) الإعلام ١ / ٢٧٢.

(٣) المصدر السابق ، ١ / ٢٨٠.

ثانياً: الاستدلال على نبوته بقرائن أَحْوَاله ﷺ.

وهي كثيرة منها.

١ – ما كان يراه الرائي على وجه أبيه من نور تشبه غرة الفرس، حينما أراد الله تعالى له خلقه، وَقرب وقته، وحان خُرُوج نطفته من صلب أَبِيه، وهو ثابت في كتب السير، ومنقول عن الصحابة يقول القرطبي: أَن عبد الله بن عبد المطلب وَالِد رَسُول الله ﷺ كَانَت لَهُ امْرَأَتَانِ؛ إحداهما آمِنَة أم رَسُول الله ﷺ، وَامْرَأَة أُخْرَى فَحمل يَوْمًا فِي طين لبِنَاء بَيته، فتعلقت بِهِ آثَار من الطين فَمر بِتِلْكَ الْمَرْأَة، فَدَعَاهَا لنَفسِهِ فَأَبت لما كَانَ عَلَيْهِ من الطين، فَخرج من عِنْدهَا، فاغتسل وَغسل مَا بِهِ من أثر الطين، فدعته تِلْكَ الْمَرْأَة إِلَى نَفسهَا فَأبى عَلَيْهَا، ثمَّ خرج عَامِدًا إِلَى آمِنَة، فَدخل عَلَيْهَا فأصابها فَحملت بِمُحَمد رَسُول الله ﷺ ثمَّ مر بامرأته تِلْكَ فَقَالَ لَهَا: هَل لَك قَالَت: لَا إِنَّك مَرَرْت بِي وَبَين عَيْنَيْك غرَّة مثل غرَّة الْفرس، فدعوتك رَجَاء أَن يكون لي، فأبيت، وَدخلت على آمِنَة فَذَهَبت بهَا، ثمَّ لما حملت بِهِ آمِنَة أمه أتيت فَقيل لَهَا: إِنَّك قد حملت بِسَيِّد هَذِه الْأمة، فَإِذا وَقع على الأَرْض فَقولِي: أُعِيذهُ بِالْوَاحِدِ من شَرّ كل حَاسِد ثمَّ سميه مُحَمَّدًا. [1]

٢ – أن أمه رَأَتْ حِين حملت بِهِ، أَنه خرج مِنْهَا نور رَأَتْ بِهِ قُصُور بصرى من أَرض الشَّام، وَلَقَد قَالَت أم عُثْمَان الثقفية حضرت ولادَة رَسُول الله ﷺ؛ فَرَأَيْت الْبَيْت حِين وضع قد امْتَلَأَ نوراً، وَرَأَيْت النُّجُوم تَدْنُو، حَتَّى ظَنَنْت أَنَّهَا ستقع على، وَولد ﷺ مختوناً. [2]

٣ –عدم شعور أمه بالآم الحمل، كما تشعر بها غيرها من الحوامل، وعندما وضعته وقع على الأرض مقبوضة أصابع يديه يشير بالسبابة كالمسبح بها. [3]

٤ – تسميته باسم محمد، وعندما سئل جده عن ذلك قال: إني أريد أن يحمده أهل السموات والأرض، وذَلِكَ أَنه كَانَ يرى فِي مَنَامه كَأَن سلسلة من فضَّة خرجت من ظَهره لَهَا طرف فِي السَّمَاء، وطرف فِي الأَرْض، وطرف فِي الْمشرق، وطرف فِي الْمغرب، ثمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَة على كل ورقة مِنْهَا

---

(١) المصدر السابق : ١ /٢٨١.

(٢) دلائل النبوة لأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الجزء الاول، صفحة ١٣٥، حديث رقم ٧٦، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٣) الإعلام ١ / ٢٨٢.

نور، وَإِذا أهل الْمشرق وَالْمغْرب كَأَنَّهُمْ يتعلقون بهَا، فَقَصَّهَا فعبرت لَهُ بمولود يكون من صلبه يتبعهُ أهل الْمشرق وَالْمغْرب، وَيَحْمَدهُ أهل السَّمَاء وَأهل الأَرْض ؛ فَلذَلِك سَمَّاهُ مُحَمَّدًا.(١)

٥ – ما رواه حسان بن ثابت وهو طفل في المدينة، أنه سمع أحد اليهود قام ينادي اليهود من على أطم، فلما اجتمع عليه اليهود قالوا له: مالك، فقال: يامعشر يهود ظهر اليوم نجم أحمد.(٢)

٥ – البركة التي رأتها مرضعته حليمة السعدية حينما احتملته، وعادت به إلى بيتها ومنها؛ إدرار ثدييها بعد جفافهما، وإدرار ضرع غنمتها بعد أن كان لا يدر، ومسابقة أتانها أتان صويحباتها بعد أن كانت هزيلة لا تقوى على السير، وغيرها من البركات التي حلت على بيتها بعد مجيء محمد ﷺ – عليهم.(٣)

٦ – نزع حظ الشيطان منه ﷺ وعمره أربع سنوات.(٤)

٧ – قصة الراهب بحيرا، وصنيعه طعاماً لقافلة قريش، ونزوله إليهم على غير العادة، ومن ثم إبلاغ عمه أبي طالب بخبر ابن أخيه وأن له شأناً فطلب منه أن يرجع به إلى مكة لأن اليهود إذا علموا به سوف يقتلونه إذا رأوا الآيات التي قلتها لك.(٥)

٨ –جمع الله فِيهِ كل الْأُمُور الصَّالِحَة، فقد كان رجلاً أفضل قومه مُرُوءَةً، وَأَحْسَنهمْ خلقاً، وَأكْرمهمْ حسباً، وَأَحْسَنهمْ جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حَدِيثاً، وأعظمهم أَمَانَةً، وأبعدهم من الْفُحْش،

(١) المصدر السابق ١ / ٢٨٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، الجزء الاول، صفحة ١٥٩، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

(٣)انظر: كتاب السير والمغازي: لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، ١/٤٩-٥٠، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

(٤)انظر : السير والمغازي لابن إسحاق: ١/ ٥٠- ٥١ .

(٥)دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الجزء الثاني، صفحة ٢٤، بَابُ مَا جَاءَ فِي خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ، مَعَ أَبِي طَالِبٍ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَرُؤْيَةِ بَحِيرَى الرَّاهِبِ مِنْ صِفَتِهِ وَآيَاتِهِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ فِي كُتُبِهِمْ، – صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ–، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

والأخلاق الَّتِي تدنس الرّجَال تنزهاً وتكرماً ؛ حَتَّى مَا اسْمه فِي قومه إِلَّا الصادق الْأمين، ولعل قصته في تجارة خديجة أوضح برهان.(١)

٩ – ولعل من أوضح تلك القرائن قصة سلمان الفارسي: يقول البيهقي، وَذَلِكَ أَنه كَانَ تنصر، وَقَرَأَ كتبكم، وَبحث عَن جمَاعَة من أهل دينكُمْ أعنى الَّذين كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بدين الْمَسِيح، فَلم يزل يبْحَث عَنْهُم وَاحِدًا بعد وَاحِد، ويخدمهم حَتَّى يحضرهم الْوَفَاة، فَكَانَ الْوَاحِد مِنْهُم إِذا حَضرته الْوَفَاة وصاه بِأَن يلْحق بِمن هُوَ على مثل دينه وحاله، ويعينه لَهُ ويدله عَلَيْهِ إِلَى أَن وصل إِلَى عمورية إِلَى أَرض الرّوم إِلَى رَاهِب نَصْرَانِيّ كَانَ هُنَالك، قَالَ سلمَان: فأقمت عِنْد خير رجل على هدى أَصْحَابه، وَأمرهمْ يَعْنِي الذّين كَانُوا دلوا عَلَيْهِ إِلَى أَن حَضرته الْوَفَاة، فَقلت لَهُ: يَا فلَان إِنِّي كنت مَعَ فلَان، فأوصاني إِلَى فلَان، ثمَّ أَوْصَانِي فلَان إِلَى فلَان، ثمَّ أَوْصَانِي فلَان إِلَيْك فَإلَى من توصى بِي أَنْت، وَبِمَ تَأْمُرنِي قال: أَي بني وَالله مَا أعلمهُ أصبح الْيَوْم أحد على مثل مَا كُنَّا عَلَيْهِ من النَّاس آمُرك بِهِ أَن تَأتيه، وَلكنه قد أظل زمَان نَبِي، وَهُوَ مَبْعُوث بدين إِبْرَاهِيم يخرج بِأَرْض الْعَرَب مهاجره إِلَى أَرض بَين حرتين بَينهمَا نخل بِهِ عَلَامَات لَا تخفى ؛ يَأْكُل الْهَدِيَّة، وَلَا يَأْكُل الصَّدَقَة، وَبَين كَتفيهِ خَاتم النُّبُوَّة، فَإِن اسْتَطَعْت أَن تلْحق بِتِلْكَ الْبِلَاد فافعل، قَالَ: ثمَّ مَاتَ وغيب، وَلحق سلمَان بِالْمَدِينَةِ بِالْأَرْضِ الَّتِي عينت لَهُ، فَأَقَامَ هُنَالك حَتَّى قدم عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ مُهَاجراً، فبحث عَن تِلْكَ العلامات الَّتِي رسمت لَهُ، فَوَجَدَهَا كَمَا رسمت لَهُ، فَآمن بِهِ وَأتبعهُ وَصدقه، وَكَانَ مَعَه وعَلى دينه إِلَى أَن توفاه الله تَعَالَى رَضِي الله عَنهُ.(٢)

كل هذا قبل بعثته وأما بعد بعثته فهاك صفاته:

١ – عندما بلغ مُحَمَّد رَسُول الله ﷺ أَرْبَعِينَ سنة بَعثه الله تَعَالَى رَحْمَة للْعَالمين، وكافة للنَّاس بشيراً وَنَذِيراً، فَكَانَ أول مَا ابتدئ بِهِ من الْوَحْي الرُّؤْيَا الصَّالِحَة فِي النّوم، وَكَانَ لَا يرى رُؤْيا إِلَّا جَاءَت مثل فلق الصُّبْح، ثمَّ حبب الله إِلَيْهِ الْخلْوَة، فَكَانَ يَنْقَطِع إِلَى الكهوف وَالْجِبَال، ويأوي إِلَيْهَا، فَكَانَ يَخْلُو بِغَار حراء، وَكَانَ فِي ذَلِك لَا يمر بِحجر، وَلَا شَجَرَة إِلَّا قَالَ: السَّلَام عَلَيْك يَا رَسُول الله، فيلتفت رَسُول الله ﷺ حوله عَن يَمِينه وشماله وَخَلفه، فَلَا يرى إِلَّا الشّجر وَالْحِجَارَة تكَلمه، فَمَكَثَ رَسُول الله ﷺ يرى وَيسمع مَا شَاءَ الله أَن يمْكث، ثمَّ جَاءَ جِبْرِيل ﷺ بِمَا جَاءَهُ من كَرَامَة الله وَهُوَ بحراء فِي رَمَضَان، وَمن ذَلِك الْوَقْت ظَهرت آيَاته، وعمت بركاته وتنوقلت رسَالَته ومعجزاته.(٣)

---

(١)الاعلام ١/ ٢٨٧.

(٢)انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر البيهقي، ج٢ /٨٢ –٨٦.

(٣)الاعلام ١ /٢٩١.

و جمع الله لَهُ كل صفات الْكَمَال الظَّاهِر وَالْبَاطِن جميع الفضائل وهاك بعضاً منها:

١ –كَمَال خلقته، وجمال صورته، وفصاحة لِسَانه، وَشرف نسبه، وَعزة قومه، وكرم أرضه، وَقُوَّة عقله، وَصِحَّة فهمه، ومتين علمه، وَجَمِيل صبره، وعظيم حلمه، وَحسن تواضعه وعدله، وجزيل زهده وفضله، وعميم جوده وَكَرمه، ووثيق عهوده وذممه، ورائق سمته وأدبه، وطهارة ذَاته وَنسبه، وعظيم شجاعته ونجدته، وَكثير حيائه ومروءته، وَجُمْلَة أمره ﷺ أَنه أكمل النَّاس خلالا وأفضلهم حَالا وأعلمهم بحدود الله وأخوفهم من الله.

وَأما فصاحة لِسَانه:

فقد كان الرسول أفصح العرب، أوتي ﷺ، جَوَامِع الْكَلم، وبدائع الحكم، فَقَد كَانَ يُخَاطب كل حَيّ من أَحيَاء الْعَرَب بلغتهم، وَلم يكن يقْتَصر على لُغَة وَاحِدَة مَعَ أَنه إِنَّمَا نَشأ على لُغَة بني سعد وقريش، وَكَانَ يعرف لُغَات غَيرهم، حَتَّى كَانُوا يتعجبون مِنْهُ، وَيَقُولُونَ مَا رَأينَا بِالَّذِي هُوَ أفْصح مِنْهُ. [1] قال تعالى في وصفه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ **[النجم: ٣ – ٤]** قال القرطبي في تفسيرها: أَيْ مَا يَخْرُجُ نُطْقُهُ عَنْ رَأْيِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ بَعْدَهُ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٤].[2]

وَأما نسبه:

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة وَالْعرْف، وَلَقَد كَانَ ﷺ يعرف برائحته، وَإِن لم ير، وَلَقَد كَانَ يتطيب برائحته، ففي مسلم والترمذي من حديث واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله **اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**".[3]

وَأما عزة قومه:

(١) المصدر السابق ١ /٢٩٣-٢٩٤ بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي ١٧ /٨٥.

(٣) صحيح مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي – ﷺ –، صفحة ١٧٨٢، حيث رقم ٢٢٧٦.

فقد كَانُوا فِي جاهليتهم لم ينلهم سباء، وَلَا ظَفرت بهم أَعدَاء، وَلَا دخلُوا فِي أغلب أزمانهم تَحت قهر غَيرهم، بل كَانُوا قد حازوا الشّرف الباهر، والمفاخر والمآثر هم أوفر النَّاس عقولاً، وَأَقلهمْ فضولاً، وأفصح النَّاس مقَالاً، وَأكْرمهمْ فعالاً، الشجعان الكرماء والحكماء الأدباء. (١)

وَأما أرضه:

فناهيك من أَرض أسس بقيتها إِبْرَاهِيم الْخَلِيل، وَأمره بِأَن يدعو النَّاس إِلَيْهَا الْملك الْجَلِيل، وَتَوَلّى عمارتها، وَالْمقَام بهَا النَّبِي إِسْمَاعِيل، وتوارثها الْأَشْرَاف جيلاً بعد جيل، وَكفى بلدته شرفاً مَا فعل الله بِملك الْحَبَشَة الَّذِي جَاءَ لهدمها، فَأرسل عليهم الطير الأبابيل، فرمتهم بحجارة السجيل التي مزقتهم كل ممزق. (٢)

وَأما قُوَّة عقله وَعلمه:

فَلَقَد أُوتى مِنْهُمَا مَا لم يؤته أحد، وَأعْطى مِنْهَا مَا لم يُعْطه وَالِد وَلَا ولد، وَكفى دَلِيلاً على ذَلِك، مَا ظهر عَلَيْهِ من حسن السياسة، وَأَحْكَام أُمُور الرياسة، وسياسته للأمة الإسلامية خير دليل وبرهان. (٣)

أما الْأُمُور المصلحية: (السياسة الشرعية).

حيث قسم أعمال الشريعة إلى أمور تعبدية مثل الصَّوْم وَالصَّلَاة وَالْحج، وَغير ذَلِك مِمَّا لَا يدْرك مَعَانِيهَا، وَحكمهَا إِلَّا من أمده الله بِتَوْفِيق خَاص، وَإِلَى أُمُور مصلحية يدْرك مَعَانِيهَا الْجُمْهُور منأهل الدّيانَة الحنيفية، وقسم أصول الشريعة إلى مصالح ومفاسد، وأرجع هذه الأصول كلها إلى خمسة أصول رئيسية يتوجب على الإنسان المحافظة عليها، وحرم عليه التهاون والاستهتار بها، وهذه الأصول هي المحافظة على الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

وَأما صبره وحلمه: فيكفيك من ذَلِك؛ أَنه كسرت رباعيته يَوْم أحد، وشج فِي وَجه، فشق ذَلِك على أَصْحَابه فَقَالُوا لَهُ: لَو دَعَوْت الله عَلَيْهِم فَقَالَ: إِنِّي لم أبْعث لعاناً، وَإِنَّمَا بعثت رَحْمَة ثمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اهد قومِي فَإِنَّهُم لَا يعلمُونَ، والأمثلة في ذلك كثيرة لا يسعها هذا البحث منها.(٤)

---

(١)الإعلام للقرطبي: ١ / ٢٩٤.

(٢)المصدر السابق : ١ /٢٩٤-٢٩٥ .

(٣) المصدر نفسه : ١ /٢٩٥

(٤)انظر: الأنوار في شمائل النبي المختار: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، الجزء الاول، صفحة ١٧٦، حديث رقم ٢١٣، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، نشر:

وَأما تواضعه: ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته، فَكَانَ أَشد النَّاس تواضعاً، وأبعدهم عَن كبر، والأمثلة كثيرة منها: ما رواه أَبُو أُمَامَة حيث يقول: خرج علينا رَسُول الله ﷺ متوكأً على عَصا، فقمنا لَهُ فَقَالَ: لَا تقوموا كَمَا تقوم الْأَعَاجِم يعظم بَعْضهَا بَعْضًا، وَقَالَ: إِنَّمَا أَنا عبد آكل كَمَا يَأْكُل العَبْد، وأجلس كَمَا يجلس العَبْد، وَكَانَ يركب الْحمار، ويردف خَلفه، وَيعود الْمَسَاكِين، ويجالس الْفُقَرَاء، ويجيب دَعْوَة العبيد، وَيجْلس بَين أَصْحَابه مختلطاً بهم حَيْثُ مَا انْتهى بِهِ الْمجْلس جلس وَقَالَ ﷺ: (لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَى ابْن مَرْيَم إِنَّمَا أَنا عبد فَقولُوا عبد الله وَرَسُوله).[1]

وَأما عدله وَصدقه ﷺ وأمانته وَصدق لهجته:

فَكَانَ ﷺ آمن النَّاس، وَأَعْدل النَّاس، وأعف النَّاس، وأصدقهم لهجة مُنْذُ كَانَ، وقد كان يسمى قبل النبوة بالصادق الأمين، وَذَلِكَ لما جعل الله فِيهِ من الْأَخْلَاق الصَّالِحَة، وَمِمَّا يدل على ذَلِك أَن قُرَيْشًا لما بنيت الْكَعْبَة اخْتلفت فِيمَن يضع الْحجر الْأسود مَوْضِعه، فحكموا بَينهم أول دَاخل عَلَيْهِم، فَإِذ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ دَاخِلاً فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّد هَذَا الْأمين قد رَضِينَا بِهِ، وَذَلِكَ قبل أَن يبْعَث.[2]

وَأما زهده ﷺ، فَلَقَد كَانَ أزهد النَّاس وأورعهم، ومما يدلل على ذلك: أَنه مَاتَ، وَدِرْعه مَرْهُونَة عِنْد يَهُودِيّ فِي نَفَقَة عِيَاله، وَهُوَ يَدْعُو وكان يَقُول: اللَّهُمَّ اجْعَل رزق آل مُحَمَّد قوتاً.[3]

ثالثاً: الاستدلال على نبوة محمد ﷺ بجوهر القرآن ومضامينه .

حرص القرطبي على الاستدلال على نبوة محمد ﷺ، بالعديد من الدلائل ، ومنها الاستدلال بحقيقة تنزيل القرآن عليه من رب العزة ، ناهيك عن حقائقه الوضاءة .... إلخ وهو على النحو التالي :

دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م، الإعلام ج ٣ / ٣٠١.

(١)انظر: شرح السنة البغوي، الجزء الثالث عشر، صفحة رقم ٢٦٤، حديث رقم ٣٦٨١، باب تواضعه – صلى الله عليه وسلم –، وانظر الشمائل المحمدية للترمذي، ص ١٨٩.

(٢) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجز الرابع، صفحة ١٥٨، حديث رقم ٢٣٦١، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

(٣) انظر : الإعلام ج١ /٣٠٢ – ٣٠٤.

أ- حقيقة القرآن وجوهره المنزل من عند الله تعالى والرد على من أنكر حقيقة هذا التنزيل.

١ -تواتر نقل القرآن المنزل على النبي ﷺ .

وقد أنكر النصارى أن القرآن معجزة مع إقرارهم بأنه كتاب منزل على محمد.

رد القرطبي على هذه الفرية .

١ - أن القرآن معجزة لأنه تحدى به كافة الفصحاء والبلغاء مدة مقامهم بينهم، فلم يقدروا على معارضة شيء منه،.حيثقال لهم: إن كنتم في شك من صدقي فأتوني بقران مثله، وعند سماعهم له راعهم ما سمعوا وعلموا أنهم لن يستطيعوا معارضته، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة، ثم تحداهم أن يأتوا بآية، فما استطاعوا، وعجزوا عن الإتيان بذلك مع أنهم أكثر الناس بلاغةً وفصاحةً، ثم قال لهم:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ **[الإسراء: ٨٨]**، وعندما ظهر عجزهم تبينت حجته ووضحت محجته، وهذا حال غير واحد من الرسل من أمثال موسى وعيسى ابن مريم – عليهما السلام –.([1])

٢ - إن من وقف على القرآن، وسمعه، وفهم معانيه، وكان عارفاً بأصناف الكلام علم عجز الخلائق عن الإتيان بمثله، كما عجز الأطباء عن إحياء الموتى، والسحرة عن الإتيان بثعبان حقيقي ليس من التخيلات. ([2])

٣ - أن القرآن خارج عن مقدور البشر، وليس من جنس مقدورهم، وأن القرآن وان كان كلاماً، فليس بينه وبين كلام العرب من الالتقاء والمناسبة، إلا ما كان بين الحية التي انقلبت عصى موسى عنها، وبين حيات السحرة التي كانت تخيل للناظر أنها تسعى.([3])

ب: مضامين القرآن الكريم :

في قول القرطبي هنا :" ووجوه إعجازه كثيرة لكننا نقتصر على ذكر أربعة منها لبيانها ووضوحها:

([1]) انظر : الإعلام : ١/ ٣٢٦ .

([2]) انظر: المصدر السابق : ١/ ٣٢٧ .

([3]) انظر :المصدر نفسه : ١ / ٣٢٩ .

الوجه الأول: أن لسان العرب مباين للسان غيرهم، وأنهم متميزون عن غيرهم بأمور لا يعلمها إلا العارفون باللغات والألسنة، ولا يشكون فيها، ومن أنكر ذلك فعليه أن يتعلم لسان العرب، وألسنة غيرهم حتى يعرف الفرق بينه وبين الألسن الاخرى لما تمتاز به من خفة اللفظ على اللسان وعذوبته وسهولة المخارج، وكما تميز لسان العرب عن غيره تميز لسان النبي ﷺ عن هذا اللسان، كما تميز كلام الله تعالى عن كلامه بأساليب أخر، حتى أن السامع عندما يسمع كلام الله يميزه عن غيره من الكلام، ويقول عنه هذا ليس من كلام البشر، ومن الأمثلة على ذلك: ما قاله أبو جهل حينما سمع قوله تعالى﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ **[الأعراف: ١٩٩].**

وهو من أشد المعارضين لدعوته قال: "إن رب محمد لفصيح"؛ لما تضمنته هذه الآية من أحكام و وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل، والالتزام بأخلاق الكرام، وتدل دلالة واضحة أنها كلام العزيز العلام. [١]

الوجه الثاني: نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب المخالف لجميع أساليب كلام العرب، فلا هو كمنظوم كلامها، فيكون شعرا موزوناً، ولا كمنثوره فيكون نثراً ؛ بل خالف هذا وذاك بأن كان أسلوباً خارجاً عن كلامهم ومنهاجاً خارقاً لعادة خطابهم. (٢)

الوجه الثالث: إخباره بالمغيبات قبل أن يحيط بعلمها احد من البشر، وبوقوع كائنات قبل وجوده وهو أمر لا يتوصل العلم به إلا من جهة المخبرين الصادقين عن الله تعالى.

مثال ذلك قَوْله تَعَالَى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ **[الفتح: ٢٧]**، فَهَذِهِ الْآيَة من أوضح معجزاته ﷺ، وَذَلِكَ أَن الله تَعَالَى وعده بِأَن يدْخلهُ الْمَسْجِد الْحَرَام هُوَ وَقَومه فِي حَالَة أَمن، وَيفتح عَلَيْهِم مَكَّة على أحسن حَال، فَمَا زَالُوا ينتظرون ذَلِك ؛ حتى بلغ وقته، وَصدق وعده، فَدَخَلُوا كَمَا وعدهم، وفتحوه على مَا أخْبرهُم.(٣)

(١)انظر: الإعلام : ١/ ٣٢٩ – ٣٣٠.

(٢) انظر : المصدر السابق:٣٣٦/١ .

(٣) انظر: تفسير القرطبي : ١٦ /٢٩٠ .

الوجه الرابع: إخباره عن الأمم السابقة، والقرون السالفة، والقصص الغابرة التي لا يعلم بها إلا الآحاد من علماء ذلك الشأن، فيورده النبي ﷺ علي في القرآن على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بصحته،

وَلَا يظنّ ظان أَن إعجاز الْقُرْآن إِنَّمَا هُوَ من هَذِه الْوُجُوه الْأَرْبَعَة فَقَط بل وُجُوه إعجازه أَكثر من أَن يحصيها عدد أَو يُحِيط بهَا أحد. (١)

ج:الاستدلال على نبوته ﷺ.بجملة من الآيات الكثيرة والخارقة للعادات التي ظهرت على يديه ومنها. انشقاق القمر، وحبس وَذَوي العاهات، وإِجَابَة دُعَائِهِ ﷺ، و فِي عصمَة الله لَهُ مِمَّن أَرَادَ كَيده، وفي بركاته ومعجزاته ﷺ.

، وفي إخبار الله له بالغيب اكبر دليل على نبوته ﷺ ، والأدلة على ذلك كثيرة لا يسع البحث ذكرها.(٢)

فَإِن اعترض النَّصَارَى والمخالفين لنا بقولهم: مَا ذكرتموه من معجزات نَبِيكُم، إِنَّمَا يثبت عنْدكُمْ من أَخْبَار الْآحَاد، وَهِي وَإِن كَانَت صحاحاً، فَلَا يحصل بهَا الْعلم كَمَا كُنْتُم قدمتم، حَيْثُ تكلمتم مَعَ النَّصَارَى حِين استدلوا على إِثْبَات نبوة مسيحهم.

قُال القرطبي فِي معرض رده عليهم بأن الْجَواب عَن ذَلِك:

اعْلَموا أَيهَا الْمُعْتَرضون: أَنا لم نقبل فِي هَذَا الْبَاب إلا الْأَخْبَار المتواترة الَّتِي يحصل الْعلم بهَا لَكِن يَنْبَغِي أَن تعلم أَن الْمُتَوَاتر ضَرْبَان:

ضرب يتواتر لَفظه وَمَعْنَاهُ وَذَلِكَ مثل قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾** ﴾ **[آل عمران: ٨٥]**، فَإِن هَذَا اللَّفْظ نعلم قطعاً، ويقيناً أَن نَبينَا مُحَمَّدًا ﷺ قَالَه: كَمَا تلوناه من غير زِيَادَة وَلَا نُقْصَان، إِذْ قد نَقله عَنهُ الجم الْغَفِير عَن الجم الْغَفِير، فَلَا يتَطَرَّق إِلَيْهِ وَجه من وُجُوه الشَّك، فَلَا يقدر أحد أَن يتشكك فِي لَفظه، وَلَا فِي مَعْنَاهُ، وَكثير من معجزات النَّبِي ﷺ الْمُتَقَدّمَة الذّكر من هَذَا الْقَبِيل.

(١)انظر: الإعلام: ١/ ٣٣٧-٣٤٨.

(٢) انظر: المصدر السابق : ١ / ٣٤٨-٣٧٩ .

وَأما الضَّرْب الآخر وَهُوَ متواتر مَعْنَاهُ دون لَفظه فَيحصل الْعلم أَيْضا بذلك الْمَعْنى، وَذَلِكَ مثل أَن تتوارد رِوَايَات كَثِيرَة من أَخْبَار الْآحَاد الصِّحَاح على معنى وَاحِد بِأَلْفَاظ مُتَغَايِرَة، وحكايات فإننا نجزم من خلال ذلك بوقوع هذه الأمور والمعجزات. (١)

بعض الكرامات الخارقة للعادات التي ظهرت لأصحابه وتابعيهم:

يورد القرطبي هنا بعض المعجزات التي ظهرت لأصحابه وهدفه من هذا الأمر بيان أمرين للنصارى :

أَحدهمَا: أن مَا ظهر على أَصْحَابه، وعَلى أهل دينه من الكرامات، هُوَ آيَة لرَسُول الله ﷺ من أعظم الْآيَات، وَذَلِكَ أَن الله تَعَالَى إذا أكْرم وَاحِدًا مِنْهُم بِأَن خرق لَهُ عَادَة، فَإِن ذَلِك يدل على أَنه على الْحق، وَأَن دينه حق إِذْ لَو كَانَ مُبْطلاً فِي دينه مُتبعاً لمبطل فِي دَعْوَاهُ كَاذِب فِي قَوْله على الله ؛ لما أكْرمه الله، وَلَا أكْرم من اتبع دينه، فعلى هَذَا نقُول إن كل كَرَامَة لولى إِنَّمَا هِيَ آيَة للنَّبِي الَّذِي يتبعهُ ذَلِك الْوَلِيّ فَهَذَا أحد الغرضين وَهُوَ أهمهما.(٢)

وَالْغَرَض الثَّانِي:

أَن أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ، وَإِن كَانُوا قد أكْرمهم الله بكرامات خارقة للعادات، فَلَا يعْتَقد فيهم أَنهم أَنْبيَاء كَمَا فعلت النَّصَارَى بالحواريين، بل يعْتَقد فيهم أَنهم أَوْلِيَاء الله، وَأَصْحَاب رَسُول الله تلقوا عَن رَسُول الله ﷺ شَرعه، وبلغوا عَنهُ قَوْله، وَفعله فبذلوا فِي إِظْهَار دين الله أنفسهم وَأَمْوَالهمْ ؛ حَتَّى أظهر الله على كل الْأَدْيَان دينهم وَإِيمَانهمْ، كَمَا قَالَ الله تَعَالَى فيهم ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾** ﴾ **[الفتح: ٢٩]**.(٣)

---

(١) انظر : الإعلام : ١ / ٣٨٠ –٣٨١.

(٢) انظر : المصدر السابق ١ / ٣٨١ .

(٣) انظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٨١ .

المطلب الثالث: عقيدة الصلب والفداء.

كثيرة هي المغالطات والتناقضات التي تكتنف العقائد النصرانية بشكل عام، ولعل من أخطرها عقيدة الصلب والفداء، تلك العقيدة التي ترتب عليها الكثير من العقائد الباطلة، كالشرك بالله تعالى بنسبة الولد له، الذي تجسد على شكل إنسان، بعد أن حل اللاهوت في الناسوت كما يقولون، لتنفيذ عقيدة الفداء من معصية وخطيئة آدم عليه السلام، الذي توارثتها الأجيال من بعده، حتى كان الخلاص على يد المسيح عليه السلام (ابن الله كما يعتقد النصارى).

ورغم تعارض مفهوم الصلب والفداء مع العقل والمنطق بداية، ورغم بيان عوارها وبطلانها من الأساس، إلا أنه لا بد من ذكر هذا المفهوم عند النصارى، ومناقشة النصوص حسب ما ورد في أناجيلهم وكتبهم المقدسة، ليثبت زيف ما يعتقدون، وبطلان ما يؤمنون.

أولاً: تعريف الصلب والفداء.

هو اعتقاد النصارى بأن المسيح صلب ليكفر الخطيئة الأزلية، وهي التي ارتكبها آدم تحت تأثير زوجته حينما أكلا من الشجرة المحرمة، وانتقلت الخطيئة بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم القيامة، لولا أن افتداهم المسيح بدمه كفارة عن خطاياهم.

وأساس هذا الموضوع عند النصارى أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم، وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله الوحيد – عيسى عليه السلام كما يزعمون – ليموت على الصليب كفارة ونيابة عنهم، وبهذا العمل يكون الله قد جمع بين عدله ورحمته مع الإنسان وأخذ العدل حقه، وظهرت رحمة الله تعالى. (١)

---

(١)اقتباس من الشبكة العنكبوتية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، تاريخ الاقتباس ٢٠١٣/١١/٨م، www. tassel. com.

ثانياً: أهمية عقيدة الصلب والفداء عند النصارى:

نستطيع أن نقول: إن عقيدة الصلب والفداء في النصرانية، هي التي قادتهم للقول بألوهية المسيح، فتجسد الإله في المسيح –هذا الحدث العظيم–إنما كان من أجل أن يصلب الإله الابن، فداءً وتخليصاً للبشرية من خطيئة آدم.

ويصور لنا ذلك الإصلاحي البروستانتي الشهير توماس الأكويني (الملقب بالدكتور الملائكي) فيقول: "توجد أراء مختلفة' فيزعم البعض أن ابن الله كان سيتجسد حتى لو لم يخطئ آدم، ويرى البعض خلاف ذلك، ويبدو من الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني. . . فالكتاب يقول لنا دائما: إن خطيئة الإنسان الأول هي الدافع لتجسد ابن الله، وعليه يظهر أن هذا السر إنما رتبه الله كدواء للخطيئة؛ بحيث إنه لولا الخطيئة لما كان التجسد".[١]

ويقول جوردن مولتمان في كتابه الإله المصلوب: "إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب".[٢]

ثالثاً: نقد القرطبي لعقيدة الصلب والفداء.

١ – يقول القرطبي "أما قَوْلهم من رَحمته على النَّاس أَنه رضى بهرق دَمه عَنْهُم فِي خشيَة الصلب فتواقح لَا يفوه بِهِ من لَهُ من الْحيَاء أقل نصيب يَا عجبا كَيفَ يجترئ أَن ينْطق بِهَذِهِ القبائح عَاقل أم كَيفَ يرضى لنَفسِهِ بِمثل هَذِهالمخازي فَاضل وهلا كَانَ يرحم عباده بِأَن يغْفر لأبيهم وَلَا يحْتَاج إِلَى هَذَا كُله أَو لَيْسَ كَانَ يكون غفران الذَّنب أَهْون عَلَيْهِ ابْتِدَاء وأليق بالحكمة وَالرَّحْمَة والرأفة من أَن يُعَاقب من لم يجن ثمَّ ذَلِك المعاقب الَّذِي لم يجن الذَّنب ابْنه بل وَهُوَ عنْدكُمْنَفسهبإعتبار مَا حل فِيهِ مِنْهُ فَلم يرض من عُقُوبَة الذَّنب الَّذِي جناه آدم حَتَّى عاقب نَفسه أَو ابْنه" .(٣)

٢ –عدم توبة الله على آدم عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا بعد أَن صلب الْمَسِيح وَبِذَلِك تَكْذِيب كتب الْأَنْبِيَاء فَإِنَّهَا تقتضى أَن آدم بَكَى على خطيته ودعا الله تَعَالَى حَتَّى تَابَ عَلَيْهِ واجتباه ويلزمكم أَيْضا عَلَيْهِ أَن

---

(١) المسيح إنسان أو إله، المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان رئيس محكمة الاستئناف والجنايات العليا – كان مسيحياً فأسلم –، صفحة١٥٠، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ١٩٧٤، والطبعة الثانية ٢٠٠٤. .

(٢) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، لأحمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، صفحة ١٨–٢٠، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، نشر مجمع البحوث الإسلامية الأزهر ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م.

(٣) انظر : الإعلام : ١/ ٤١٠–٤١٢ .

يكون نوح وَإِبْرَاهِيم ومُوسَى وَمَا بَينهم من النَّبِيين عصاة بذنب آدم حَتَّى صلب عِيسَى وَحِينَئِذٍ غفر لَهُم ، وَقد صرح بعض أقستكم لَعنه الله أَن آدم وَجَمِيع وَلَده إِلَى زمَان عِيسَى كَانُوا كلهم ثاويين فِي الْجَحِيم بخطيئة أَبِيهِم حَتَّى فداهم عِيسَى بهرق دَمه فِي الْخَشَبَة فَلَمَّا صلب نزل جَهَنَّم وَأخرج مِنْهَا جَمِيعهم إِلَّا يهوذا الأشكريوث

فَانْظُر هَل يستجرئأحد على أَن يَقُول أَن نوحًا وَإِبْرَاهِيم الْخَلِيل ومُوسَى الكليم وَمن بَينهم من النَّبِيين مثل يَعْقُوب وَإِسْحَق وَغَيرهمَا من الْأَنْبَاء صلوَات الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ كلهم فِي نَار الْجَحِيم وَالْعَذَاب الْأَلِيم وَفِي السخط الْعَظِيم حَتَّى صلب الْإِلَه نَفسه وابنه ، فَانْظُر هَل سبّ الْأَنْبِيَاء بأقبح من هَذِه الشتائم أَو هَل تجرأ أحد قطّ أَن يَقُول على الله وعَلى رسله مثل هَذِه العظائم {وَيَوْم الْقِيَامَة ترى الَّذين كذبُوا على الله وُجُوههم مسودة أَلَيْسَ فِي جَهَنَّم مثوى للمتكبرين}(١)

٣ – إن أجمل وأعظم رد على هذه العقيدة الباطلة، ما جاء في القرآن الكريم، الذي بين زيف وبطلان هذه الدعوى، موضحاً خيوط المؤامرة على عيسى – عليه السلام – من قبل اليهود، الذين أرادوا الإيقاع به في الموت والقتل، من خلال المكر به، ولكن الله تعالى رد كيدهم في نحرهم، ونجى نبي الله من بين أيديهم.

والآيات تتكلم بوضوح وجلاء لا يحتاج معه إلى شرح أو توضيح﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾** ﴾ **[النساء: ١٥٧]**قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**﴾ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ. ﴿**وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ أَيْ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى غَيْرِهِ. وَقِيلَ: لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ شَخْصَهُ وَقَتَلُوا الَّذِي قَتَلُوهُ وَهُمْ شَاكُّونَ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ**﴾ أي معناه : اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ عَوَامَّهُمْ قَالُوا: قَتَلْنَا عِيسَى، وَقَالَ مَنْ عَايَنَ رَفْعَهُ إِلَى السَّمَاءِ: مَا قَتَلْنَاهُ. وَقِيلَ: اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ النُّسْطُورِيَّةَ مِنَ النَّصَارَى قَالُوا: صُلِبَ عِيسَى مِنْ جِهَةِ نَاسُوتِهِ لَا مِنْ جِهَةِ لَاهُوتِهِ. وَقَالَتِ الْمَلْكَانِيَّةُ: وَقَعَ الصَّلْبُ وَالْقَتْلُ عَلَى الْمَسِيحِ بِكَمَالِهِ نَاسُوتِهِوَلَاهُوتِهِ. وَقِيلَ: اخْتِلَافُهُمْ هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا صَاحِبَنَا فَأَيْنَ عِيسَى؟! وَإِنْ كَانَ هَذَا عِيسَى فَأَيْنَ صَاحِبُنَا؟!، وَقِيلَ: اخْتِلَافُهُمْ هُوَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: نَحْنُ قَتَلْنَاهُ، لِأَنَّ يَهُوذَا رَأْسَ الْيَهُودِ هُوَ الَّذِي سَعَى فِي قَتْلِهِ.، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى: بَلْ قَتَلْنَاهُ نَحْنُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا**﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ: الْمَعْنَى مَا قَتَلُوا ظَنَّهُمْ يَقِينَاً، كَقَوْلِكَ: قَتَلْتُهُ عِلْمًا إِذَا عَلِمْتَهُ عِلْمًا تَامًّا، فَالْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الظَّنِّ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا عِيسَى يَقِينًا لَقَالَ: وَمَا قَتَلُوهُ فَقَطْ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا الَّذِي شُبِّهَ لَهُمْ أَنَّهُ عِيسَى يَقِينًا، فَالْوَقْفُ عَلَى هَذَا عَلَى" يَقِيناً". وَقِيلَ: الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا عِيسَى (١).

وهنا يتبن لنا بطلان هذه العقيدة من الأساس، وأن كل ما ينسبونه إلى عيسى –عليه السلام –محض افتراء فقط ويدلل على ذلك رد عيسى ﷺ على سؤال الله له يوم القيامة (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فيرد عيسى قائلاً: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ **[المائدة: ١١٧]**، مع العلم أن من أدخل هذه العقيدة إلى الديانة المسيحية هو بولس والذي كان يهوديا حاقداً على المسيحية ثم تنصر وبدأ يبث أفكاره لهدم الديانة المسيحية.

المطلب الرابع: عودة المسيح.

أولاً: معنى عودة المسيح:

أي أن الله سبحانه وتعالى سوف ينزل المسيح ﷺ في آخر الزمان ؛ ليحكم بشريعة محمد ﷺ كما هو مبين في أحاديث آخر الزمان التي أخبر رسول الله ﷺ بها، وَلَا يَنْزِلُ بِشَرْعٍ مُبْتَدَأٍ، فَيَنْسَخُ بِهِ شَرِيعَتَنَا بَلْ يَنْزِلُ مُجَدِّدًا لِمَا دَرَسَ مِنْهَا متبعاً.

ثانياً: موقف النصارى من عودة المسيح ﷺ.

فالنصارى يؤمنون بعودة عيسى ﷺ في آخر الزمان، ولكنهم يقولون: بإنه سيرجع بروحه دون جسده، ودليله ما قاله بطرس: وَتَبعهُ بولس ؛ بِأَن عِيسَى لم يمت، وَأَنه رفع حَياً إِلَى السَّمَاء، وَأَنه سيرجع إِلَى الدُّنْيَا ؛ ليحارب أعداءه، وينتصر ويؤسس فِي الدُّنْيَا ملكاً كملك دَاوُود وَسليمَان فِي الزَّمَان الْقَدِيم، علم أَن الزَّمن إِذا طَال وَلم ينزل عِيسَى، سيسأل النَّاس مَتى يَوْم الرب ؟ أَي مَتى الْيَوْم الَّذِي سَيظْهر فِيهِ عِيسَى ليقيم الْملك الدنيوي ؟، لأَنهم طبقوا بالزور نبوءات التَّوْرَاة عَلَيْهِ، فَقَالَ فِي الإصحاح الثَّالِث من رسَالَته الثَّانِيَة: سَيَأْتِي فِي آخر الْأَيَّام قوم مستهزئين سالكين بِحَسب شهوات أنفسهم، وقائلين أَيْن هُوَ موعد مَجِيئه ؟ ؛ لِأَنَّهُ من حِين رقد الْآبَاء كل شَيْء بَاقٍ هَكَذَا، من بَدْء الخليقة، ورد بقوله لَا يخف عَلَيْكُم هَذَا الشَّيْء الْوَاحِد أَيهَا الأحباء أَن يَوْمًا وَاحِدًا عِنْد الرب كألف سنة وَألف سنة كَيَوْم وَاحِد، لَا يتباطأ الرب عَن وعده كمَا يحْسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا، وَالنَّصَارَى الْيَوْم طوائفهم الْعُظْمَى على أَن يَوْم الرب قريب، وَلَكِن لن ينزل عِيسَى بالجسد

---

(١) انظر : الإعلام :١ /٤١٧ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦ / ص ٩-١٠.

وَالروح بل بِالروحِ دون الْجَسَد. فعلى الرغم من أنهم يزعمون أنهم سيكونون في جيوش المسيح الحق ضد المسيح الدجال، فالله يعلم أنهم . بجميع طوائفهم . هم الذين هيأوا أنفسهم لكي يكونوا أول المصدقين بالدجال أليسهمالذين اعتنقوا عقيدة أن المسيح عيسى عليه السلام هو الإله القادر على كل شيء؟ والمسيح الدجال سيقول أنا المسيح الإله القادر على كل شيء، فما الذي سيكون مستغرباً في دعوة الدجال على مسامع النصارى الذين لا يستهجنون أن يتجسد، الإله في صورة إنسان خاصة وأنه لن يمنعهم . ومعهم اليهود . من مشاركته في فرض السيطرة النهائية على العالم باعتبارهم أتباعه لأنه المسيح المخلص والإله القدير.[١]

يقول دل ديورانت: "كان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم؛ هي: أنَّ المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض، وأنَّ كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة".[٢]

وعندما انعقد المجمع العالمي للكنائس النصرانية في (إفناستون) عام (١٩٥٤م)، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريرًا جاء فيه: "إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب اليهود، الذي لا نراه بوضوح فقط في كتاب العهد القديم، بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك".[٣]

ثالثاً – موقف القرطبي من عودة المسيح عليه السلام وهو موقف أهل السنة والجماعة:

نحن المسلمون لا نشك في خروج الدجال، وإن كنا لا نعلم موعده، ولكن مقصودنا هنا التنبيه على أن اليهود والنصارى يستعدون لخروجه، ومع ذلك فهو مسيح الضلالة الذي تعاقب به أمتي الضلالة، الذين تكبروا عنالإيمانبمحمد سيد الرسل عليه صلوات الله وسلامه' وفضلوا أن يبقوا على ديانات منسوخة ؛ لم تلبث أن تحولت إلى ديانات ممسوخة بالافتراء على الله والكذب على أنبياء الله. يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ **[آل عمران: ٧١]** وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٨٧].**

---

(١)انظر : الإعلام١ /٤٧٦ –٤٧٧.

(٢) قصة الحضارة: دل ديورانت، الجزء الثالث، صفحة ٢٩٠.

(٣)مجلة الأمل ، عدد (١٠٤) سنة (١٩٨٢م)

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ **[آل عمران: ٥٥]**.

يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية في معرض رده على النصارى:

وَالْمَعْنَى: إني رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ أَنْ تَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ.

والمفسرون لهم ثلاثة أقوال في معنى متوفيك:

١ – قال الحسن وابن جريج: مَعْنَى مُتَوَفِّيكَ قَابِضُكَ وَرَافِعُكَ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ، مِثْلَ تَوَفَّيْتُ مَالِي مِنْ فُلَانٍ أَيْ قَبَضْتُهُ.

٢ – قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: تَوَفَّى اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ، فَإِنَّهُ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُزُولُهُ وَقَتْلُهُ الدَّجَّالَ.

٣ – قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مُتَوَفِّيكَ قَابِضُكَ، وَمُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ وَاحِدٌ وَلَمْ يَمُتْ بَعْدُ. وَرَوَى ابْنُ طَلْحَةَ عَنِ ابن عباس معنى متوفيك مميتك. الربيع ابن أَنَسٍ: وَهِيَ وَفَاةُ نَوْمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ **[الأنعام: ٦٠]** أَيْ يُنِيمُكُمْ لِأَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا سُئِلَ: أَفِي الْجَنَّةِ نَوْمٌ؟ قَالَ: (لَا، النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ، وَالْجَنَّةُ لَا مَوْتَ فِيهَا)(١). وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ وَفَاةٍ، وَلَا نَوْمٍ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ، وَهُوَ الصَّحِيحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَهُ الضَّحَّاكُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: كَانَتِ الْقِصَّةُ لَمَّا أَرَادُوا قَتْلَ عِيسَى اجْتَمَعَ الْحَوَارِيُّونَ فِي غُرْفَةٍ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسِيحُ مِنْ مِشْكَاةِ الْغَرْفَةِ، فَأَخْبَرَ إِبْلِيسُ جَمْعَ الْيَهُودِ فَرَكِبَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ رَجُلٍ فَأَخَذُوا بَابَ الْغَرْفَةِ. فَقَالَ الْمَسِيحُ لِلْحَوَارِيِّينَ: أَيُّكُمْ يَخْرُجُ وَيُقْتَلُ وَيَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ مدرعة (٢) مِنْ صُوفٍ وَعِمَامَةً مِنْ صُوفٍ وَنَاوَلَهُ عُكَّازَهُ وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى، فَخَرَجَ عَلَى الْيَهُودِ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَسَاهُ اللَّهُ الرِّيشَ، وَأَلْبَسَهُ النُّورَ، وَقَطَعَ عَنْهُ لَذَّةَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، فَطَارَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ. وعَنِ ابْنِ

---

(١)صحيح، انظر مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، الجزء الثالث، صفحة ١٥٧٣، حديث رقم ٥٦٥٤، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥، انظر" شعب الإيمان " للبيهقي (٢ / ٣٦ / ٢)، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٣ / ١٧٤، ح ١٠٨٧.

(٢)المدرعة (بالكسر): الدراعة وهى ثوب من كتان.

عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سَيَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ عِيسَى: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ أَنَا. فَقَالَ: نَعَمْ أَنْتَ ذَاكَ، فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ شَبَهَ عِيسَى عليه السلام قَالَ: وَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ [١] كَانَتْ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ. قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبِيهَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ، وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: قَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللَّهُ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ. فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَتَلُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الصف: ١٤] أَيْ آمَنَ آبَاؤُهُمْ فِي زَمَنِ عِيسَى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ بِإِظْهَارِ دِينِهِمْ عَلَى دِينِ الْكُفَّارِ ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ". فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ [٢] فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُوَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ)[٣]. وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ [٤] حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا) وَلَا يَنْزِلُ بِشَرْعٍ مُبْتَدَأٍ فَيَنْسَخُ بِهِ شَرِيعَتَنَا بَلْ يَنْزِلُ مُجَدِّدًا لِمَا دَرَسَ مِنْهَا متبعا. كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ). وَفِي رِوَايَةٍ: (فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ). قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: تَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟. قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ. [٥]

---

(١)الروزنة: الكوة (الفتحة في الجدار).

(٢)القلاص: بالكسر جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

(٣) صحيح مسلم، ج١ / ١٣٥، ح٢٤٢.

(٤) فج الروحاء: طريق بين مكة والمدينة، كان طريق رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام الحج. (عن معجم ياقوت).

(٥) المرجع السابق، ج١ /١٣٦/ ٢٤٦

المبحث الثاني
عقيدتهم في الملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر ومـوقف القرطبي منهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: عقيدتهم في الملائكة وموقف القرطبي منها:

المطلب الثاني: عقيدة النصارى من الإيمان بالكتب السماوية وموقف القرطبي منها:

المطلب الثالث: عقيدتهم في اليوم الآخر وموقف القرطبي منها.

المطلب الأول: عقيدتهم في الملائكة وموقف القرطبي منها

الملائكة عالم غير عالم الإنس والجن، وهو عالم كريم كله طهر وصفاء ونقاء، وهم كرام أتقياء، يعبدون الله حق العبادة، ويقومون بتنفيذ ما يأمرهم به، ولا يعصون الله أبداً.

أولاً – **عقيدة النصارى في الإيمان بالملائكة:**

أ – **معنى الملائكة في الاصطلاح:**

هم كائنات روحية تمثل خليقة الله الروحية غير المنظورة ، وقد خلقوا قبل العالم ، وهميؤلفون جنساً خاصاً ، ولا يتناسلون ،ومكان إقامتهم غير محسوس ، وغير مادي ،بل هو عقلي، ولهم أجساد أثيرية غير قابلة للفساد ، أو الموت ،وهي كائنات محدودة ، بمعنى كل منهم يوجدفي مكان ما، ولا يوجد في مكان آخر ،ولكنه مع ذلك فالملاك لا يوجد مرتبطاً بمكان معين، ولكنه ينتقل في سهولة من مكان إلى آخر، ولذلك فمن العبث البحث عن المكان الذي فيه.(١)

من خلال التعريف يتبين لنا بعض الأمور التي تظهر اعتقادهم في الملائكة وهي موجودة في كتبهم المقدسة:

- أنهم خلقوا قبل وجود البشر على الأرض: بدليل حين خلق الله الإنسان حاول كائن خبيث كان قبله أن يخربه، ويبيده وكان هذا المخرب ملاكاً ساقطاً. (٢)
- اختلافهم في الملائكة، وهل هي ذات أجساد أم لا ؟؛ بسبب عدم ورود نص صريح في الكتاب المقدس يبين ذلك، فقال بعضهم: إن لهم أجساداً لطيفة جداً مثل النور والهواء لا نقدر أن نراها، واستدلوا على ذلك بأدلة عقليه منها:

١– إذا أمكن وجود مادة كالهواء الذي نتنفسه، ولا نقدر أن نراه فلماذا لا يكون للخلائق العاقلةالسامية أجساداً روحية غير منظورة تعمل بها، كما يعمل الإنسان بجسده الحيواني الكثيف. (٣)

– **قول بولس:** (يوجد جسم حيواني وجسم روحاني)(١) وأوضح الفرق بينهما .

---

(١)انظر : عالم الملائكة، د. تاوضاروس، ص٧.

(٢) تكوين ٣ / ١– ٧.

(٣) انظر: الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث(اليهودية – النصرانية – الإسلام): مي بنت حسن محمد المدهون، ص ١٨١ بتصرف.

٣ – **قول عيسى عليه السلام:** عن أبناء القيامة أنهم يصيرون مثل الملائكة، وبما أننا نعلم أن أبناء القيامة يكون لهم أجسام روحية نستنتج أن الملائكة هم أيضاً كذلك، "لأنهم في الجنة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء".[٢]

٤ – الاعتقاد أن للملائكة أجساداً روحية، أفضل من الاعتقاد أنهم جوهر بسيط، أو أرواح بالمعنى المفهوم في شأن الله.[٣]

٥– حكم بمجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧م أن للملائكة أجساداً لطيفة من النار، أو الهواء استناداً على بعض نصوص الكتاب المقدس مثل:

(وإِذَا زَلْزَلَةٌ عظيمةٌ حدثَت لأَنَّ ملاَك الرب نزلَ من السماءِ وجاءَ ودحرج الْحجر عنِ الْبابِ وجلَس علَيه وكَانَ منظَره كَالْبرقِ ولباسه أَبيض كَالثَّلْجِ) [٤]. (وإِذَا ملاَك الرب أَقْبلَ ونور أَضاءَ في الْبيت فَضرب جنب بطْرس وأَيقَظَه قَائلاً: «قُم عاجِلاً». فَسقَطَت السلْسِلَتان من يديه)[٥] (ثُم رأَيت ملاَكاً آخر قَوِياً نازِلاً من السماءِ متسربِلاً بِسحابة وعلَى رأْسه قَوس قُزح، ووجهه كَالشمسِ، ورِجلاَه كَعمودي نارٍ).[٦]

القول المخالف استند إلى:

١– المجمع(اللاتراني) الذي عقد عام(١٢١٥م) الذي نادى بأن الملائكة بدون أجساد، ووافقه في ذلك كثيرون من علماء اللاهوت، وقالوا إن الأجساد التي ظهروا فيها أحياناً غير حقيقية.[٧]

- أعدادهم محدودة ؛ حيث تعتقد النصارى أن عدد الملائكة ثابت لا يزيد ولا ينقص ، وهم كثر لا يعدون، فقد جاء(بلْ قَد أَتيتم إِلَى جبلِ صهيونَ، وإِلَى مدينة اللهِ الْحي: أُورشليم السماوِية، وإِلَى ربوات هم محفلُ ملاَئكَة)[٨]

---

(١)الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس١٥ / ٤٠ – ٥٠.
(٢)متى ٢٢: ٣٠.
(٣)الملائكة والجن دراسة مقارنة: مي المدهون، ص ١٨٢. ٩
(٤)متى ٢٨: ٢–٣.
(٥)أعمال الرسل ١٢: ٧.
(٦)رؤيا يوحنا ١٠: ١.
(٧)علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، ص ٣٠٧.
(٨)سفر العبرانيين ١٢: ٢٢.

- لهم مكان محدد الملائكة كائنات محدودة ،فإن كلاً منهم يوجد في مكان ما ولا يوجد في مكان آخر، ولكن مع ذلك فالملائكة لا يوجد مرتبطاً بمكان معين، ولكنه ينتقل في سهولة من مكان لآخر. والكتاب المقدس كثيراً ما يشير إلى السماء كمكان للملائكة، ولكنه يقص من هذا أن العالم كله مجال لتحرك الملائكة، وليسوا مرتبطين بمكان ما مثل البشر الذين يرتبطون بالأرض. "وهم لا يوجدون في نفس الوقت في كل مكان، فهذا من خصائص الله_، فعندما يكون الملاك في السماء لا يكون في نفس الوقت على الأرض، وعندما يرسل من قبل الله إلى الأرض لا يكون في نفس الوقت في السماء وهو كائن متحرك دائماً ". وهناك أنواع من الملائكة تسمى بالسرافيموالكروبيم دائماً في السماء تسبح الله‘ فهم رتب مختلفة لارتفاع بعضهم على بعض من حيث جلال أنوارهم وقوتهم التي يتسامون بها عن الآخرين.[١]

ب – الملائكة في الكتاب المقدس:

وقد وردت في الكتاب المقدس من الأدلة ما يثبت وجودهم، ومن هذه الأمثلة التي تثبت وجودهم ما يلي:

(لأَنْ في ستة أَيامٍ صنع الرب السماء والأرض والْبحر وكُلَّ ما فيها واستراحفي الْيومِ السابِعِ لذَلك بارك الرب يوم السبت وقدسه)[٢]فيه إشارة غير مباشرة إلى خلق الملائكة، وأصل خلقهم.

(في الْبدءِ خلَقاللهُ السماوات والأَرض. وكَانت الأَرض خربةً وخاليةً وعلَى وجه الْغمرِ ظُلْمةٌ وروح اللهِ يرِف علَى وجه الْمياه. وقَالَ اللهُ: "ليكُن نور" فَكَانَ نور.)[٣] فيه إشارة مباشرة إلى خلق الملائكة.

رسالة بولس إلى كلوسي يقول فيها: (فَإنه فيه خلقا لْكُل ما في السماوات وما علَى الأَرضِ، ما يرى وما لاَ يرى، سواءٌ كَانَ عروشاً أم سيادات أم رِياسات أم سلاَطين. الْكُل بِه ولَه قَد خلق).[٤]

(بارِكُوا الرب يا ملاَئكَته الْمقْتدرِين قُوةً الْفَاعلين أَمره عند سماعِ صوت كَلاَمه).[١]

---

(١)انظر: الملائكة والجن دراسة مقارنة ص ١٨٤.

(٢)سفر الخروج، ٢: ١١.

(٣)سفر التكوين، ١: ١-٣.

(٤) كولوسي، ١: ١٦.

(سبحوه ياجميع ملاَئكَته. سبحوه يا كُلَّ جنوده).[2]

وذكر العهد الجديد وجود ملائكة فعلم المسيح أن الملائكة يفرحون بالخطاة متى تابوا(هكَذَا أَقُولُ لَكُم يكُونَ فرح قُدام ملاَئكَة اللهِ بِخاطئ واحد يتوب).[3]

وأنه متى أتى ثانية تصحبه كل الملائكة (ومتى جاءَ ابن الإنسان في مجده وجميع الْملاَئكَة الْقديسِين معه فَحينئذ يجلس علَى كُرسي مجده.)[4] وأن من أنكره على الأرض قدام الناس ينكره قدام ملائكة الله (وأَقُولُ لَكُم: كُل اعترف بِي قُدام الناسِ يعترِف بِه ابن الإِنسان قُدام ملاَئكَة اللهِ. ومن أَنكَرنِي قُدام الناس ينكَر قُدام ملاَئكَة اللهِ.).[5]

وفي أقوال الرسل عبارات كثيرة تدل على وجود هذه الطبقة السامية من الكائنات.[6]

ج- عقيدة القرطبي في الملائكة وهي عقيدة أهل السنة:

يمكننا تلخيص عقيدة القرطبي في الملائكة بما يلي:

- الإيمان بجميع الملائكة، ودليله قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾** ﴾ **[البقرة: ٩٧ - ٩٨].**

قال تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾** ﴾ **[البقرة: ٢٨٥].**

وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الملائكة وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ.

---

(١)سفر المزامير، ١٠٣: ٢٠.

(٢)المزامير، ١٤٨: ٢، وانظر عالم الملائكة، د. تاوضاروس' ص ١٢.

(٣)لوقا، ١٥: ١٠.

(٤) متى، ٢٥: ٣١.

(٥)لوقا، ١٢: ٨ – ٩.

(٦) انظر: الملائكة والجن دراسة مقارنة، مي المدهون، ص ١٨٦، وانظر علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، ص٣٠٦.

وفي هذه الآيات رد على كل من اليهود والنصارى؛ إذ إن اليهود عادوا جبريل عليه السلام كما بيناه سابقاً في تفسير الآيات، كما أن النصارى يقدسون جبريل عليه السلام ويعبدونه ويعدونه إلهاً لأنه عندهم من الأقانيم الثلاثة وهذا باطل لأن جبريل عليه السلام أحد الملائكة. (١)

- بيان مهمة الوحي وهي النزول بالرسالات على أنبياء الله ودليله قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾** ﴾ **[الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦].**

قال القرطبي في تفسير هذه الآيات: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾** ﴾ عَادَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مِنْ إِعْرَاضِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْقُرْآنِ. ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾" وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَيْكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ" أَيْ يَتْلُوهُ عَلَيْكَ فَيَعِيهُ قلبك. وقيل: ليثبت قَلْبِكَ. ﴿ **لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾** ﴾ أَيْ لِئَلَّا يَقُولُوا لَسْنَا نَفْهَمُ مَا تَقُولُ. ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾** ﴾ أَيْ وَإِنَّ ذِكْرَ نُزُولِهِ لَفِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ. وَقِيلَ: أَيْ إِنَّ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ".

وفي هذه الآية رد على النصارى الذين يؤلهون جبريل – عليه السلام –، حيث بين الله تعالى فيها أن مهمة الروح القدس هي التنزل بالوحي من عند الله تعالى على أنبيائه. (٢)

(١)انظر: تفسير القرطبي: : ٣ / ٤٢٧ – ٤٢٩.

(٢) المصدر السابق: ١٣ / ١٣٨.

المطلب الثاني: عقيدة النصارى من الإيمان بالكتب السماوية وموقف القرطبي منها

أولاً : عقيدة النصارى في الكتب السماوية وموقف القرطبي منها:

يبين القرطبي عقيدة النصارى في الكتب السماوية من تقديس للكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) ويقسمها على النحو التالي :

١ – عقيدتهم في التوراة والإنجيل:

أ – أنهما من أعظم الكتب عندهم الَّتِي يرجعون إِلَيْهَا ويعولون فِي أحكامهم عَلَيْهَا.

ب – كفاهما شرفاً وشهرةً أَنَّهُمَا كَلَام الْملك الْجَلِيل وتدعون أَنكُمْ تناقلتموهما جيلاً بعد جيلِ.

ج – لم يطرأ عليهما التغيير والتبديل ولم يتم نسخها بالقرآن الكريم.[١]

٢: استدلالهم على عدم تحريف التوراة والإنجيل:

أ – الأدلة من الكتاب المقدس:

يستدلون عل عدم وقوع التحريف في الكتاب المقدس بما يلي:

أ – بعض أقوال السيد المسيح في الكتاب المقدس:

"فاني أقول لكم، إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " [٢]

"الحق أقول لكم، لا يمضى هذا الجيل، حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" [٣]، "ولا يمكن أن ينقض المكتوب" [٤]، "**كل الكتاب هو موحي به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر**"[٥]" .

---

(١) الإعلام : ١ /١٨٧.

(٢) إنجيل متى: ٨: ١٥

(٣) المصدر السابق: ٢٤: ٣٤ – ٣٥.

(٤) إنجيل يوحنا٣٥: ١٠.

(٥) تيموثاوس ٣: ١٦.

ب – التحذيرات والإنذارات لمن يمس الكتاب المقدس بالزيادة أو النقصان و توقيع الجزاء الصارم على من يحاول أن يزيد أو يحذف شيئاً منه.

إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المكتوب في هذا الكتاب". [1]

٣ – موقف القرطبي من عقيدتهم في التوراة والإنجيل والرد عليهم بأنهما محرفتان:

وَأَنا أبين إِن شَاءَ الله أَن نقلهما إِنَّمَا كَانَ بطرِيق الْآحَاد، وَأَن الْغَلَط والسهو يجوز على ناقليهما، وسآتي مِنْهُمَا بِبُطْلَان المُرَاد، وأذكر إِن شَاءَ الله بعض مَا وَقع فيهمَا من التَّنَاقُض، والتحريف وَالْقلب والتصحيف، وأنبه على قَبِيح مَا تنسبونه فيهمَا إِلَى الله من القَوْل السفساف السخيف، وَمَا تنتقصون بِهِ الْأَنْبِيَاء أولى الْفضل والتشريف بحول الله تَعَالَى وَحسن عونه.

وأبدأ بِالتَّوْرَاةِ لكَونهَا مُقَدّمَة فِي الرُّتْبَة وَالزَّمَان ومعترفا بهَا عِنْد أولى الْأَدْيَان وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَان[2]

أ: موقفه من التوراة والتحريف الذي وقع فيها وهو قسمان:

قال تعالى: عن اليهود ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾** ﴾ **[المائدة: ١٣].**

ومعنى الآية: فبنقضهم ميثاقهم عذبناهم بالجزية، وفي رواية بالمسخ، وجعلنا قلوبهم صلبة لا تعي خيراً، ويتأولون التوراة على غير تأويلها، ويلقونه إلى العوام وقيل بل يبدلون أحرفه حرفاً مكان حرف، وذلك أنهم غيروا صفة النبي ﷺ وآية الرجم، ونَسُوا عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.، وَبَيَانِ نَعْتِهِ، ولا تزال يامحمد تقف على خيانتهم لك، والتي تتمثل بنقضهم الْعَهْدَ الذي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –' وَمُظَاهَرَتَهُمُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، كَيَوْمِ الْأَحْزَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَمِّهِمْ بِقَتْلِهِ وَسَبِّهِ. (إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) لَمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ مَا دَامَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ وَهُمْ أَهْلُ الذِّمَّةِ. [3]

---

(١)سفر الرؤيا: ٢٢: ١٨ – ١٩.

(٢) الإعلام: ١ / ١٨٧.

(٣)انظر : تفسير القرطبي: ج٦ / ١١٦.

أ – تحريفها:

والأدلة على وقوع التحريف في التوراة كثير منها:

١ – قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء: ٤٦].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُحَرِّفُونَ كَلِمَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –' أَوْ مَا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَيْسَ يُحَرِّفُونَ جَمِيعَ الْكَلَامِ، وَمَعْنَى ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. وَذَمَّهُمُ اللَّهُ – تَعَالَى– بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يفعلونه متعمدين. وقيل: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ يَعْنِي صِفَةَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ أَيْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ وَعَصَيْنَا أَمْرَكَ. ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ قَالَ ابن عباس: " كانوا يقولون النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ، هَذَا مُرَادُهُمْ– لَعَنَهُمُ اللَّهُ–، وَهُمْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ مَكْرُوهًا وَلَا أَذًى. وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: " مَعْنَاهُ غَيْرَ مُسْمَعٍ مِنْكَ، أَيْ مَقْبُولٍ وَلَا مُجَابٍ إِلَى مَا تَقُولُ". وَمَعْنَى (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ) أَيْ: يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْحَقِّ أَيْ: يُمِيلُونَهَا إِلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وأصل اللي القتل' (وَطَعْناً أَيْ يطعنون في الذين، أَيْ يَقُولُونَ لِأَصْحَابِهِمْ لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَدَرَى أَنَّنَا نَسُبُّهُ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ مِنْ عَلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ هذا القول. ومعنى (أَقْوَمَ) أصوب لهمفِي الرَّأْيِ(فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) أَي إِلَّا إِيمَانًا قَلِيلًا لَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ اسْمَ الْإِيمَانِ.[١]

٢ – أن الله تعالى بعث عيسى عليه السلام بعد موسى عليه السلام وأنزل معه شريعة جديدة وكتاباً جديداً.

أسباب تحريف التوراة:

ويرجع تحريف التوراة إلى عدد من الأسباب سأقوم بذكرها بشيء من الاختصار خوفاً من الإطالة في البحث وهذه الأسباب هي:

– أَنَّهَا لم تتْرك على مَا كَانَت فِي الألواح الَّتِي كتبهَا الله تَعَالَى لمُوسَى، وَلَا على مَا انتسخها لَهُم مُوسَى، بل زيد فِيهَا، والدليل على ذلك ما ورد في آخر السفر الخامس: " أن مُوسَى توفى فِي أَرض موآب بِإِزَاءِ بَيت فغور وَلم يعرف إِنْسَان مَوضِع قَبره إِلَى الْيَوْم وَكَانَ قد أَتَى على مُوسَى إِذْ

(١)انظر: تفسير القرطبي: ٥ /٢٤٣ – ٢٤٤.

توفى مائَة وَعِشْرُونَ سنة وَلم يضعف بَصَره وَلم يتشيخ وَجهه وَبكى بَنو إِسْرَائِيل على مُوسَى ثَلَاثُونَ يَوْمًا فِي عريب موآب"([1]).

وهذا الأمر محرف لسببين:

أولاهما: أنه لا يشك أحد أن هَذَا التَّارِيخ، وَهَذِه الْوَفَاة لَيست مِمَّا أنزل الله على مُوسَى، وَلَا مِمَّا كتبهَا مُوسَى عَن نَفسه، وَإِنَّمَا هِيَ من إِثْبَات من أَرَادَ أَن يثبتها بعد وَفَاة مُوسَى بزَمَان.

أخرهما: قَوْله وَلم يعرف إِنْسَان مَوضِع قَبره إِلَى الْيَوْم ؛ يُرِيد بِهِ الْيَوْم الَّذِي كتب فِيهِ هَذَا الهذيان والكذب. [٢]

٢ – الحكايات الرَّكِيكَة المنسوبة إلى الله تعالى، والَّتِي يحكى فِيهَا عَن الْأَنْبِيَاء الأمور الَّتِي لَا يَلِيق ذكرهَا بسفلة النَّاس فما بالك بالأنبياء، وهم أفضل الخلق على الإطلاق.

والدليل على ذلك ما تم كتابته في السفر الاول سفر البدء "أَنه كثيراً يقول فيه وكلم الرب مُوسَى "وَقَالَ لَهُ: "اقبض حِسَاب بني جرشون" " وكلم الرب مُوسَى" وَقَالَ لَهُ " كلم بني إِسْرَائِيل" وَمثل هَذَا كثير.

وَهَذَا يدلل على:

أ – أَنه لَيْسَ مِمَّا قَالَه الرب جلّ ذكره لمُوسَى، وَلَا مِمَّا قَالَه مُوسَى لَهُم أَعنِي لفظ "وكلم الرب مُوسَى وَقَالَ لَهُ" وَمَا أشبهه من لفظ الحكاية عَنهُ، وإنما هُوَ شَيْء حكى عَنهُ بعد انقراضه، وأضيف إلى كَلَامالله.

ب – أنهم لَا يعْرفُونَ من الحاكي، وَإِذا جَازَ مثل هَذَا، وَلَا يَشْعُرُونَ بِهِ جَازَ أَن يكون أَكْثَرهَا مغيراً ومبدلاً. [٣]

٣– اعتراف الْيَهُود بِأَن السّبْعين كوهاناً اجْتَمعُوا على تَبْدِيل ثَلَاثَة عشر حرفا من التَّوْرَاة، وَذَلِكَ قبل الْمَسِيح فِي زمَان القياصرة، وَمن اجترأ على تَبْدِيل حرف من كتاب الله، وتحريفه، فَلَا يوثق بِالَّذِي

([1]) الإعلام ١ /١٨٨.

(٢) انظر : الإعلام: ١ /١٨٨.

(٣) انظر: المصدر السابق :١ / ١٨٩.

فِي يَده مِمَّا يدعى أَنه كتاب الله ؛ لعدم الثِّقَة بِهِ، ولقلة مبالاته بِالدّينِ، وَأَيْضًا فَلَعَلَّهُ قد حرفه كُله أَو أَكْثَره. (١)

٤ – إقرارهم أَن طَائِفَة مِنْهُم يُقَال لَهُم السامرية حرفوا التَّوْرَاة تحريفاً بَيناً كثيراً، والسامرية يدعونَ عَلَيْهِم مثل ذَلِك التحريف. (٢)

٥– زعم النصارى أن الْيَهُود حرفوا فِي التَّوْرَاة التَّارِيخ، ويزعمون أَنهم نَقَصُوا من تَارِيخ آدم – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – ألف سنة وَنَحْو الْمِائَتَيْنِ. (٣)

كل هذه الأمور والاحتمالات ترجح حصول التحريف في التوراة.

شبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى:

فإن اعترضوا قائلين: إن هذه التوراة لم تكن محرفة، والدليل على ذلك أن أنبياء بني إسرائيل بعد موسى يحكمون بِالتَّوْرَاةِ، ويرجعون إِلَيْهَا وَاحِدًا بعد وَاحِد إِلَى زمن يحيى وَعِيسَى، ثمَّ بعد ذَلِك تناقلها النَّصَارَى، كَمَا تناقلها الْيَهُود خلفاً عَن سلف إِلَى الْيَوْم، وَإِن جَازَ تطرق التحريف إِلَى مَا هَذَا سَبيله فَيلْزم، عَلَيْهِ أَن يحكم الْأَنْبِيَاء بِالْبَاطِلِ، وَيلْزم عَلَيْهِ أَيْضا أَن يقرُّوا على الْبَاطِل غَيرهم، وَهَذَا كُله بَاطِل على الْأَنْبِيَاء، وَيلْزم عَلَيْهِ أَيْضا أَن لَا يحصل الْعلم بِخَبَر متواتر، وَلَا يوثق بِكِتَاب يدعى أَنه جَاءَ عَن نَبِي. (٤)

نرد عليهم بعدد من الأمور:

أ – عدم تعيين زمن وُقُوع التحريف فِيهَا، وكذا عدم تعيين القائم بالتحريف فيها وَلَا من ألحق بهَا شَيْئا، فَيحْتَمل أَن يَقع التحريف فِيهَا قبلهم، أَو بعدهمْ، وَإِنَّمَا أبدينا تِلْكَ الاحتمالات ؛ ليعلم أَن الَّذِي فِي نفوسكم من الثِّقَة بهَا إِنَّمَا هُوَ اعتقاد جزم وَلَيْسَ بِعلم. وَمِمَّا يدل على قبُول تِلْكَ الاحتمالات، وَأَنَّهَا قادحة فِي دَعْوَى الْعلم بسلامتها أَنَّهَا لم تقرعلى مَا تلقيت من مُوسَى ؛ بل زيد فِيهَا ما لم يتلق عَن مُوسَى مثل الَّذِي حكيناه من ذكر وَفَاته، وحزن بني إِسْرَائِيل، وحكاية قَول كلم الله مُوسَى، وَهَذَا

(١)انظر : المصدر نفسه :: ١ /١٩٠ –١٩١.

(٢)انظر : المصدر نفسه: ١ /١٩١.

(٣)انظر : الإعلام: ١ / ١٩١.

(٤) المصدر السابق:١ /١٩١.

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٩١.

يعلم مِنْهُ على الْقطع أَن الله لم يقلهُ لمُوسَى وَلَا مُوسَى قَالَه عَن نَفسه، يعلم ذَلِك من وقف عَلَيْهِ، وتتبعه بضرورة مساق الْكَلَام وَلَا بُد، فَالَّذِي زَاد ذَلِك لَعَلَّه هو الَّذِي وَقع الْخلَل من جِهَته (٢)

ب- حكم الْأَنْبِيَاء بهَا فَلَيْسَ فِيهِ حجَّة لإمكان حمل هذا الأمر على أنهم كَانُوا يحكمون بِمَا كَانَ الله يعلمهُمْ بِمَا يُوَافق شَرِيعَة مُوسَى وَلَا يُخَالِفهَا، وَلَو سلمنَا أَنهم كَانُوا يحكمون بهَا فَنَقُول: كل شَيْء حكم بِهِ الْأَنْبِيَاء من التَّوْرَاة فَلَيْسَ بمحرف، وَأما مَا لم يحكموا بِهِ مِنْهَا، فَلَعَلَّهُ الَّذِي حرف مثل الْأَخْبَار الَّتِي ذكرناها آنفاً. (١)

الشبهة الثانية:

قولهم: يلزم من هذا التحريف أَن يقر الْأَنْبِيَاء على الْخَطَأ، ويتحدثوا بِالْكَذِبِ فَإِنَّهُم كَانُوا يتحدثون بهَا.(٢)

نرد عليهم قُائلين:

أ – لَيْسَ بكاذب من حكى شَيْئا يعْتَقد صِحَّته لَا يتَعَلَّق بِهِ حكم الله تَعَالَى، وَإِن كَانَ ذَلِك الْخَبَر فِي نَفسه مُخَالفاً لما فِي الْوُجُود، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يحْكى عَن اعتقاده، وَهُوَ حق وَإِنَّمَا الْكَاذِب الَّذِي يخبر عَن الشَّيْء بِخِلَاف مَا هُوَ عَلَيْهِ من الْعلم بذلك، وَهُوَ حد الْكَذِب عندنَا وَحَقِيقَته(٣).

ب – يجوز الخطأ على الأنبياء فِي حِكَايَة الْأَخْبَار الَّتِي لَا يتَعَلَّق بهَا حكم وَأما مَا تعلق بِهِ حكممِنْهَا، فَلَا يجوز ذَلِك إِذْ الْأَنْبِيَاء معصومون فِيمَا يبلغونه من الْأَحْكَام عَن الله تَعَالَى، وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا حذراً من أَن ننسب إِلَى الله تَعَالَى مَا لَا يَلِيق بجلاله أَن ينزله فِي كِتَابه، وَلَا أَن يُنَاجِي بِهِ صفوة أحبابه من الْفَوَاحِش والفجور الَّتِي حكوها فِي التَّوْرَاة و وَادعوا أَنه فِيهَا مسطور مَعَ أَنه لَيْسَ فِي ذكرهَا فَائِدَة بل هِيَ بِكُل ضَلَالَة عَائِدَة[٤].

ج – تنزه مُوسَى والأنبياء بعده – صلوَات الله عَلَيْهِم – عَن ذَلِك الْكَلَام الغث الركيك الَّذِي لَو حكى مثله عَن بعض السفلة لأنف مِنْهُ، واستحى مِنْهُ، وَلما كَانَ يَنْبَغِي لعاقل أَن يلْتَفت ويصغى إِلَيْهِ، ولكان يجب عَلَيْهِ أَن يعرض عَنهُ، وينكره إِذا سَمعه هَذَا إِذا كَانَ محكياً عَنالسفلة فَكيف إِذا حَكَاهُ الله

---

(١) انظر: الإعلام: ١ /١٩٢.

(٢) انظر :المصدر السابق: ١ / ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه١ /١٩٢.

(٤)المصدر نفسه ١ /١٩٢.

عَن نَفسه أَو عَن خيرته من خلقه ؟ الَّذين برأهم الله عَن الْكَبَائِر والنقائص الَّتِي تنَاقض نبوتهم، فهم أكْرم الْخلق عَلَيْهِ وأحظاهم لَدَيْهِ[1].

د – تحريم الله تَعَالَى الْفَوَاحِش مَا ظهر مِنْهَا وَمَا بطن والغيبة والبهتان، ثمَّ يتعامل بهَا مَعَ أكْرم الْخلق عَلَيْهِ فِي نُفُوسهم وذراريهم وبناتهم، وينسبها إِلَيْهِم، ويشيعها أَبَد الآبدين عَلَيْهِم، هَذَا مِمَّا لَا يَلِيق بِجلَال الله تَعَالَى وَالْقَائِل بِوُقُوع هَذَا مستهزئ مفتر على الله[2].

ه – ثمَّ نقُول لَو سلمنَا أَنَّهَا لم تحرف فِي زمَان الْأَنْبِيَاء، لأمكن أَن نقُول: فَلَعَلَّهُ حرف بعدهم، وذلك بعد وقْعَة طيطش حَيْثُ أفناهم، وَالَّذين تنصرُوا مِنْهُم عدد يسير لَا تقوم الْحجَّة بقَوْلهمْ، وَإِن قُلْنَا إِنَّهُم كَانُوا عدداً كثيراً فَلم يكن كل وَاحِد مِنْهُم مِمَّن يحفظها وَلَا يضبطها. [3]

٢– **نقل التوراة لم يتم بالتواتر كما يزعمون**، وذلك للأسباب التالية.

أ – أَن الْيَهُود على بكرَة أَبِيهِم يعْرفُونَ، وَلَا يُنكرُونَ أَن التَّوْرَاة إِنَّمَا كَانَت طور مُدَّة ملك بني إِسْرَائِيل عِنْد الكوهان الْأَكْبَر الهاروني وَحده وَعنهُ تلقيت، وَلَا يُنكر ذَلِك مِنْهُم، وَلَا مِنْكُم إِلَّا مجاهر بِالْبَاطِلِ[4].

ب – إحراق نوبخت نصر كتب التَّوْرَاة حَيْثُ وجدت، وَإِتْلَاف مَا كَانَ بِأَيْدِيهِم، والإبقاء على عدد يَسِير منهم لَا يحصل بخبرهم الْعلم، وَكَانَ قد أجلاهم إِلَى بابل، وَهدم الْبَيْت أَو لَعَلَّه كَانَ الْبَاقِي مِنْهُم عدداً كثيراً إِلَّا أَنهم لم يَكُونُوا كلهم يحفظونها بل كَانُوا عدداً يَسِيراً لَا يحصل الْعلم بقَوْلهمْ، وَكَانَ هَذَا كُله قبل الْمَسِيح بِخمْس مائَة سنة تَقْرِيبًا[5].

ج – تفرقة اليهود بعد وَاقعَة طيطش بن شبشان الَّتِي كَانَت بعد الْمَسِيح إِلَى أَرْبَعِينَ سنة، وَهَذَا أَيْضاً من الْمَعْرُوف عِنْد الْجَمِيع بِحَيْثُ لَا يُنكره إِلَّا مكابر مجاهر، وَهَذِه الْأُمُور كلهَا مِمَّا تقدح فِي النَّقْل الَّذِي يَدعُونَهُ متواتراً[6].

ثمَّ نقُول بعد هَذِه الْأُمُور الْمَذْكُورَة إِن وافقوا على وُقُوعهَا، فقد اعْتَرَفُوا بِعَدَمِ التَّوَاتُر، فَإِن من شَرط خبر التَّوَاتُر أَن يَنْقُلهُ الْعدَد الْكثير الَّذِي تحيل الْعَادة عَلَيْهِم التواطؤ على الْكَذِب. (١)

---

(١)المصدر نفسه ١ /١٩٢.

(٢) الإعلام : ١ / ١٩٢.

(٣) انظر : المصدر السابق: ١ / ١٩٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه :١ /١٩٠.

(٥) انظر: المصدر نفسه : ١ /١٩٠.

(٦) انظر: المصدر نفسه :١ /١٩٠.

٢: موقفه من الإنجيل وبيان التحريف الواقع فيه.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة: ١٤].

هذه الآية نصت نص صريح، وواضح بوقوع التحريف من قبل النصارى في الإنجيل.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: أي أن الله تعالى أخذ عليهم المواثيق فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، إِذْ هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ، فَنَسُوا هذا الأمر وَهُوَ الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ولَمْ يَعْمَلُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ الْهَوَى وَالتَّحْرِيفَ سَبَبًا لِلْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فألصقنا بهم وسلطنا بعضهم على بعض ؛ ليكفر كل واحد منهم الآخر، وفي نهاية الآية يتوعدهم الله ويتهددهم بسبب هذا الكفر، وسوف يبين لهم سوء أعمالهم، وصنيعهم بالكفر بمحمد ﷺ. [٢]

تحريف الإنجيل:

يقول القرطبي في كتابه: إن هَذَا الْكتاب الَّذِي بيد النَّصَارَى الْيَوْم الَّذِي يسمونه بالإنجيل لَيْسَ هُوَالْإِنْجِيل الَّذِي قَالَ الله فِيهِ على لِسَان رَسُوله ﷺ: **﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[آل عمران: ٣-٤]**. وذلك للأسباب التالية:

أ – اتفاق النَّصَارَى على أَن الإنجيل الموجود بين أيديهم تم تلقيه عَن اثنين من الحواريين، وهما متاؤوش ويوحنا، وَعَن اثْنَيْنِ من تلاميذ الحواريين، وهما ماركش ولوقا، وَأَن عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَام – لم يشافههم بِكِتَاب مَكْتُوب عَن الله كَمَا فعل مُوسَى([٣]).

ب – تفرق الحواريون فِي الْبِلَاد والأقاليم بعد رفع عيسى كَمَا أَمرهم، وحصول الاختلافات بينهم والزيادة والنقصان في النقل والكتابة ؛ فَكَانَ مِنْهُم من كتب بعض سيرة عِيسَى، وَبَعض معجزاته وَبَعض أَحْوَاله حسب مَا تذكر ، وَمَا يسر الله عَلَيْهِ فِيهِ، فَرُبمَا توارد الْأَرْبَعَة على شَيْء وَاحِد فَحَدثُوا بِهِ، وَرُبمَا انْفَرد بَعضهم بزِيَادَة معنى، وَكَذَلِكَ كثيراً مَا يُوجد بَينهم من

(١) المصدر نفسه ١ /١٩٠ .
(٢) انظر تفسير القرطبي: ٦ /١١٦ – ١١٨.
([٣]) انظر: الإعلام :١ /٢٠٣.

اخْتِلَاف مساق وتناقض بَين قَوْلَيْنِ وَزِيَادَة ونقصان. [١]

– **نقل الإنجيل تم بطريق غير متواتر**: وذلك للأسباب التالية:

لأنه رَاجع إِلَى الْأَرْبَعَة الَّذين ذَكَرْنَاهُمْ، وَالْعَادَة تجوز عَلَيْهِم الْغَلَط والسهو وَالْكذب. [٢]

شبهة وردها.

قَولهم إن الأربعة الذين نقلوا الإنجيل معصومون فِيمَا نقلوه عَن عِيسَى عليه السلام، ودَلِيل عصمتهم أَنهم كَانُوا أَنْبيَاء، وَدَلِيل نبوتهم مَا ظهر على أَيْديهم من خوارق الْعَادَات، وَشَهَادَة عِيسَى عليه السلام لَهُم حَيْثُ قَالَ لَهُم: " كل مَا سألتموه إذا حسن إيمَانكُمْ ستجابون "، وَقَالَ لَهُم: "ستوقفون على الْمُلُوك، ويسألونكم فَلَا تَفَكَّرُوا فِيمَا تَقولُونَ، فَإِنَّكُم ستهدون ذَلِك الْوَقْت لما تقولونه، ولستم تنطقون أَنْتُم لَكِن روح الْقُدس ينْطق على أَلْسِنَتكُم، وَقد جَاءَ عَن عِيسَى عليه السلام أَنه دَعَا الإثني عشر حوارياً، وَأَعْطَاهُمْ من الْقُدْرَة وَالسُّلْطَان مَا يَتَّقُونَ بِهِ جَمِيع الْجِنّ، ويبرءون بِهِ الأسقام، وَكَذَلِكَ قَالَ لبطرس: " مَا عقدته أَنْت فِي الأَرْض فمعقود فِي السَّمَاء وَمَا حللته فِي الأَرْض فمحلول فِي السَّمَاء "، وَأما خوارق الْعَادَات، فقد كَانُوا يحيون الْمَوْتَى، ويبرءون المرضى كَمَا كَانَ يَفْعَله عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَام –، وَذَلِكَ مَعْرُوف من حَالهم. [٣]

وهذه الشبهة مردودة:

١ – استدلالهم بشهادة عيسى عليهم مردودة من وجوه:

أحدهَا: أَنكُمْ أسندتم ذَلِك إِلَى الْإِنْجِيل، واستدللتم على صدقهم بِمَا جَاءَ عَنْهُم فِيهِ، وَمَا جَاءَ عَنْهُم فِيهِ لَا يثبت، حَتَّى تثبت عصمتهم، فَلَا يثبت بِمَا ذكرتموه لَا الْإِنْجِيل وَلَا عصمتهم.

الوجه الثاني: لَيْسَ هناك شَيْء مِنْهَا ينص على أَنهم معصومون فِيمَا أخبروا بِهِ على الْإِطْلَاق، وَغَايَة مَا ذكرتموه أَن يدل على أَنهم يعانون، ويؤيدون مِمَّا يبلغون عَن عِيسَى فِي بعض الْأَوْقَات، أَو فِي بعض الْأَخْبَار وَالْأَحْوَال .

---

(١)انظر: المصدر السابق : ١ / ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٢)انظر: الإعلام :١ / ٢٠٤.

(٣)انظر: المصدر السابق : ١ / ٢٠٤.

وَالْوَجْه الثَّالِث: أَن مَا ذَكرُوهُ معَارض بِمَا نقلوه أَيْضاً، وَذَلِكَ أَنهم نقلوا فِي الْإِنْجِيل أَنه قَالَ للحواريين: يَا نسل التشكيك وَالْكفْر، إِلَى مَتى أكون مَعكُمْ، وَإِلَى مَتى أحتملكم، وَأما مَا قَالَ لبطرس، فَهُوَ أَيْضاً معَارض بِمَا حكيتم عَنهُ، أَنه قَالَ لَهُ: " تَأَخّر يَا شَيْطَان فَإنَّك جَاهِل بمرضات الله "[1].

٢ – ظهور المعجزات على أيديهم: فَلم ينْقل مِنْهَا شَيْء على التَّوَاتُر، وَإِنَّمَا هِيَ أَخْبَار آحَاد غير صَحِيحَة، وَلَو صحت لما دلّت على صدقهم فِي كل الْأَحْوَال، وعَلى أَنهم أَنْبيَاء ؛لأنهم ادعوا التَّبْلِيغ عَن عِيسَى عليه السلام فقط دون النبوة([2]).

يقول القرطبي: فَظهر من هَذَا الْبَحْث أَن الْإِنْجِيل الْمُدعى، لم ينْقل تواتراً، وَلم يقم دَلِيل على عصمَة ناقليه، فَإِذن يجوز الْغَلَط والسهو على ناقليه، فَلَا يحصل الْعلم بِشَيْء مِنْهُ، بل وَلَا غَلَبَة الظَّن، فَلَا يلْتَفت إِلَيْهِ، وَلَا يعول فِي الاحتجاج عَلَيْهِم، وَهَذَا كَاف فِي رده، وَبَيَان قبُول تحريفه وَعدم الثِّقَة بمضمونه. [3]

وفي نهاية هذا البحث فقد ظهر أن التوراة والإنجيل لا تحصل بهما الثقة، ولَا يَصح الاستدلال بهما لِكَوْنِهِمَا غير متواترين وقابلين للتغيير، وَقد دللنا على بعض مَا وَقع فيهمَا من ذَلِك، وَإِذا جَازَ مثل ذَلِك فِي هذَيْن الْكِتَابَيْنِ مَعَ كَونهمَا أشهر مَا عِنْدهم، وَأعظم عمدهم، ومستند ديانتهم فالأولى بسَائِر كتبهمْ الَّتِي يستدلون بهَا مِمَّا لَيْسَ مَشْهُوراً مثلهمَا وَلَا مَنْسُوباً إِلَى الله نسبتهما أن تكون محرفة.

٣- عقيدة النصارى في القرآن الكريم وموقف القرطبي منها: وتنقسم إلى:

أ – عقيدتهم في القرآن الكريم.

يعتقد النصارى أن القرآن الكريم محرف مثل التوراة والإنجيل، واحتج النصارى على كلامهم هذا بثلاث حجج:

أولاها: احتجوا بقول الله تعالى: **﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾[آل عمران: ٣-٤].**

على أنكم مقرّون بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل، فيجب عليكم إثبات دينكُمْ من التَّوْرَاة، كَمَا أثبتنا نَحن دِيننَا من كتب الْأَنْبِيَاء، وَاعْلَموا أَنه لَا نقبل لكم من كتبكم شَيْئا، فَإِن قلتم: من كتابكم شَيْئا قلنا لَكم: كَمَا قَالَ رَسُولكم، الْبَيِّنَة لمن ادّعى، وَالْيَمِين على من أنكر، فَوَجَبَ عَلَيْكم أَن تثبتوا دينكم من التَّوْرَاة

([1]) انظر: المصدر نفسه : ١ / ٢٠٤.

([2]) انظر: الإعلام للقرطبي : ١ /٢٠٤

(٣) انظر :المصدر السابق: ١ / ٢١١ – ٢١٢.

وَالْإِنْجِيل الَّتِي أَنْتم مقرّون بهما، وَأَنتم تتدعون أَن كتابكُمْ من الله، فأثبتوه من التَّوْرَاة بالعبراني وَمن الْإِنْجِيل بالعجمي كَمَا أَنْتُم مقرون[1].

ثانيها: واثبات قولكم أن محمداً رسول قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ **[آل عمران: ١٤٤]** بالاستدلال على ذلك من الكتب التي جَاءَت بِهِ الرُّسُل كَمَا قُلْتُمْ: فَائتوا بِمَا ادعيتم وَإِلَّا يَمِيننا لِأَنَّنا ننكر عليكم.

ثالثها: الطعن في بعض الأحكام التي وردت في الأحاديث مثل: حديث عَائِشَة قَالَت: جَاءَت امْرَأَة رِفَاعَة إِلَى الرَّسُول فَقَالَت: لَهُ كنت لرِفَاعَة فطلقني، فتزوّجت عبد الرحمن بن الزبير، فَتَبَسَّمَ الرَّسُول ضَاحِكاً، وَقَالَ: (أَتُرِيدِينَ أَن تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَة لَا حَتَّى يذوق عسليتك وتَذُوقِي عُسَيْلَته،)[2]، وَفِي رِوَايَة أُخْرَى عَن عَائِشَة قَالَت: طلق رجل امرأة ثَلَاثَة، فَتَزَوجهَا رجل، ثمَّ طَلقهَا قبل أَن يدْخل بهَا، وَأَرَادَ زَوجهَا الأول أَن يَتَزَوَّجهَا، فَسئلَ الرَّسُول عَن ذَلِك قَالَ: (لَا حَتَّى يَذُوق الآخر من عسيلتها مَا ذاق الأول)[3]، فَافْهَم فَمثل هَذِه النبوات لَا نقبلها مِنْكُم ؛ لِأَن الْمَسِيح يَقُول: لَا يَنْبَغِي لرجل طَلَاق زَوجته إِلَّا أَن تزني، وَإِن زنت فَلَا يحل لَهُ مراجعتها، وَمن طلق امرأته فقد جعل لَهَا سَبِيلاً إِلَى الزِّنَى، أعنى من طَلقهَا دون سَبَب، وَمن زوج مُطلقَة فَهُوَ فَاسق بهَا، وَأَنْتُم تَقولُوا لَا يحل لزَوجهَا مراجعتها، إِلَّا أَن تزني بدل أَن تنهوا عَن الزنا، تأمروا بالزنى وَهُوَ عنْدكُمْ فَرِيضَة التياس. [4]

ب- موقف القرطبي من هذه الحجج، والرد على طعنهم في القرآن، وبيان المراد من تلك الحجج:

نقول لكم أَننا نؤمن بِاللَّه وَكتبه، وَلَا نفرق بَين أحد من رسله ؛ فنؤمن بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيل اللَّذين أنزلهما على رسوليه الْملك الْجَلِيل، وَلَكِن قبل أَن يعتريهما التَّغْيير والتبديل، وَقد نبهنا على أَن الْكتاب الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ الْمُسَمّى بالإنجيل عنْدكُمْ لَا يُقَال عَلَيْهِ منزل بِالْحَقِيقَةِ كَمَا تقدم.

أما قَوْلكم: وَاعْلَموا أَنا لَا نقبل من كتبكم شَيْئا ؛ فَلَيْسَ ذَلِك بِأول عنادكم، ولكنكم لَسْتُم عِنْد الْعُقَلَاء أَهلاً لقبُول حق، وَلَا لرد بَاطِل ؛ فَلَيْسَ ردكم بِأولى من قبولكم، وَإِلَّا فَمَا الدَّلِيل الَّذِي أوجب عنْدكُمْ أَلَّا تقبلُوا نبوة نَبينَا مُحَمَّد – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –، مَعَ وضوح معجزاته، وعدالة بيناته،

---

(1) انظر: الإعلام ١/ ٢١٥

(٢)البخاري: ٧ / ٤٢، ح ٥٢٦٠.

(٣)المرجع السابق: ٧ / ٤٣، ح ٥٢٦١.

(٤)انظر: الإعلام للقرطبي: ١/ ٢١٥ – ٢١٦.

فَظهر من هَذَا أَن ردكم لديننا لَيْسَ بِدَلِيل، وَإِنَّمَا هُوَ لأجل إتباع قَول كل جهول يحكم على عقله هَوَاهُ. [(١)]

وأما قولكم في حجتكم الثانية: فنرد عليها بالقول: فَنعم هُوَ رَسُول إِلَيْنَا وَإِلَيْكم فَآمَنا وكفرتم، وصدقنا وكذبتم﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]؛ فَنحْن نقُول رَضِينَا بِاللَّه رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُول الله رَسُولاً، وَبِالْإِسْلَامِ ديناً، وَأما أَنْتم فَإِن متم مصرين على تكذيبكم، فليدخلنكم الله النَّار، وليدخلنكم فِي دَار الْبَوَار، فَلَا تنْتَفعوا بشفاعة ملك مقرب، وَلَا بِنَبِي مُخْتَار، وَأما طَلَبكم الْبَيِّنَة على صدقه، فكفاكم شَهَادَة الْأَنْبِيَاء العارفين بِحقِّهِ الْمخبرين عَنهُ بِلُزُوم تَصْدِيقه وَصدقه، وعَلى سَبِيل الاستعجال يَكْفِيكم بَيِّنَة عدله مَا وَقع فِي صحف النَّبِي دانيال، حَيْثُ وصف الْكَذَّابين ؛ وَقَالَ: " لَا تمتد دعوتهم، وَلَا يتم قُرْبَانهمْ، وَأقسم الرب بساعده أَن لَا يظْهر الْبَاطِل، وَلَا تقوم لمدع كَاذِب دَعْوَة أَكثر من ثَلَاثِينَ سنة "، وَهَذَا دين مُحَمَّد رَسُولنَا ﷺ قَائِم مُنْذُ أكثر من ألف وأربعمائة وثلاثين سنة، فَكيف تروا هَذِه الْبَيِّنَة المصححة أمعدلة عنْدكم أم مجرحة [٢]؟.

وَأما قَوْلكم: وَأَنتم تدعون أَن كتابكُمْ من الله، فَإِن كنتم تنكرون ذَلِك، فَادعوا عصابتكم البلغاء من نَصَارَى نَجْرَان الْمُتَكَلِّمين بلغَة الْقُرْآن، ليعارضوه بِسُورَة من مثله، فَإِن فعلوا ذَلِك دحضت حجَّته، وَانْقطع عَظِيم قَوْله، لكِنهمْ لما سمعُوا مِنْهُ الْقُرْآن تحققوا على الْقطع ؛ أَنه لَيْسَ يقدر عَلَيْهِ أحد من الْإِنْس والجان، وَعَلمُوا أَنه كَلَام الْملك الديَّان فآمنوا وَصَدقُوا لما عرفُوا، وحققوا فحصلوا على فضل الملتين وآتاهم الله أجرهم مرَّتَيْنِ.

ونقول لكم: قد أثبتنا نبوة نبينا ﷺ من كتب أنبيائكم المترجمة، والتي تعولون على نقلهم بدون إسناد تلك التراجم لأحد، وقد سبق الحديث في ذلك في مبحث الأنبياء، والاستدلال على نبوته من كتبهم [(٣)].

ونرد على حجتكم الثالثة: مَنعكم طَلَاق الرجل زَوجته، ورده إِيَّاهَا بعد طَلَاقهَا لَا يَخْلُو إِمَّا أَن يكون منعاً من جِهَة الْعقل أَو من جِهَة الشَّرْع.

فإذا كان المنع من جِهَة الْعقل: كَانَت دعواكم بَاطِلَة بِالضَّرُورَةِ، فَإِن صور هَذِه الْمسَائِل، ووجودها مَعْلُومْ بِالضَّرُورَةِ، فَإِذا بَطل أَن يكون امتناعها من جِهَة الْعقل، فَيجوز أَن تُوجد، وَإِذا جَازَ أَن تُوجد،

(١)المصدر السابق: ١ /٢١٧ –٢١٨.

(٢) انظر: الإعلام ج١ ص٢١٨.

(٣)انظر الإعلام للقرطبي: ج١ / ٢١٨ – ٢١٩.

فَكيف يَنْبَغِي لمن ينتسب إِلَى الْعقل أَن يُنكر نبوة من قَامَت الْأَدِلَّة القاطعة على صدقه من حَيْثُ أَنه حكم بِشَيْء يَصح فِي الْعقل أَن يُوجد([1]).

كما أَنكُمْ التزمتم فِي شرعكم بِمَا يشْهد الْعقل الأول بفساده ؛ مثل قَوْلكُم: فِي الأقانيم أَنَّهَا آلِهَة ثَلَاثَة إِلَه وَاحِد، وقلتم: فِي الإتحاد والحلول مَا يعلم فَسَاده بضرورة الْعُقُول، ثمَّ لم ينفركم ذَلِك عَن إتباع شرعكم، وتقولون: بأنه مِمَّا لَيْسَ يدْرك بالعقول، بل يتبع فِيهِ الْكتاب الْمَنْقُول. [2]

وإذا كان المَنْع من جِهَة الشَّرْع: فَنَقُول لَكم إِمَّا أَن يكون مَمْنُوعًا من جِهَة الشَّرَائِع كلهَا أَو من بَعْضهَا.

فالقول بمَنْعه من جِهَة الشَّرَائِع كلهَا: فهذا باطل بسبب:

١ – أن الشرائع تختلف عن بعضها البعض، وَكفى دَلِيلاً على أَن التَّوْرَاة تخالفكم فِي ذَلِك.

٢ – جواز مخالفة عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَام – بعض أَحْكَام التَّوْرَاة، وَلَا يدل ذَلِك على كذبه، وَلَا على فَسَاد شَرعه، يجوز لنا أَن يُخَالف شرعنا شرع عِيسَى ومُوسَى فِي بعض الْأَحْكَام، وَلَا يدل ذَلِك على فَسَاده، إِذْ كل وَاحِد مِنْهُم، إِنَّمَا يبلغ حكم الله، وليس مخترعاً حكماً من قبله، ثمَّ قد تخْتَلف الْأَحْكَام والأوضاع بِحَسب مَا يُريدهُ الله – تَعَالَى –، وبحسب مَا يُعلمهُ من اختلاف الْأَحْوَال والمصالح، وإِن كَانَ قد ثَبت تَحْرِيم ذَلِك عنْدكُمْ، فقد ثَبت تَحْلِيله عندنَا، فَإِن الله – تَعَالَى – يحل لعبيده مَا يَشَاء، وَيحرم عَلَيْهِم مَا يَشَاء، وَهَذَا كَمَا أحل الله لمُوسَى من الطَّلَاق مَا حرمه على عِيسَى، ثمَّ كَيفَ يُمكن لعاقل أَن يُنكر مثل ذَلِك، وَقد ثَبت أَنه أحلّت فِي بعض الشَّرَائِع فروج، وَحرمت فِي شرع آخر، فقد ثَبت أَن الْبَطن الأول من أَوْلَاد آدم أحلّت لَهُم نِكَاح الْأَخَوَات، ثمَّ حرمت على منبعدهمْ من الشَّرَائِع.[3]

٣ – شرع الله تَعَالَى الطَّلَاق ؛ ليتخلص الرجل من نكد الْمَرْأَة، رفقاً بِنَا وَرَحْمَة مِنْهُ علينا، فقد تكون غلاً تضر بِالرجلِ وضَرَراً لَا يُمكن أَن يطلع عَلَيْهِ أحد، فَلَا تجبر على إِزَالَته لكَونه لَا يتَحَقَّق من جِهَتهَا، فَجعل للرجل أَنه مَتى شَاءَ أَن يتَخَلَّص مِنْهَا، وَمن ضررها فعل.

---

(1) المصدر السابق ١ /٢١٨.

(٢)الإعلام للقرطبي: ١ /٢٢٠– ٢٢١.

(٣) انظر:المصدر السابق : ١ / ٢٢٣

٤- جعل الطَّلَاق سَبباً يحترم لأَجله الرجل: وذلك لكون النِّسَاء فِي الْغَالِب ناقصات عقل، فَلَو علمت أَن الرجل لم يَجْعَل لَهُ سَبِيل إِلَى مفارقتها؛ لما كَانَت تحترمه، وبادرت إِلَى ضَرَره، فإذا علمت المرأة أَنَّهَا إِن بالغت فِي ضَرَر زَوجهَا طَلقهَا، امْتنعت من ضَرَره فِي الْأَكْثَر.

٥- وإذا وضعنا العصمة في يد المرأة، وأجزنا لها أن تطلق نفسها متى شاءت، لما اسْتَقَرَّتْ امرأة عِنْد زَوجهَا فِي غَالب الْأَمر؛ لِأَنَّهُنَّ ناقصات عقل، فَلَا يُؤمن عَلَيْهِنَّ غَلَبَة شهواتهن على عقولهن.[1]

٦- بالإضافة إلا أنه في الحديث الثاني، يبين أنه لا يجوز أن ترجع الزوجة إلى زوجها الاول بمجرد أن تتزوج من شخص آخر، وتطلق دون الدخول بها؛ حتى يسد باب التهاون في أمر الطلاق. [2]

فَإِذا تقرر هَذَا الْمَعْنى الَّذِي لَا يمنعهُ الْعقل، وَلَا تنافيه مَكَارِم الْأَخْلَاق بل هُوَ على منهاجها، وعَلى سنتها فَكيف يَنْبَغِي لكم أَن تتقولوا علينا أَنا نقُول: لَا يحل لزَوجهَا مراجعتها إِلَّا أَن تزني، وَلَو كنتم عاقلين، لما شبهتم نِكَاحاً على وفْق شَرِيعَة صَحِيحَة وَقع بولي وَمهر وشهود وإعلان، بِنِكَاح الزِّنَا الَّذِي يقع مخالفاً للشرائع لَيْسَ فِيهِ ولى وَلَا مهر وَلَا شُهُود وَلَا إعلان، وتشبيهكم هذا قصدتم به استزلال الْعَوام، وليكره لَهُم دين الْإِسْلَام ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ **[الصف: ٨]**.

وَلَقَد صدق الله عَبده وأنجز وعده ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ **[التوبة: ١١١]**.[3]

---

(١) الإعلام : ١ /٢٢١-٢٢٢.
(٢) المصدر السابق: ١ / ٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه : ١ /٢٢٤.

المطلب الثالث: عقيدتهم في اليوم الآخر وموقف القرطبي منها.

أولاً- عقيدة النصارى في اليوم الاخر:

اتفق النصارى مع المسلمين في أصل وجود اليوم الاخر، واتفقوا على الموت، والبعث، والجزاء، والعقاب، مع اختلافهم مع المسلمين في جوهر اليوم الاخر ؛ حيث إنهم ينكرون العذاب المحسوس والنعيم، ويصرفون ذَلِك إِلَى الالتذاذ الروحاني ؛ لكِنهمْ لَا يصرحون بِهِ كَمَا تصرح بِهِ الفلاسفة، إِذْ لَا يقدرُونَ على تَبْيين أغراضهم ؛ لقصورهم، وَنحن نتكلم هُنَا مَعَ من يُنكر ذَلِك من المتشرعين، فَإِنَّهُم قد اجْتَمعُوا على إعادتنا كَمَا كُنَّا أول مرّة إِذْ قد اجْتمعت على ذَلِك الشَّرَائِع كلهَا من غير اخْتِلَاف بَينهَا فِيهِ.

اليوم الآخر في الإنجيل:

وردت نصوص كثيرة في الإنجيل تثبت إيمانهم في اليوم الآخر ومنها:

- في الموت: يعتقد النصارى أن "موت الإنسان كان نتيجة السقوط في الخطيئة، وأن الإنسان حين يرتضي نعمة الله لا يحفظه شيء من الموت"[١] ويستندون في ذلك إلى فقرة في سفر التكوين تقول: "إن آدم أبعد عن شجرة الحياة التي كانت تجعله خالداً، أي أنه فقد نعمة الخلود بابتعاده عن الله مصدرها، ويعتبر أن الموت ضد طبيعة الإنسان الأصلية، فإن الله خلق الإنسان خالداً، وصنعه على صورة ذاته".[٢]
- كما أنهم يعتقدون أن سبب الموت مترتب على خطيئة آدم " لا بد من الموت لكل إنسان لأن آدم الإنسان سقط في الخطيئة".[٣]
- في البرزخ: حيث يظهر من اعتقادهم في البرزخ أنه لا يوجد في البرزخ عذاب، وإنما فقط نعيم أي: أنهم بمجرد أن تفارق أرواحهم أجسادهم، فإنهم سيكونون في الفردوس مع

---

(١) مدخل إلى العقيدة المسيحية، تأليف كوستلييندلي وآخرين، صفحة ٩٣، منشورات النور، بيروت.

(٢) مدخل إلى العقيدة المسيحية: ص ٩٣.

(٣) إيماننا الحي: تأليف الأب دروبير كليمان اليسوعي والأب أدمونتارزجياليسوعي، صفحة ٥٠٧- ٥٠٨، نشر دار المعارف، سنة ١٩٦١.

المسيح سعداء، ودليلهم " طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن "[١]، وشذ عن النصارى فرقة الكاثوليك الذين يؤمنون بوقوع العقاب في القبر، ودليلهم " حالما نموت تمثل أنفسنا أمام الله لتحاكم عن أعمالها الصالحة والشريرة ".[٢]

- في البعث: حيث يطلق على قيامة الأجساد عندهم، ويربطون بينه وبين الحساب والجزاء للأبرار والأشرار، ودليلهم "وكثيراً ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطاً بتعليمه عن الدنيوية النهائية، ولقد علم الرسل أيضاً أن القيامة العامة التي يقوم فيها الأبرار والخطاء عند الدينونة الأخيرة ".[٣]
- الحساب والجزاء عند النصارى: حيث يعتقدون أن الحساب والجزاء لجميع البشر، ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة"، وقد أعطيت هذه الدينونة للرب يسوع المسيح، فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر ؛ لكي يعطوا حساباً عن أعمالهم في الجسد خيراً أو شراً، وحكم هذه الدينونة نهائي، ولا يقبل النقض، أو الاستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها، ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي"[٤].
- كما ويعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء، قال بطرس: "المسيح هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات".[٥]
- كما ويعتقد النصارى أن المراد بالجنة هو الفردوس، فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس: "أنه الفردوس الأصلي الذي ربته الله للإنسان قبل سقوطه، ووضع في وسطه شجرة الحياة، وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك"[٦] من الملاحظ أن قاموس الكتاب المقدس ربط الجنة بالبستان الذي يملكه الملوك، وهي معدة للانشراح واللذات، وكل هذه الصفات تطلق على البساتين في الأرض، وعلى الرغم من أن النصارى لم يشيروا إلى

---

(١)سفر الرؤيا: ١٤ / ١٣. ج

(٢)انظر: يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية: د. فرج الله عبد الباري، صفحة ١٠١، تقديم الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، دار الأفاق العربية. ج

(٣) يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية: د. فرج الله عبد الباري: ص ١٤٠.

(٤)انظر: المرجع السابق: ص ٢١١. وانظر قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٨٢.

(٥)أعمال الرسل: ١٠ / ٣٤ -٤٤.

(٦)قاموس الكتاب المقدس: ص ٢٧٥.

الجنة، ونعيمها الحسي في الآخرة إلا أننا سنعرض بعضاً من نصوصهم؛ التي تتحدث عن الجزاء في الآخرة المتمثل في الطعام، والشراب، والنكاح في الجنة، فعن الطعام ورد في إنجيل يوحنا "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن الله الآب قد ختمه"(١)، وعن الشراب يقول لوقا "وتشربوا على مائدتي في ملكوتي".(٢)

كما أن هناك نصوصاً في الأناجيل تثبت الزواج في الجنة، ومنها ما ورد في متى " كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية".(٣)

هذه النصوص التي تتحدث عن الطعام، والشراب، والقصور، والزواج في الآخرة يؤولها النصارى إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية في الآخرة.(٤)

- كما ويعتقد النصارى أن مصير الأشرار النار في الآخرة ورد في متى "ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته "(٥)، كما يعتقدون أن هناك عذاب حسي ملموس وهناك عذاب معنوي يتمثل في غضب الرب " قال بولس في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي " في نار ولهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب من مجد قوته"(٦). كما يعتقدون أن العذاب الذي يتعذب به الأشرار أبدي ولا نهاية له.(٧)

---

(١)إنجيل يوحنا: ٦ / ٢٧ – ٢٨.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٢ – ٢٩.

(٣)إنجيل متى: ١٩ / ٢٩.

(٤)انظر: المرجع السابق: ص ٣١٣.

(٥) متى: ٢٥ / ٤١.

(٦)انظر: يوم القيامة بين الديانات الثلاث: ٣١٧، انظر رسالة تسالونيكي الثانية: ١/٨-٩.

(٧)المرجع السابق: ص ٣١٧.

ثانياً: موقف القرطبي من عقيدتهم في اليوم الاخر.

لا تكاد سورة من سور القرآن الكريم، إلا وفيها ذكر اليوم الآخر ؛إما ذكر صريح، أو ما يشير إليه ؛ لما لهذا اليوم من أهمية عظيمة في حياة الناس كافة.

القرطبي ينكر ويشنع على النصارى في اعتقادهم لهذه العقيدة العوجاء ويصرح بأن:

- الإيمان باليوم الآخر واجب، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ **[البقرة: ٤].**

قال القرطبي في تفسيرها: قِيلَ: الْمُرَادُ أم المؤمنون يؤمنون بجميع الكتب السابقة للقرآن الكريم دون تفرقة والتي أنزلت على الأنبياء قبل محمد ﷺ بخلاف النصارى الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر ويفرقون بينها على حسب ما يناسب أهواءهم .(١)

- الموت أول منازل الآخرة: قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ **[ق: ١٩].**

قال القرطبي في تفسيرها: أَيْ غَمْرَتُهُ وَشِدَّتُهُ' فَالْإِنْسَانُ ما دام حيا تكتب عليه أقواله وأفعاله؛ لِيُحَاسَبَ عَلَيْهَا' ثُمَّ يَجِيئُهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ مَا يَرَاهُ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ مِنْ ظُهُورِالْحَقِ فِيمَا كَانَاللَّهُ– تَعَالَى – وَعَدَهُ وَأَوْعَدَهُ، وَقِيلَ: الْحَقُّ هُوَ الْمَوْتُ سُمِّيَ حَقًّاً إِمَّا لِاسْتِحْقَاقِهِ، وَإِمَّا لِانْتِقَالِهِ إِلَى دَارِ الْحَقِّ، وما ورد في حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي؟ قال: متى تقوم الساعة ؟قال: فسكت رسول الله هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: "إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة".(١)

- إن العذاب والثواب فيه محسوسان وليسا معنويين، كما يؤمن بها النصارى:

فيقول القرطبي في كتابه: (وَأَن شَرعه نَاسخ لكل الشَّرَائِع الْمُتَقَدّمَة على الْجُمْلَة، وهادم مَا قبله من الْأَحْكَام السالفة، وَأَن كل مَا جَاءَ بِهِ عَن الله حق من الْعَذَاب، والحشر والنشر بعد الْمَوْت، والصراط، وَالْمِيزَان، والحوض والمحاسبة، وشفاعة مُحَمَّد ﷺ لأهل الْموقف، وَلأَهل الْكَبَائِر من أمته خَاصَّة، وَالْجنَّة وَنَعِيمهَا، وَالنَّار وعذابها، وأنهما محسوسان ليسَا معنويين).(٢)

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١ /١٨١ .

(٢) صحيح مسلم: ح ٢٢٦٩

(٢)الإعلام: ج١ /٤٤١.

- أن الله تعالى هو الذي يتولى الحساب، وليس أحد من خلقه سواء من الرسل، أو الملائكة كما يزعم النصارى.

ودليله قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ **[البقرة: ٢٨٤].**

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ **[الغاشية: ٢٥ – ٢٦]**، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ **[الرعد: ٤٠].**

أَن خُلُود أهل الْجنَّة سرمدي، وَعَذَاب أهل النَّار الْكَافرين سرمد ي، وَلَا انقطاع لوَاحِد مِنْهُمَا إِلَى غير ذَلِك مِمَّا هُوَ مفصل فِي الشَّرِيعَة مِمَّا يعرفهُ أَهله، وَلَا يسعهم جَهله، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ **[الكهف: ١٠٧ – ١٠٨]**، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: أن المؤمنين دَائِمون في الجنة ونعيمها ، ولَا يَطْلُبُونَ تَحْوِيلاً عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.(١)

ويؤيد أبدية وخلود أهل الجنة في الجنة، قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ ﴾ **[الدخان: ٥٦]**، قال القرطبي في تفسيرها: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ ﴾ أَيْ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ الْبَتَّةَ ؛ لِأَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: " إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى " أَيْ لَكِنَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى قَدْ ذَاقُوهَا فِي الدُّنْيَا. (٢)وقول النبي ﷺ (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يدبح، ثم ينادي مناد ياأهل الجنة لا موت، ويأهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم".(٣)

ويمكن أن نوجز بعضاً من رده عليهم في نقاط عدة:

١ – من ناحية العقل: العقل يدل على أنه لا يستحيل أن تحصل هذه الأمور مرة أخرى لأنها من باب الإعادة ومن بدا الخلق أول مرة وجعلنا نشعر بالنعيم المحسوس والعذاب في أجسادنا في الدنيا قادر على أن يعيد الخلق مرة أخرى بعد أن يفنيهم فَإِن الْإِعَادَة إِنَّمَا هِيَ خلق ثَان وَمن قدر على

---

(١)تفسير القرطبي: ج١١ / ٦٤.

(٢)تفسير القرطبي: ج ١٦ /١٥٤.

(٣)فتح الباري شرح صحيح البخاري: الجزء الحادي عشر، صفحة ٣٥١،

الْخلق الأول قدر على الْخلق الثَّانِي وَهَذَا مَعْلُوم بِنَفسِهِ فَهُوَ إِذن فعل مُمكن فِي نَفسه لَيْسَ من قبيل الْمُمْتَنع وَالله تَعَالَى قَادر على كل مُمكن فَيجب وَصفه بِالْقُدْرَةِ على ذَلِك. [1]، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٨ – ٧٩]، أَيْ وَنَسِيَ أَنَّا أَنْشَأْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ مَيِّتَةٍ، فَرَكَّبْنَا فيه الحياة، أي جوا به مِنْ نَفْسِهِ حَاضِرٌ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " نَعَمْ وَيَبْعَثُكَ اللَّهُ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ" فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقِيَاسِ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ احْتَجَّ عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ بِالنَّشْأَةِ الْأُولَى وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا الْكَافِرَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ سَحَقْتُهَا وَأَذْرَيْتُهَا فِي الرِّيحِ أَيُعِيدُهَا اللَّهُ، فَنَزَلَتْ" قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ" أي من غير شي، فهو قادر عي إعادتها في النشأة الثانية من شي، وهو عجم الذنب، ويقال عجب الذنب بالياء. " وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" أي كيف يبدي ويعيد.

٢ – أقوال الأنبياء التي تثبت أن هناك يوم أخر، مثل قول عيسى لتلاميذه فِي وَصِيَّة وصاهم بهَا: "لتطعمن ولتشربن فِي مائدتي فِي ملك الله "، وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام أخبر تلاميذه أنه سوف يأكل معهم عند الله تعالى يوم القيامة.

٣– من المعلوم أيضاً أن آدم عليه السلام كان يأكل، ويشرب، وينكح في الجنة، كما أخبر بذلك محمد – ﷺ –. [2]

يظهر لنا من خلال سرد عقيدتهم في اليوم الاخر؛تحريفهم لنصوص الكتاب المقدس،وذلك حسب ما يناسب أهواءهم واهواء أحبارهم ورهبانيهم ومن ذلك ، إيمانهم بأن عيسى عليه السلام هو من يتولى الحساب يوم القيامة ،كما يظهر لنا موقف القرطبي الذي بين، وفضح كذبهم، وزيفهم، ورد عليهم بردود مفحمة.

(١) الإعلام: ج١ / ٤٣٣-٤٣٤.

(٢)انظر: المرجع السابق: ج١ / ٤٣٤ – ٤٣٦.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه أتممت هذا البحث، وبذلت قصارى جهدي أن أخرجه أجمل ما يكون، ولكن هذا لا يعني خلوه من العيب والنقص، فالكمال لله حده، وهذا جهد بشري، والإنسان معرض للخطأ والزلل، فإن أصبت فبتوفيق من الله سبحانه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وبعد هذا فإني قد قسمت خاتمة البحث في قسمين:

القسم الأول: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

وهذا عرض لأبرز نتائج البحث التي توصلت إليها:

١ – إن كتب القرطبي كتب جليلة، وعني بتأليفها، وإعدادها عناية فائقة، وكانت له أراء، وردود على عقائد النصارى تدل على رسوخ علمه.

٢ – اتصاف النصارى بكثير من الصفات الدنيئة، مثل الكذب، والغلو في الدين، وتحريف الحق، والاتجار بالدين، ونقض العهد.

٣ – تميز موقف النصارى مع غيرهم من الأمم بشيء من التناقض، فنرى موقفهم من اليهود محبة وألفةً وصداقةً، وأما نظرتهم للمسلمين، فهي مناصبة العداء المسلمين كل من:

٤– فساد عقيدة النصارى في جميع أصول الإيمان الخمسة.

٥–وصف النصارى لله – تعالى– بالنقائص، مثل اتخاذ الولد، عقيدة التثليث، تشبيهه بالعباد، الاتحاد والحلول، ورد القرطبي على هذه الإدعاءات وتفنيدها وبيان زيفها وكذبها.

٦– عبادة النصارى غير الله – تعالى – كعيسى – عليه السلام –، والأحبار، وبيان فساد هذه العقيدة والرد عليهم بأن العبادة ليست الا لله وحده وعيسى والأحبار ليسوا الا من جملة عباده.

٧– الافتراء على أنبيائهم، ووصفهم بما لا يليق بهم، كنسبة الفواحش إليهم، مما يدلل على تحريفهم للكتب السماوية وبيان فساد معتقداتهم في الأنبياء ضحض إفترائهم وكذبهم على الأنبياء.

٨– كفرهم بنبوة محمدﷺ، وستدلوا ببعض الأدلة الضعيفة التي رد عليها القرطبي في كتبهم وفندها بالدليل واحده واحده.

٩– فساد عقيدة النصارى بالملائكة، حيث أنهم يؤمنون بأن عدد الملائكة محدود ومكانهم واحد لا يتغير.

١٠- فساد عقيدة النصارى في الكتب السماوية وتحريفهم لها بما يوافق أهواءهم، ورد القرطبي عليهم وأبطل استدلالهم بكتبهم السماوية على أن عيسى أخر الأنبياء وأثبت أن القرآن الكريم وحده الذي لم يحرف.

١١- كفر النصارى بالقرآن.

١٢- تحريف النصارى عقيدة الإيمان باليوم الآخر، نحو زعمهم أنه لا يوجد هناك نعيم وعقاب حسي يقع على الناس يوم القيامة، بل إن المسيح يأتي ليحكم على أعدائهم بالفناء والعذاب أما هم فسوف يتنعمون في الحدائق والبساتين الوارفه وإنكار القرطبي عليهم هذه العقيدة الباطلة.

القسم الثاني: التوصيات

١- الاعتماد على الكتاب، والسنة في استقاء العقيدة الصحيحة.

٢- كتب القرطبي، ولا سيما تفسيره الجليل وكتاب الإعلام، إذ يمكن الاعتماد عليهما في كثير من الدراسات العقدية، مثل موقف النصارى من اليهود والمسلمين، الوقوف على عقائد النصارى وصفاتهم، إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، وغيرها من المواضيع، التي تبين وتظهر عقيدة النصارى المحرفه والردود عليهم بردود مفحمة.

٣- دراسة الروايات الإسرائيلية في التفاسير، والحكم عليها، لما فيها من دسائس وأقاويل موضوعه تهدف إلى هدم عقيدة المسلمين.

٤- تسليط الضوء على جملة التناقضات الواردة في الكتاب المقدس، وبين هذه الأمور لمعتقيدي هذا الكتاب من أجل إقامة الحجة عليهم في تبليغ دين الله تعالى.

الفهارس العامة

وتشمل:

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً: المراجع والمصادر.

رابعاً: فهرس الأعلام.

خامساً: فهرس المحتويات.

أولا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
[لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ]	١٨١	٥٠
[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ]	٦٤	٥٠
[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ]	٦٥	٥٢
[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ]	١٨٧	٥٤
[وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ البينات]	١٠٥	٥٦
[الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الناس]	١٧٣	٨٠
[يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ]	١٦٧	٨٢
[إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ]	٤٥	٩٢
[هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشاء]	٦	١١٤
[وَمن يبتغ غير الإِسْلَام ديناً]	٨٥	١٥٣
[يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ]	٧١	١٦١
[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ]	١٨٧	١٦١
[إذ قال الله ياعيسى إِنِّي مُتَوَفِيكَ ورَافِعُكَ إِلَيَّ]	٥٥	١٦١
[شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ]	١٧	١٨٢
[وَأنزل التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ]	٣	١٩٠، ١٩٣
[وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُول قد خلت]	١٤٤	١٩٣
النساء		
[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ]	١٧١	٥٠
[أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ]	٥٤ – ٥٥	٥٤
[وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ]	١٥٧–١٥٨	١٥٤، ١٥٦
[وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ]	١٣٦	١٥٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
[فأتت به قومها تحمله]	٢٧-٣٥	١٢٧
طه		
[وَإن تجْهر بالقَوْل فإنَهُ يعلم السِرّ وأخفى]	١٠-١١	١١٤
[قَالَ فإنّا قدْ فتَنّا قوْمَكَ]	٨٥	١٢٥
[اذهَبَا إلَى فِرْعَوْنَ إنَهُ طَغَى]	٤٣-٤٤	١٢٩
[إنّ السَّاعَة ءاتِيَة أكَادُ أخْفِيهَا]	١٥	١٩٨
الأنبياء		
[وَقالوا اتّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ]	٢٦-٢٧	٨٤
[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَة إلاّ الله لَفَسَدَتَا]	٢٢	٨٧
[وَجَعَلنَاهُمْ أئِمَّة يَهْدُونَ بِأمْرِنَا]	٧٣	١٣١
[لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون]	٢٧	١٨١
[بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ]	٢٦	٨٤
الحج		
[وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ]	٥٢	١١٩
المؤمنون		
[ثمَّ أرسلنا رسلنا تتراً]	٤٤	١١٨
النور		
[ومن لم يجعل الله لهُ نوراً فماله من نور]	٣٤	٣٣
الفرقان		
[الذِي لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَمْ يَتّخِذ وَلَداً]	٢	٨٤، ٨٦
[وقالوا مال هذا الرسول]	٧	١٣٣
[وَما أرْسَلنَا قبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ]	٢٠	١٣٣
الشعراء		

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الذاريات		
[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]	٥٧	١٤٥
النجم		
[وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى]	٣-٤	١٣١
الحديد		
[أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ]	١٦	٥٦
[ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ]	٢٧	٩٨
المجادلة		
[ألا إِنَّهُم هم الْكَاذِبُونَ]	١٨	١١٢
الصف		
[وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ]	٦	٥٣
[وَالله متم نوره وَلَو كره الْكَافِرُونَ]	٨	١٣٧
[فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ]	١٤	١٦٣
التحريم		
[وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا]	١٢	٩٢
[قالت من أنبأك هذا قال نَبَّأَنِيَ العليم الخبير]	٣	١١٨
الحاقة		
[فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ]	١٣	٨١
[وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ]	٤٤-٤٦	١٣١
المدثر		
[وما يعلم جنود ربك إلا هو]	٢٩	١٧٩
القيامة		
[لا تحرك به لسانك لعجل به]	١٦-١٨	١٣١

ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

ثالثاً: المراجع والمصادر

راعيت في ترتيب المصادر والمراجع الترتيب الأبجدي، وقسمنا المصادر والمراجع إلى مصادر إسلامية وعربية وبدأنا بها، ثم إلى المصادر التي تبحث الديانات والفلسفات الاخرى بصرف النظر عن المؤلف:

١ – الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي، صفحة ١٠٧ –١٠٨، نشر مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢ – الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين' بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

٣ – الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، المشهور حسن محمود سلمان، ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى' ١٩٩٣ م.

٤– الأنوار في شمائل النبي المختار: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، نشر: دار المكتبي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٥– الأنساب، أبو سعيد الكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢هـ)، تقديم عبد الله البارودي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى' ١٩٨٨.

٦ – الإيمان أركانه حقيقته ونواقضه، للدكتور محمد نعيم ياسين، نشر دار القلم، الطبعة السابعة، ١٩٨٣م.

٧– أخلاق النبي وآدابه: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، نشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ، ١٩٩٨.

٨ – التفسير والمفسرون، بحث تفصيلي عن نشأة التفسير تطوره وألوانه ومذاهبه، تآليف الدكتور محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦.

٩ – التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، د. علي إبراهيم النملة، ،دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣هـ –١٩٩٣م.

التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى الخالدي، د. عمر فروخ، الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ – ١٩٩٧م.

التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، نشرها وعرف بها الدكتور أحمد حجازي السقا، الناشر دار الأنصاري القاهرة، ١٣٩٨هـ، – ١٩٧٨م.

١٠ – الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته السنة وأي القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (متوفى ٦٧١)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١١ – الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، نشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

١٢- الحركة الفكرية في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، عبد اللطيف حمزة، ،تقديم جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، مصر – القاهرة.

١٣- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، كريم عجيل حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

١٤ – الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة السعادة بمصر.

١٥- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، نشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

١٦- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف تحقيق: مصطفى عبد الواحد، نشر: دار المعرفة للط، باعة والنشر والتوزيع بيروت –

لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م

١٧- السيرة النبوية لابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

١٨- السير والمغازي: لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، نشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٩- الشمائل المحمدية: لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: -

٢٠- العلمانية. . . نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، نشر جامعة أم القرى، السعودية، الجمعة ١٧ رجب ١٤٣٥ الموافق 16 مايو ٢٠١٤م.

٢١- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، الأوائل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤.

٢٢- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم، سعد رستم، مكتبة دمشق، الطبعة . الأولى ٢٠٠٣ م، الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م.

٢٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (توفي: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٤- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، لأنور الجندي، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ، ١٩٧٦ م، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م..

٢٥- المستشرقون والتنصير، علي بن ابراهيم الحمد النملة، الطبعة الأولى،

٢٦- المسيح إنسان أو إله، المستشار الدكتور محمد مجدي مرجان رئيس محكمة الاستئناف والجنايات العليا – كان مسيحياً فأسلم –، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى ١٩٧٤، والطبعة الثانية ٢٠٠٤.

٢٧- المعجب، في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٩م.

٢٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقاً المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي – الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م)

٢٩- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ)، نشر مكتبة الحلبي.

٣٠- الملائكة والجن دراسة مقارنة في الديانات السماوية الثلاث(اليهودية – النصرانية – الإسلام)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد الطالبة: مي بنت حسن محمد المدهون، إشراف أ. د. محمد يسري جعفر محمد عبد المجيد، ١٤٢٩هـ – ١٤٣٠هـ

٣١- الملائكة في حياتنا، الأم ألكسندرا

٣٢- المنجد في اللغة والأعلام، طبعة جديدة ومنقحة، دار المشرق، بيروت، سنة ٢٠٠٠

٣٣- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة عرض عقدي وتاريخي ميسر، دكتور ناصر بن عبد الله القفاري، ودكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، نشر دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

٣٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة عرض عقدي وتاريخي ميسر، دكتور ناصر بن عبد الله القفاري، ودكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، نشر دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

٣٥- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ٧ /٣٧٣ ،لابن تعزي بردى، الجزء السابع، صفحة رقم ٣٧٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٣٣.

٣٦- النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن آبيك الصفدي، اعتناء دوروتياكرافولسكي، دار النشرات الإسلامية، أسسها هلموت ريتر ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، تنفيذ دار الأندلس – بيروت.

٣٨- إظهار الحق، رحمة الله ابن خليل الهندي (١٣٠٦هـ)، تحقيق وتعليق محمد أحمد عبد القادر المكاوي، طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء.

٣٩- اليهودية واليهود بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، لعلي عبد الواحد الوافي، نشر دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

٤٠- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

٤٥- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة لقرطبة، عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٤٦- تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة أبي محمد الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل – بيروت، ١٣٩٣ هـ . ١٩٧٢.

٤٧- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٤٨- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٤٩- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للدكتور عبد السند حسن يمامة، نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٠- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٥١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

٥٢- دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، محمد ضياء الدين الأعظمي، الأستاذ بكلية الحديث الشريف، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مكتبة الرائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٣- دلائل النبوة لأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، نشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ.

٥٥- رؤية إسلامية للاستشراق _ أحمد عبد الحميد غراب، نشر المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة الثانية، السنة ١٤١١هـ.

٥٦- رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، لمحمد بن ابراهيم الحمد، سنة ١٤٢٩ هـ.

٥٧- رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين

٥٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٩- سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية، رجا عبد الحميد عرابي، نشر الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٤

٦٠- سنن ابن ماجه تأليف، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٦١- سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٦٢- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٦٣- سير أعلام النبلاء ٢٣ /٨٠ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط' تقديم د. بشار عواد معروف رئيس قسم التاريخ في جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦.

٦٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ت: الأرناؤوط): عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، الجزء السابع، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، دمشق– بيروت، الطبعة الأولى' سنة النشر: ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٦٥- شرح الشفا، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى' ١٤٢١ هـ.

٦٦- شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، سنة النشر ١٤١٧هـ، ١٩٩٦ م.

٦٧- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغبرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ). تحقيق محمد بن ناصر الناصر، ،نشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٩٥٤.

٦٩- طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية بعابوين – الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م، مطبعة الحضارة العربية

٧٠- طبقات المفسرين، ، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (٩٤٥هـ)، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨٠- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٩٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٩١- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠هـ، نشر دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ

٩٢- فرق النصارى وأثر التحريف على تفرقهم .، إعداد الطالب عبد الله بن أحمد بن حمد البدر، إشراف الدكتور عبد الله بن عمر العبد الكريم، الفصل الأول، سنة ١٤٣٠ هـ – ١٤٣١هـ.

٩٣- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان.

٩٤- قادة الغرب يقولون " دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ "المؤلف: جلال العالم = عبد الودود يوسف الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، تاريخ النشر: 1395هـ – ١٩٧٤ م، .

٩٥- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١.

٩٦- قرطبة الإسلامية' في القرن الخامس الهجري، الشيخ محمد عبد الوهاب خلاف، الدار التونسية، ١٤٠٤هـ.

٩٧- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٩٨- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ت (٧٢٨ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، سنة النشر ١٤١٦هـ، ١٩٩٥ م

٩٩- مجلة الأمل ،عدد (١٠٤) سنة (١٩٨٢م)

١٠٠- مجلة المجتمع، العدد ٩٨٢.

١٠١- محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم) لمحمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ – ١٩٦٦ م

١٠٢- مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، لأحمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، نشر مجمع البحوث الإسلامية الأزهر

١٠٣- مركز التأصيل للدراسات والبحوث، تاريخ الاقتباس ٢٠١٣/١١/٨م، www. tassel. com اقتباس من الشبكة العنكبوتية، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م

١٠٤- مسند احمد بن حنبل: تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٥ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥

١٠٦- المعجبفي تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، شرحه واعتنى به د. صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٦ هـ

١٠٧- معجم أعلام الجزائرِمِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر: لعادل نويهض الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ -١٩٨٠

١٠٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٠٩- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١٠- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

١١١- مقال د. منقذ بن محمود السقار، مكة المكرمة - محرم - ١٤٢٤هـ موقع منقذ بن محمود السقارالبريد الإلكتروني: mongiz@maktoob. com

١١٢- مقامات الحريري، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ)، باب المقامة الشتوية، نشر مطبعة المعارف' بيروت، سنة النشر١٨٧٣ م.

١١٣- موسوعة التاريخ الإسلامي: أحمد شلبي، الجزء الخامس ، مكتبة النهضة المصرية العامة، مصر و القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

١١٤- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي:،دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، السنة ١٩٩٣.

١١٥- موسوعة الملل والنحل، مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ علي بن عبد القادر العلوي، نشر موقع الدرر السنية على الانترنت، dorar. net

١١٦- موقع دعوة الإسلام www. toislam. net

١١٧- موقف أصحاب الأهواء والفرق من السنة النبوية ورواتها جذورهم ووسائلهم وأهدافهم قديما وحديثا، أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ،

١١٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة ١، ١٣٦٧هـ.

١١٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، تحقيق محمد أحمد الحاج، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٠- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤلفه: اسماعيل عيد باشا البغدادي، طبع عناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، سنة ١٩٥٥.

١٢١- واقعنا المعاصر والغزو الفكري. الدكتور صالح حسين الرقب. كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية. فلسطين - غزة. الطبعة الجديدة. ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

١٢٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٢٣- يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية: د. فرج الله عبد الباري، تقديم الأستاذ الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، دار الأفاق العربية.

١٢٤- مدخل إلى العقيدة المسيحية، تأليف كوستلييندلي وآخرين، منشورات النور، بيروت.

١٢٥- إيماننا الحي: تأليف الأب دروبير كليمان اليسوعي والأب أدمونتارزجياليسوعي، نشر دار المعارف، سنة ١٩٦١.

١٢٦- استحالة تحريف الكتاب المقدس للقمص مرقس عزيز خليل.

١٢٧ علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس

١٢٨- الأناجيل المقدسة .

١٢٩- قصة الحضارة: دل ديورانت

رابعًا: فهرس الأعلام

خامساً: فهرس المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ملخص الدراسة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

هذا البحث بنوان (موقف الإمام القرطبي من عقائد النصارى)

وقد جاء هذا البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة و وهو على النحو التالي .

في المقدمة بينت أهمية الموضوع ، وسبب إختياره ، والدراسات السابقة ، ووضحت منهج الددراسة ، وخطة البحث .

أما في الفصل التمهيدي : فقد تحدثت عن ترجمة الإمام القرطبي ، ونشأته ، وعلمه ، ومؤلفاته ، وتلاميذه ، وعصره من الناحية السياسية والدينية والاثقافية والاجتماعية .

أما بالنسبة للفصل الأول :فقد تحدثت فيه عن حقيقة النصارى وصفاتهم وفرقهم ، ونشأتهم ، ومصادرهم ، وعلاقتهم بغيرهم من الأمم الآخرى .

أما في الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن عقيدة النصارى في الذات الإلهية ، وعقيدتهم في الصفات الإلهية ، وذلك من خلال الأقوال التي أوردها القرطبي في تفسيره وكتابه الإعلام .

أما في الفصل الثالث والأخير ك فقد تحدثت عن أركان الإيمان عند النصارى وبدأته بعقيدتهم في النبوة والأنبياء ، ثم في الملائكة ، ثم بالكتب السماوية ، ثم إيمانهم باليوم الآخر ، وذلك من خلال الأقوال التي أوردها القرطبي في تفسيره وكتابه الإعلام .

وأخيراً : البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات . ومن أهم النتائج :

أن القرآن الكريم قد تعرض للنصارى بشكل مفصل مبينا صفاتهم وطبائعهم كل ذلك من أجل أن يتبين المسلم حقيقتهم ، ويحذر منهم ، ويستطيع التعامل معهم

.ومن أهم التوصيات

- إن تفسير القرطبي تفسير جليل يمكن الإستفادة منه في كثير من الدراسات العقدية مثل : موقف النصارى من المسلمين واليهود ، والتعرف على عقائد النصارى وصفاتهم وأخلاقهم .
- - دراسة روايات النصارى في التفاسير والحكم عليها .
- تسليط الضوء على التناقضات الواردة عند النصارى في كتبهم القدسة .

Abstract

Praise be to Allah the Most Gracious, the Most Merciful and Peace be upon the prophet Mohammed and his companions and followers.

Title: The Attitude of Imam Al-Qortobi from the Christian Doctrines

This study consists of an introduction, a preliminary chapter, three chapters and a conclusion.

In the introduction, the researcher explains the importance of the study, reasons of its selection, review of literature, methodology and the study plan. The preliminary chapter presents the biography of Imam Al-Qortobi, his life, knowledge, books, students and the political, religious, cultural and social features of his age. The first chapter discusses the reality of Christians, their characteristics, groups, their sources and relationship to other nations. The second chapter explains the Christians' belief in God and divine attributes through the opinions of the Imam Al-Qurtobi as stated in his books. The third chapter discusses the cornerstone of the Christian belief. It starts with their belief in prophethood and prophets, angels, divine books, and the Day of Judgment. Finally, the conclusion includes the most important findings and recommendations:

Some of the most important findings are:

- Al-Qurtobi's book of interpretation of the holy Quran is an invaluable book that can used as a source for many studies in doctrines such as: the doctrines of Christians and Jews and to identify their believes, characteristics and morals.
- The book is also a good source for studying the Christian narratives in interpretation and enables researchers to judge such narratives.
- It also sheds light on the contradictions found in the Christians holy books.